الموسيقى والغناء عند العرب

من الجاهلية الى نهاية القرن العشرين

خازن عبّود

دار الحرف العربي

الناشر

الموسيقى والغناء عند العرب

من الجاهلية الى نهاية القرن العشرين

خازن عبّود

الناشر

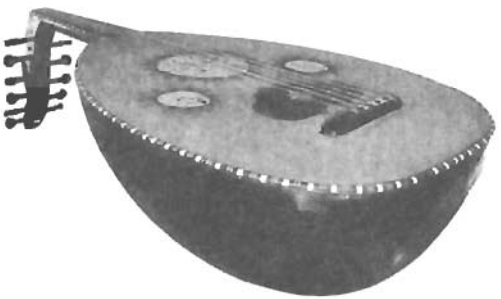

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشئ

الموسيقى والغناء عند العرب

إسم الكتاب:
الموسيقى والغناء عند العرب

تأليف:
خازن عبود

الناشر:
دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
زقاق البلاط - بناية فخر الدين
تلفون وفاكس: ٣٦١٠٤٥ / ٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان

الطبعة:
الأولى ٢٠٠٤

تنفيذ الغلاف:
فواد سليمان وهبي

الطباعة:
مؤسسة جواد للطباعة

الحقوق:
جميع الحقوق محفوظة للناشر

الترقيم الدولي:
ISBN 9953449171
E-Mail:dar-al-haref-alarabi@yahoo.com

الغِناء

هَلِ الغناءُ إذا جَـــــرَّحتَ آهتَـــــهُ
ســـــــوى تَهلُّلِ أضـــــــواءٍ وأبرادِ
كـــأنَّهُ مـــوجَـــةٌ بيـــضـــاءُ ناعِـــمَـــةٌ
يمشي الشّـــراعُ بهـــا في بَحـــرِهِ الهـــادي
تأوي الأغـــــــاريدُ منـهُ حينَ تُرسِلُهُ
إلـى وَريـفٍ نَـديٍّ الـظِّـلِّ مَـــــــــدَّاد
وَيَنثُـــــرُ الرَّوضُ سكراناً براعِـــمَـــهُ
كـــالسُنِ الطَّيـــرِ شُـــقَّتْ نصْفِ منقـــاد

أمير الشعراء
بشارة عبدالله الخوري
«الأخطل الصغير»

تمهيد

أعترف بأنني لست موسيقياً ولا مطرباً ، لكنني أنتشي كلما أسمع لحناً عذباً وأطرب إذا سمعت غناء أصيلاً من حناجر ذهبية يدغدغ مشاعري فينساب إلى قلبي بلا استئذان لكن عدم كوني موسيقياً ومطرباً لا يمنعني من دراسة الموسيقى والغناء عند العرب من الجاهلية إلى نهاية القرن العشرين

ومن الصفات المستحبّة عند الشعب العربي حبه للموسيقى والغناء فيطرب لهما ولا يستطيع كبح جماح عواطفه فيردد «الله أو آه أو كمان»

قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري لما أعجَبَهُ حُسن صوته «لقد أوتيت مِزماراً مِن مزامير آل داود»

ويقول أطباء إن الصّوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو الدّم وتَهشُّ له النفس وتهتزّ المشاعر وقيل إن الحيوانات والطيور وحتى الأزهار تطرب للغناء ، وإن النّحل هو الأكثر طرباً ولهذا قال الرّاجز

والطَّيْرُ قد يسوقُهُ للموت إصْغاؤُهُ إلى حنينِ الصّوت

وقال الفيلسوف اليوناني أفلاطون «ألا ترى أنّ أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالةَ والفتور على أبدانهم ترنّموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم وأكد الموسيقار العالمي بيتهوفن أن الموسيقى لغة القلب والروح

واحتجّ كثيرون في إباحة الغناء واستحسانه بقول رسول الله ﷺ لعائشة «أأهديتم الفتاةَ إلى بعلها؟» قالت «نعم» قال «وبعثتم معها مَن يُغنّي؟» قالت «لا» قال «أومَا علمتُم أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل؟ ألا

بعثتم معها من يغني

أتيْـنـاكُـمْ أتيْـنَـاكُـمْ فـحـيّـونا نُحـيّـيكُمْ
ولولا الحـبّـة الـسـمـرا ءُ لـم نَحْلـل بواديكُمْ

ومن حُجّة مَن كَرِه الغناء أن قال إنه ينفّرُ القلوب ، ويستفِزُّ العقول ، ويستخفّ الحليم ، ويبعث على اللهو ، وهو باطل من أساسه

عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري كنت أردد بعض الأغاني الشعبية مثل «عالروزانا» و«يا غزيل» فسمعني كاهن الطائفة ، وهو أحد أقربائنا ، فقال لي

ـ عيب يا بني الغناء لا يليق بفتى مثلك !

هكذا كانت النظرة لدى الأقدمين بالنسبة إلى الغناء لكنني لم أستمع إلى تحذيره ومضيت أغني كلما سنحت لي الفرصة وأتوقف عن الغناء إذا رأيته لا خوفاً بل احتراماً له كراعٍ للطائفة

*

يتضمّن كتابي دراسة للموسيقى والغناء في الجاهلية وصدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي ، وخصصت صفحات للحديث عن الموشحات الأندلسية في العصر الأندلسي تأتي مباشرة بعد الحديث عن سير أشهر الموسيقيين والمغنين في العصرين الأموي والعباسي واستنرت بمراجع كثيرة منها «العقد الفريد» لابن عبد ربّه و«الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها» للموسيقار اللبناني سليم الحلو و«أشهر المغنين عند العرب» للأديب اللبناني سمير شيخاني وكتاب «الإذاعة اللبنانية» للصحافي الأستاذ فايق الخوري صاحب ورئيس تحرير مجلة «الإذاعة» ومقالات نُشرت في «الملحق» الذي تصدره جريدة «النهار» ومقابلة أجراها الأستاذ حسن صبرا صاحب ورئيس تحرير مجلة «الشراع» مع سيدة الغناء العربي أم كلثوم و«الفنون الشعبية في فلسطين» ليسرى جوهرية عرنيطة كريمة الموسيقار سلفادور عرنيطة وقد نشر

لا شكّ في أنّ للغناء فضلاً في تخليد الشعر العربي والشعراء فكم من شاعر كبير لم تصدح الحناجر الذهبية ببعض قصائده لم يحظ بالشهرة التي حظي بها شاعرٌ غُنّي بقصائده ولو لم يعلق موسيقار الجيل محمد عبد الوهاب بتلحين وغناء قصيدة «الغندول» للشاعر علي محمود طه المهندس لظلت قصيدته شبه منسية ، والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى قصيدة «الأطلال» التي غنتها سيدة الغناء العربي أمّ كلثوم وهي للشاعر الدكتور إبراهيم ناجي ، والأمثلة كثيرة

*

الموسيقى والغناء يهذّبان النفوس وهما غذاء روحي للمُهج والقلوب ورغم الثروة الموسيقية التي تركها لنا كبار الموسيقيين والمغنين في مختلف العصور ، وفي القرن العشرين بالذات ، نرى مُستوى الموسيقى والغناء لا يجاري ، إلا في ما ندر ، تراثنا الموسيقي والغنائي القديم بما في ذلك التراث الذي خلفه عباقرة التلحين والطرب في العصر الحديث

لقد أصبح الغناء والموسيقى ضرباً من التجارب ، وأصبح كل من عزف على آلة موسيقية مُلَحِّناً ، وكل من قَلّد المطربين أصبح للأسف مطرباً

صحيح أن الموسيقى والغناء موهبة ونعمة من الله عزّ وجلّ ، لكن الموهبة وحدها لا تكفي ، ودراستهما أصبحت ضروريَّة إن الآلاف من مدعي الموسيقى والغناء يجهلون حتماً السُّلَّم الموسيقي ، وكتابة وقراءة النوتة الموسيقية ولا يعرفون شيئاً عن تاريخ الغناء والموسيقى ومع ذلك يدّعون بأنهم ملحنون ومطربون في مثل هؤلاء يصح قول عليّ بن عبد الرّحمن بن أبي البِشر الصّقلّي الأنصاري في أحد مدعي الغناء

ولنا مُغَنٍّ لا يزا ل يغيظنا ما يفعلُ
صَلَفٌ وتيهٌ زائدٌ وتبظرُمٌ وتَجَمُّلُ
غنّى ثقيلاً أوّلاً وهو الثَّقيلُ الأوَّلُ

أو هجاء محمد بن الحسن بن الطوبي لمغنٍّ

وَمُـــــــغَـنٍّ لـو تَـغَـنّـى لك صـــوتين لَمُـــتّـا
ســـــمجُ الخلـقـــــة غثٌّ يَنحتُ الآذانَ نَحْـــتـــا
ويُغَنّي مـــا اشْـــتَـــهـــاهُ لا يُـغـنّي مـــــــا أرَدْتا
كُلّمـــا قـــال اقْـــتَـــرِح قلتُ اقـتـراحي لو سَكَتّـا

وهجا شاعر آخر مغنياً يغني وهو يعزف على العود

ومُـــغَنٍّ نحنُ فـــيـــه بين أســـقـــام وكُـــرْبَهْ
يضـــربُ العـــودَ ولكن ضـــربُهُ يوجِبُ ضَـــرْبَهْ

وهجا شاعر أحد المغنين ، قال

يُغنّي فَنَهـوى آنْـسِـادَ الصِّـمـاخِ ونُبـــصـــرُهُ فنحبُّ العَـــمى
دعـــاهُ رجـــالٌ إلى عُـــرسِـــهِمْ فـــصَـــيَّـــر عُـــرسَـــهُمُ مـــأتما

لقد أسهبت في الحديث عن الموسيقيين والمغنين في لبنان ، فقد كانت لي معهم صداقات من منتصف الخمسينات إلى السبعينات من القرن العشرين ، وبعضهم تكرّم ولحّن بعض قصائدي ولو كان لي اتصال مع موسيقيين ومغنين في مصر وسوريا والأردن والسعودية والعراق ودول عربية أخرى لتحدثت عنهم بالتفصيل ، فليعذرني القراء

بلّونة ٢٠٠٤

الموشحات الأندلسية

تنقسم الموشحات الأندلسية كما يقول الشاعر ابن سناء الملك في كتابه «دار الطراز» إلى قسمين ، الأول جاء على أوزان أشعار العرب والثاني لا وزن له فيها ولا إلمام بها

يقول محمد الفاسي في معرض حديثه عن الموسيقى المغربية المسمّاة أندلسية ما يلي «أما أصلها فلا جدال أنها موسيقى عربية أندلسية مغربية صحيحة ولدت على ضفاف دجلة والفرات ونمت هناك تحت تأثيرات مختلفة فارسية ورومية ونقلها زرياب الموسيقي والمغني البغدادي الشهير إلى الأندلس ، لذلك فإنني لا أعتبرها أندلسية محضة وقد حقق علماء تاريخ الموسيقى أن الموسيقى الأندلسية لم تتأثر مطلقاً بالجانب الإسباني»

لكن الدكتور إحسان عباس في مقدمته لكتاب «الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها» للموسيقار اللبناني سليم الحلو يقول

«في كلام الأستاذ محمد الفاسي أمور تستدعي التوقف فالقول إن زرياباً مؤصل الموسيقى الأندلسية قول صحيح ولكن إلى أي حَدّ اعتمدت ألحان الموشح على «أصول زرياب»! ذلك أمر لا يمكن التوصل إليه ، ونحن نجهل أصول زرياب مثلما نجهل أصول الموشحات وأما القول بأن الموشحات لم تتأثر مطلقاً بالجانب الإسباني فقول جازم لا أدري كيف أوفّق بينه وبين الأخبار التي تُروى عمّن عاشوا في بيئات غير عربية واقتبسوا من ألحانها وإذا كانت الموسيقى التي تسمّى أندلسية بالمغرب لم تتأثر بالجانب الإسباني فليس هذا دليلاً على أن الموسيقى الأندلسية الخالصة لم تتقبّل مثل ذلك التأثير» ويضيف

«لقد جعل زرياب للغناء الأندلسي قانوناً خاصاً ـ عدا ما انتحله من مراسيم الزّي والمظهر ـ حين جعل المجلس الغنائي يقوم على ثلاث دورات الأولى نشيد والثانية بسيط والثالثة هزج لقد كان الغناء العربي الأندلسي مستساغاً في المجالات غير العربية بألفاظه وتلاحينه كما أن المغنين الأندلسيين كانوا يرددون بعض الألحان المشرقية

*

يقول الموسيقار سليم الحلو

«إن فن الموشحات يحتاج إلى خبرة في علمي الألحان والإيقاع مع استعداد وموهبة لا يُحسن صياغتها إلا الملحّن الماهر الموهوب والمطّلع على سرِّ هذه الصناعة التي هي فنّ من أرقى فنون التلحين وأدقّها وأصعبها ، ومهارة الملحن تعرف منها فهي مقياس لمقدرته إن ناظمي وملحّني الموشحات منذ أول نشأتها كانوا عباقرة موهوبين»

قيل إن الموشحات سُميّت بهذا الاسم تشبهاً بالغانية المتزينة بالوِشاح والوِشاح أيضاً هو كِرْسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر لتتوشح به المرأة ، وهو أيضاً سيرٌ منسوج من الجلد يرصّع بالجوهر تشده المرأة على عاتقها وكشحَيْها

قال الشاعر ذو الرّمة

ترى الزُّلَّ[1] يكرهنَ الرياح إذا جرتْ
ومي بها لولا التحرُّجُ تفرحُ
إذا ضربتها الريحُ في المِرْطِ[2] أسْفَرَتْ
روادفُها وانضَمَّ منها المُوَشَّحُ

ووصفَ عبدالله بن الحجّاج البغدادي قصائدَهُ بأنها موشَّحةٌ لما تضمّنته

(١) الزُّل جمع زلاء وهي الخفيفة الوركيْن
(٢) المِرط كساء من صوف أو خَزّ

من المعاني السامية ، فقال

وهذي القصيدة مثل العروسِ موشَّحَةٌ بالمعاني المِلاح

لكن الدكتور إحسان عباس يقول في كتابه «تاريخ الأدب الأندلسي» في سبب التسمية «زعم بعض المتأخّرين حين حاولوا تعليل هذه التسمية أنها مشتقة من (الوشاح) وهو حسب ما تقوله المعاجم (كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر) ولعل هذا الفهم متّصل بالمراوحة في الموشح بين ما سمِّيَ الأقفال والأغصان وهذه هي صفة الوشاح لكنها ليست صفة الموشّح ، إذ الموشّح يعني (المُعْلَم) بلونٍ أو خط يخالف سائر لونه أو الثوب حين تكون فيه توشية أو زخرفة وهذا هو الأشبه ـ في نظري ـ لنشأة هذه التسمية فقد تصوّر الأندلسيون هذا النّظم كرقعة ثوب وفيه خطوط (أو سمِّها أغصاناً) تنتظمه أفقيّاً أو عمودياً»

*

إن تاريخ بداية الموشحات غامض ولم يدر أحد على وجه التحديد من هو البادئ بعملها ولا في أية سنة بدأها فالمؤرخ ابن خلدون يعزو اختراعها إلى مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبدالله بن محمد المرواني (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ ـ ٩١٢م) ويقول ابن بسّام «وأول من صنع الموشحات بأوزانها الجديدة - فيما بلغني - هو محمد بن حمود القبري الضرير» لكنّ ابن عبد ربّه صاحب «العقد الفريد» يقول «لا نعرف شيئاً عن القبري هذا وفي أي عصر عاش» وصاحب العقد وُلد سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م وتوفي سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م وأكد مؤرخون معاصرون أن تاريخ اختراع الموشحات عرف في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

في عهد هشام الأول لم تعرف الموسيقى في الأندلس أي تقدم ، وقد يكون سبب ذلك ورع هشام وتقواه وإحاطة العلماء والحكماء له ونفوذ المذهب المالكي

لكن عهد الحكم الأول أعاد الموسيقى إلى انطلاقها وسابق رونقها لأنه أبى أن يسيطر عليه الفقهاء

وفي عهد عبد الرحمن الثاني استعاد الفقهاء نفوذهم لمدة وجيزة ولم يتعرضوا للموسيقيين والمغنين . وبلغت الموسيقى ذروتها في عهد الحاجب المنصور

ولوحظ أنه بعد سقوط الأندلس ظل ملوكها المسيحيون محتفظين في قصورهم بالموسيقيين من العرب لمدّة طويلة

*

الحنجرة أول آلة موسيقية

تشمل الموسيقى عنصرين جوهريين أو روحين متناغمين متمازجين أوّلهما الصوت بما فيه من أنغام وطبقات مختلفة والثاني الزمن أي (الميزان) بما يتضمنه من تجزئة وتركيب واتّزان

والحنجرة هي أول آلة موسيقية أخرجت الصوت والأكُفّ كانت بدورها أول آلة توقيعية أخرجت أجزاء الزمن ونقرات الميزان وأنظمته

قال بعض المؤرخين إن أوّل الآلات كانت وترية وهي قوس النّبل ، وأول نافخة صُنعت من عظم الإنسان والذين زاروا متحف اللوفر بباريس شاهدوا الكثير من الآلات الموسيقية القديمة الصّنع وتأملوا بدقة رسومات ولوحات تشير إلى اعتقاد الأقدمين بأن السِّحر أو الآلهة هي التي اخترعت الآلات الموسيقية

قرأت في كتاب حول مجاهل إفريقية أن بعض الشعوب في القارّة السوداء يعتقد بأن لبعض الآلات الموسيقية أرواحاً مقدّسة ، وأنها ذات نوع من ذكَرٍ أو أنثى ، وأن لها أصواتاً ذات تأثير سحري عجيب

وكان لدى المصريين القدامى آلة موسيقية ذات جناحين على طرف كل جناح منهما تمثال لرأس جواد وفي الهند تم العثور على أقدم آلة موسيقية

تشبه الرّباب ذات وترين من شعر الماعز ، أو ذيل حصان ، أو أمعاء غزال ، وتعرف باسم رافاناسترون

قبل ظهور الإسلام كانت الموسيقى عند الفرس على درجة عالية من الازدهار وكان ملوك فارس يهتمون بالموسيقى ويجزلون العطاء للموسيقيين ولا تزال النغمات والاصطلاحات والمقامات الموسيقية العربية تسمى بأسماء فارسية حتى يومنا هذا

وتعتبر المقامات من أركان الموسيقى الضرورية في تقويم جسمها وبناء هيكلها ، كما يعتبر السُّلَّم الموسيقي المكون من سبع نغمات أساسية مقسّمة إلى أربعة وعشرين ربعاً

تأثر الإسلام بالموسيقى اليونانية والفارسية

لما ظهر الإسلام تأثر العرب بالموسيقى اليونانية والفارسية وعندما فتح العرب بلاد فارس أبقوا الأسماء الفارسية للنغمات والمقامات على حالها إلا بعض القليل منها عمدوا إلى تغييره

وفي صدر الإسلام استقبلت نساء المدينة النبي ﷺ عندما هاجر إليها وهن يتغنّين

طلعَ البدرُ علينا من ثنيّات الوداعْ
وجبَ الشُّكرُ علينا ما دعا لِلَّه داعْ
أيُّها المبعوثُ فينا جئتَ بالأمرِ المُطاعْ

وانتشر الغناء في صدر الإسلام في عهدي الخليفتين عثمان بن عفّان ومعاوية بن أبي سفيان وكان معاوية في بادئ الأمر يعيب على عبدالله بن جعفر سماع الأغاني وبعد أن أدى معاوية فريضة الحج نزل المدينة ، فمر ليلة بدار عبدالله بن جعفر فسمع غناء على أوتار ، فوقف بعض الوقت ثم مضى وهو يردد «أستغفر الله أستغفر الله»

ثم عاد الخليفة معاوية ومر بدار عبدالله فرآه قائماً يُصلّي فوقف

ليستمع إلى قراءته فقال «الحمد لله الحمد لله»

وتابع معاوية سيره ليلاً وهو يقول «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم»

فلما بلغ ابنَ جعفر ذلك أعد لمعاوية طعاماً ودعاه إلى منزله ، وأحضر المغنّي ابن صيّاد وقال له إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرِّك أوتارك وغنِّ فلما وضع الخليفة يده في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنّى بشعر عدي بن زياد وكان معاوية يُعجب به

يا لُبَيْنى أوقِدي النّارا إنّ مَن تهوينَ قد حارا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أرمُقُها تَقْضَمُ الهِندِيَّ والغارا
ولها ظبيٌ يُؤجِّجُها عاقدٌ في الخصرِ زُنّارا

فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض على الطعام وجعل يضرب برجله الأرض طرباً

*

في عهد الخليفة عثمان بن عفّان أتقن القوم فنّ الطبقات بين الصوت والآلة الموسيقية وأخذوا فيما يسميّه العرب بـ«الغناء المتقن» أو «الرقيق» وهو الذي يأتي فيه الإيقاع ملازماً للنَّغم ولأول مرّة ظهرت طبقة من الرجال والنساء ممن احترفوا الغناء منهم عيسى بن عبدالله وكنيته أبو عبد المنعم ولقبه طويس أي الطاووس الصغير وكانوا يحنّون أيديهم ، فعرف الرجال منهم بالمخنّثين وقيل إن طويساً هو أول المخنّثين ، وأول من غنّى الغناء العربي بالمدينة ولم يضرب بالعود بل نقر بالدف

وفي الجاهلية كان احتراف الغناء من اختصاص النساء والجواري وإنّ أول من اشتهر بالغناء من النساء قينتان يقال لهما الجرادتان

وكانت العرب تُسمي القَيْنة الكرينة والعود الكران وكان سائب ابن يسار الذي يعرف بسائب الخاثر أول من عمل العود بالمدينة وغنّى به

لكن الأصبهاني قال إن سائباً لم يكن يضرب بالعود وإنّما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلاً

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي الغناء على ثلاثة أوجه النَّصب والسِّناد والهزْج فأمّا النّصب فغناء الرّكبان والقَيْنات وأما السِّناد فالثقيل التّرجيع الكثير النغمات وأما الهزْج فالخفيف كلّه وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم ، وكان أصله ومعدنه في المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة

وقيل إن أول من صنع العود لامك بن قابيل بن آدم وبكى به على ولده وقيل أيضاً إن صانعه بطليموس صاحب كتاب الموسيقى وهو كتاب اللّحون الثمانية

وكان أوّل من وقع الإيقاع بالقضيب إبراهيم الموصلي

*

أما اكتشاف السُّلَّم الموسيقي الأول فالمؤرخون يرجّحون أن الإنسان القديم اكتشفه من طريق القَصَبة (الشبابة) ففي أول الأمر كان الصوت يخرج من فوهتيها العليا والسّفلى عندما نفخ فيها الإنسان فاستحسن الصوت فزاد ثقباً في الشبابة ثم استمر في إحداث ثقوب أخرى حتى بلغ عددها سبعة ، واستخدم أصابع يديه في سد الثقوب وفتحها وهو ينفخ فكانت الألحان المتنوعة وكانت الثقوب بمثابة أول سُلَّم موسيقي ثم اكتشفت قيثارة سومر في أثناء الحفريات التي جرت في أور مدينة الكلدانيين القدماء بالعراق وذلك قبل ٤٥٠٠ سنة لكن أوتارها كانت قد بُليت ، فأُعيد بناؤها وشدَّ عليها أحد عشر وتراً وهي معروضة في المتحف البريطاني بلندن

أشهر الموسيقيين والمغنين

ارتأيت نشر أسماء الموسيقيين والمغنين وسِيَر حياتهم طبقاً للأحرف الأبجدية ذلك أن كثيرين منهم كانوا مخضرمين

بعضهم عاش في الجاهلية وصدر الإسلام ، وآخرون عاصروا صدر الإسلام والعصر الأموي ، وكثيرون عاصروا العصور الأموية والعباسية والأندلسية

فاقتضى التّنويه

إبراهيم بن المهدي

(١٦٢ ـ ٢٢٤هـ)
(٧٧٩ ـ ٨٣٩م)

إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي الهاشمي ، أبو إسحق ، ويقال له ابن شكلة وشكلة أمه وهي جارية سوداء أمير أخو هارون الرشيد ولد ونشأ في بغداد ولاّه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنوات له شعر وصَنعة في الغناء بحيث كان الموصليّان إبراهيم وإسحق يأخذان عنه وكان يتحاكم إليه المغنون في صناعتهم

ولما انتهت الخلافة إلى المأمون ، كان إبراهيم قد انتهز فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه وبايعه كثيرون ببغداد فطلبه المأمون فاستتر فأهدر دمه فجاءه مستسلماً فسجنه ستة أشهر ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله فاعتذر فعفا عنه

وكان إبراهيم أسود حالك اللون ، عظيم الجثة ، وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أجود منه شعراً وقد أحب المنصور شكلة وتزوجها ورزقت فولدت منه إبراهيم

قال إسحق الموصلي «كان إبراهيم أشد خلق الله إعظاماً للغناء وأحرصهم عليه وأشدهم منافسة فيه وكانت صنعته ليّنة فكان إذا صنعَ شيئاً نسبه إلى جاريتيه شاريَة وريِّق لئلا يقع فيه طعن أو تقريع ،فقلّت صنعته بين الناس مع كثرتها وكان إذا قيل له فيها شيء قال إنّما أصنع تطرُّباً لا تكسُّباً وأغني لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي»

وكان الناس يقولون لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيّة وكان ينازع إسحق الموصلي ويجادله ونُقل عن إبراهيم قوله عن نفسه في صناعة الغناء «لولا أنّي أرفَع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما لم يعلم الناس معه أنهم لم يرَوْا قبلي مثلي»

وحدّث أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال

«دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خُمار وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي فقال لي الرشيد بحياتي يا إبراهيم غَنِّني فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفَضلة وغنيت

أسرى بخالدةَ الخيالُ ولا أرى شيئاً ألذَّ من الخيالِ الطارقِ
إنّ البليَّة مَن تَمَلُّ حديثَهُ فانقَع فؤادك من حديث الوامقِ
أهواكِ فوق هوى النفوسِ ولم يزل مُذ بنْتِ قلبي كالجناح الخافقِ

الشعر لجرير وقد غنى الأبيات قبله ابن عائشة

فسمعت إبراهيم الموصلي يقول لابن جامع لو طلبَ هذا بهذا الغناء ما نَطلُب لما أكلنا خبزاً أبداً فقال ابن جامع صدقت

فلما فرغت من الغناء وضعتُ العود ثم قلت لهما خذا في حقّكما ودعا باطلَنا»

*

كان الرشيد يحب أن يسمع غناء إبراهيم وزاره مرة وعنده سليمان ابن أبي جعفر ، فقال له الرشيد غننا يا إبراهيم فغنى

إذ أنتِ فينا لمن ينهاك عاصيَةٌ وإذ أجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فطرب الرشيد وأمر له بألف ألف درهم وقال له الرشيد ليلة ولم يبق في المجلس إلاّ جعفر بن يحيى أنا أحبُّ أن تشرّف جعفراً بأن تغنيه صوتاً ، فغنّيته صوتاً صنعته في شعر الدارمي

كأنَّ صورتَها في الوصف إذ وُصِفَت دينارُ عينٍ من المصـــريَّة العُـــتُقِ
أو دُرَّةٌ أعيتِ الغـوّاصَ في صَـدَفٍ أو ذَهَبٌ صـاغـه الصَّـواغُ في ورقِ

وان إبراهيم يتقن الإيقاع على الطبل والزمر في الناي حتى إنَّه كان يمر بأصابعه على ناي تنفخ فيه جارية من جواريه

وكان لرقة صوت إبراهيم التأثير الكبير في النفوس والقلوب وكثيراً ما استدر الدموع من العيون وله قصة مع جارية روميّة لا تعرف العربية فقد اتفق أن كان إبراهيم يعلم جاريته شارية أحد أصواته الجديدة والجارية الرومية تكنس الدار وتبكي فحار القوم في أمرها وتاقوا لمعرفة السبب في بكائها ولكن عجبهم زال عندما انقطعت عن البكاء بانقطاع إبراهيم عن طرح الصوت على شارية فقد كان لصوت إبراهيم ذلك التأثير الكبير الذي جعل الرّومية تبكي لدى سماعها الصوت

وعُرف عن إبراهيم اعتداده بنفسه فكان يردد أنا أحسن الناس غناء ويليني أبو عيسى بن إبراهيم فمخارق

ومرض إبراهيم ذات يوم حتى أشرف على الموت فنصحه بعضهم بحرق دفاتر الغناء التي لديه والتوبة إليه تعالى وألحوا عليه بذلك فصاح بهم أنتم والله مخبولون لا عقل لكم ، فلنفرض أني أحرقت دفاتر غنائي فماذا أصنع بجاريتي ريِّق وهي تحفظ كل ما غنيته قولوا لي هل أحرِقها أم أقتلها؟ !

وغضب إبرهيم يوماً على جاريته صدوف وكان لها في نفسه أحسن موقع فحسدتها جواريه على اهتمامه بها وما زلن يوغرن صدره عليها حتى جفاها وانقطع عنها ثم اشتاقها فلم ير من اللائق أن يبعث وراءها ويسترضيها وازدادت غمتّه إلى أن جاءه الأعرابي شقيق معللة صاحبة الفضل ابن الربيع ، وهو شاعر معروف ، فسأله عن سبب حزنه وكان يعرف قصته مع صدوف فاستنشده إبراهيم ، فأنشده

أعتِبتَ أم عتبتْ عليك صدوفُ وعتابُ مثلك مثلها تشريفُ
لا تقعدَنّ تلومُ نفسك دائباً فيها وأنت بحبِّها مشغوفُ
إن الصريمة[1] لا ينوء بحملها إلاّ القوي بها وأنت ضعيفُ

فمنحه مائتي دينار ثم أرسل في طلب صدوف فجاءت إليه فرضي عنها ومنحت الشاعر مائة دينار

*

غضب محمد الأمين على إبراهيم بن المهدي في بعض هناته ، فسلّمه إلى خادمه كوثر فحبسه في سرداب وأغلقه عليه ، فمكث فيه ليلة وصباح اليوم التالي دنا منه شيخ خرج من زاوية السرداب وقدم له طعاماً فأكل وشراباً فشرب ثم قال له غنِّ فغنّاهُ

لي مُدّةٌ لا بُدّ أبلُغها معلومةٌ فإذا انقضت مُتُّ
لو ساورتني الأُسدُ ضارِيَةً لغلبتها ما لم يجِ الوقتُ

وسمعه الخادم كوثر فسار إلى محمد الأمين وقال له لقد جُنّ عمّك وهو جالس يغني بكيتَ وكيت فأمر محمد بإحضاره فأُحْضر وأخبره القصة فأمر له بسبعمائة ألف درهم ورضي عنه

توفي إبراهيم بن المهدي بسامراء وصلّى عليه الخليفة المعتصم

---

(١) الصريمة الهجران والبعاد

إبراهيم المَوْصلي

(١٢٥ ـ ١٨٨هـ)
(٧٤٣ ـ ٨٠٤م)

إبراهيم بن ماهان أو ميمون بن بهمن الموصلي التميمي بالولاء ، أبو إسحق النديم أوحد زمانه في الغناء واختراع الألحان شاعر من ندماء الخلفاء فارسي الأصل انتقل والده إلى الكوفة فولد بها مات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربّوه فنسب إليهم رحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب على العود فنسب إليها أيضاً وكان ينظم أبيات الشعر ويلحنها ويغنّيها

أجاد الغناء الفارسي والعربي وكانت له عند الخلفاء منزلة حسنة وأول من سمعه منهم المهدي العباسي ثم حبسه لشربه النبيذ حذق القراءة والكتابة في الحبس ولما ولي موسى (الهادي) أغدق عليه نعمَهُ، وكذلك هارون الرشيد من بعده وجعله من ندمائه وخاصته واستصحبه معه إلى الشام ومرض فعاده الرشيد فمات بعد قليل ببغداد

أول صوت أخذه إبراهيم من شعر الوليد بن يزيد

أرسلي بالسّلام يا سَلْم إني منذُ أن عُلّقْتُكم غنيٌّ فقيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمرك والفقـ ـرُ بأني أزور من لا يزورُ

يقول ابنه إسحق «إن الخليفة المهدي لم يكن يذوق الخمر ، فأراده على ملازمته وترك الشرب فأبى وكان أبي يغيب عنه أياماً ثم يزوره منتشياً فغاظه ذلك فضربه وحبسه فحذق الكتابة والقراءة في الحبس»

ويضيف إسحق حدثني أبي «لقد عاتبني الخليفة على شربي في

منازل الناس والتبذّل معهم فقلت له يا أمير المؤمنين إنما تعلمت هذه الصناعة للذّتي وعشرتي لإخواني ولو أمكنني تركها لتركتها فغضب الخليفة غضباً شديداً وقد نظم إبراهيم وهو في الحبس هذه الأبيات وهو مقيّد

ألا طال ليلي أراعي النجومَ أعالجُ في السّاقِ كبلاً ثقيلا
بدارِ الهوان وشرِّ الدّيارِ أسامُ بها الخسف صبراً جميلا
كثيرُ الأخلاّء عندَ الرَّخاء فلمّا حُبستُ أراهم قليلا
لطولِ بلائي مَلَّ الصديقُ فلا يأمنَنَّ خليلٌ خليلا

وعرف المهدي بهذه الأبيات فأفرج عنه بعد أن أحلفه بالطلاق وكل يمين ألا يدخل على ابنيه موسى وهارون أبداً ولا يغنيهما وكان سبب حبسه أنّه بلغه أنّه شرب معهما فضربه ثلثمائة سوط وقيَّدَه وحبسه

وحتى في عهد الخليفة الرشيد دخل إبراهيم السجن قال إسحق بن إبراهيم حدثني أبي «أن الخليفة هارون الرشيد غضب عليّ وقيّدني وحبسني بالرقة (مدينة على الجانب الشرقي من الفرات) ثم جلست للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه فقال لعيسى بن جعفر هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه فأمر الرشيد بإحضاري فأحضرت في قيودي ففكّت عني بين يديه وأمرهم فناولوني عوداً وقال غنّني يا إبراهيم، فغنّيته من شعر النُّميري الثقفي

تضَوَّعَ مسْكاً بطنُ نعمانَ[1] أن مشت به زينبٌ في نِسوة خفرات[2]
مَرَرْن بفَخٍّ[3] رائحات عشيّةً يُلبّين للرّحمن معتمرات
يُخمِّرْنَ[4] أطراف البَنانِ من التُّقى ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
ولمّا رأت ركبَ النُّميريِّ أعرضت وكُنَّ مِنَ أنْ يَلقَيْنَهُ حَذِرات

(١) بطن نعمان واد بين مكة والطائف. (٢) يروى عطرات
(٣) فخ موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال
(٤) يخمّرن: يغطينَ وفي الكامل لابن الأثير يُخبِّئنَ
(يخبئن أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات)
والمعجر ثوب تشده المرأة على رأسها

فطرب الرشيد وشرب واستعاده ثم قال له هنّأتني يومي وسأهنّئك بالصِّلة وقد وهبت لك الهنيءَ والمريءَ (وهما نهران بإزاء الرّقة حفرهما هشام بن عبد الملك وبنى فيهما ضيعة سمّاها واسط الرّقة وقد وهبه الرشيد ضيعة هذين النهرين)

وغادر إبراهيم مجلس الخليفة فلما أصبح عُوِّض من هذه الضيعة مائتي ألف درهم وكان إبراهيم أول من نال جائزة من الرشيد لما وليَ الخلافة عندما مدحه بقوله

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما ولي هارون أشرق نورها
فألبست الدّنيا جمالاً بوجهه فهارون واليها ويحيى وزيرها

ثم تغنّى بهذه الأبيات فمنحه الرشيد مائة ألف درهم وجائزة يحيى وزيره خمسين ألف درهم

*

قال إسحق بن إبراهيم ما سمعت أحسن غناء من أربعة أبي، وحكم الوادي وفُلَيح بن أبي العوراء وسياط فقد كانوا يصنعون الألحان ويؤدونَ غناء غيرهم فيحسنون

وكان إبراهيم أول من علّم الجواري الحسانَ الغناء وحدّث إسحق عن أبيه قال حدثني أبي

«دخلت الريّ فكنت آلف فتياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومدّ لها ستارة فتغنّت خلفها، فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية فشوّقتني إلى العراق وذكّرتني أيامي بها فدعوت بعود فلما جيء به اندفعت فغنّيتُ من شعري

أنا بالرّيِّ مُقيمُ في قُرى الرّيِّ أهيمُ

فخرجت الجارية من وراء الستارة فأكبّت على رأسي وقالت أستاذي

والله ! فقال لها مولاها أي أستاذيك هذا؟ قالت إبراهيم الموصلي فإذا هي إحدى الجواري اللّواتي علمتهن الغناء وطال العهد بها فأكرمني مولاها وخلعَ عليّ ، فأقمت مدة بعد ذلك بالرّي وانتشر خبري بها

وكانت لعليّ اليماني جارية مغنيّة فهويها إبراهيم واستُهيم بها زماناً وقال فيها

كنتُ حُراً فصرتُ عبدَ اليماني ... من هوى شادنٍ هواهُ براني
وهو نصفان من قضيبٍ ودِعْصٍ[1] ... زان صدرَ القضيبِ رُمّانتانِ

*

غنى إبراهيم أبياتاً فأطلق سجيناً وكان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه فحبسه عشر سنين أو نحوها فقام الرشيد يوماً لحاجته فجعل إبراهيم يغني صوتاً صنعه في شعر كان قد قاله في حبس زَلزَل وهو

هل دهرُنا بكَ راجعٌ يا زَلْزَلُ ... أيامَ يبغينا العدوُّ المبطلُ
أيامَ أنت منَ المكاره آمنٌ ... والخيرُ مُتَّسِعٌ علينا مقبِلُ
يا بؤس مَن فقدَ الإمامَ وقُربَهُ ... ماذا بهِ من ذلّةٍ لو يعقلُ

ودخل الرشيد فجلس في مجلسه ثم قال يا إبراهيم أي شيء كنت تقول؟ فقال خيراً يا سيدي فقال هاته فتلكأ فغضب الخليفة ، وقال هاته فلا مكروه عليك فأعاد الغناء فقَالَ له أتحب أن تراه؟ فقال وهل يُنشَر أهل القبور؟ فقال هاتوا زلزلاً فجاؤوا به وقد ابيَضّ رأسه ولحيته فَسُرَّ به إبراهيم وأمره فجلس وأمرَ إبراهيم فغنّى وشرب الرشيد على ذلك رطلاً ، وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله

*

سأل الرشيد يوماً إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان ، فقال يا أمير المؤمنين ، أُخرِجُ الهَمَّ مِن فكري ، وأُمثِّل الطَرَب بين عيني

(١) الدعص كثيب الرَّمل

فتسوغ لي مسالك الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد فقال له الخليفة يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر وإنّ حُسن وصفك لَمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك

وقد لحّن إبرهيم أبياتاً كثيرة لعدد من الشعراء منهم عمر بن أبي ربيعة ويزيد بن الطثرية وذو الرّمة وابن هَرْمة والعباس بن الأحنف والأحوص وغيرهم

ودخل إبراهيم يوماً على الرشيد فقال له أنا اليوم كسلان خاثِر[1] فإن غنّيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك فغناه

ولم يُرَ في الدُّنيا مُحبّانِ مثلنا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخُزْر[2]

صفيّانِ لا نرضي الوشاةَ إذا وشوا عفيفانِ لا نغشى مِن الأمرِ ما يُزري

فطرب الرشيد فدعا بالطعام فأكل وشرب وأمر له بخمسين ألف درهم

*

يبلغ عدد الأصوات التي صنعها إبراهيم ستمائة صوت على حد تقدير ابنه إسحق وقال إسحق لما دخلتُ سنة ١٨٨هـ واشتد مرض أبي بالقُولَنجْ وقال في ذلك وغنى

مَلَّ والله طبيبي من مقاساة الذي بي

سوف أُنعى عن قريبٍ لعدوٍّ وحبيبِ

فكان آخر شعرٍ قاله وآخر لحن صنعه ، قبل وفاته ومات في اليوم نفسه الكسائي النحويّ والعباس بن الأحنف وهُشَيْمة التي كانت تبيع الخمر فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلّي عليهم فخرج فصفّوا بين يديه فقال من هذا الأول؟ قيل إبراهيم فقال أخّروه وقدّموا العباس بن

(١) خاثر يقال خثرت نفسه أي غثت واختلطت

(٢) الخُزر والخَزْر ضيق العين

الأحنف ، فقُدّم فصلى عليهم فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبدالله ابن مالك الخزاعي ، فقال له كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر قال لقوله

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهيَ التي تشقى بها وتُكابِدُ

ثم قال لهاشم أتحفظ أبيات القصيدة فقال نعم فقال أنشدني بما فيها فأنشده

فجحدتُهم ليكون ذلك ظنُّهم إني ليعجبُني المحبُّ الجاحِدُ
لما رأيتُ الليلَ سَدّ طريقَه عنّي وعذّبني الظلامُ الراكِدُ
والنجمُ في كبد السّماء كأنه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ
ناديتُ مَن طَرَدَ الرُّقادَ بِصَدِّهِ عما أعالجُ وهو خلوٌ جاهِدُ
يا ذا الذي صدعَ الفؤاد بهجره أنت البلاءُ طريفُهُ والتّالِدُ
ألقيتَ بين جفون عيني حُرقَةً فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقِدُ

فقال المأمون أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت له بلى والله يا سيّدي

ابن جامع

(٠٠٠ ـ ١٩٢هـ)

(٠٠٠ ـ ٨٠٨م)

إسماعيل بن جامع السهمي القرشي ، أبو القاسم ويعرف أيضاً بابن أبي وَدَاعة من أكابر المغنّين المُلحِّنين كان أحفظ الناس للقرآن متعبّداً كثير الصّلاة يعتَمُّ بعِمامةٍ سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء في زي أهل الحجاز

ولد بمكة ، وضاق به العيش فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته رحل إلى بغداد واتصل بالخليفة هارون الرشيد فحظي عنده وكان مِن أقران إبراهيم الموصلي إلاّ أن الموصلي يزيد عليه الضرب بالعود

سأل الرشيد ابن جامع يوماً عن نسبه وقال له أيُّ بني الإنس ولَدك يا إسماعيل؟ قال لا أدري فقال له قبّحك الله شيخاً مِن قريش تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم! (وكان يعني إسحق الموصلي)

وكان ابن جامع يحب القمار والكلاب وقد قال يوماً «لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنّين لا يأكلون الخبز

وصف برصوما الزامر إبراهيم الموصلي وابن جامع بقوله «إن الموصلي أشبه ببستان يقع فيه من الثمار الحلو والحامض وما بين هاتين من الحالتين أمّا ابن جامع فهو زقّ عسلٍ جيّد يخرج لك العسل اللذيذ الشهيّ من فمه وجنبه ويده»

ولم يكن ابن جامع يغنّي إلاّ ويطلب إلى برصوما أن يزمّرَ له

*

عرف ابن جامع الفقر وكان يوم لم يجد في جيبه غير ثلاثة دراهم وبينا هو في الطريق وقع نظره على جارية تحمل جرّة متوجهة إلى بئر لتملأها فسمعها تغني

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليل عندنا
وذاك لأنَّ النومَ يغشى عيونهم سِراعاً وما يغشى لنا النوم أعيُنا
إذا ما دنا اللّيلُ المضِرُّ لذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نُلاقي لكانوا في المضاجِعِ مثلَنا

فأعجبه صوتها وجمالها ولكن اللحن شغله عن حسنها فلم يستطع أن يحفظه ، واشتهى أن يسمعه مرة ثانية فلم تمانع وغنت الأبيات من جديد فقال لها «أحسنتِ وربّ الكعبة أعيديه مرة أخرى» فمانعت وطلبت إليه أجرها فناولها الدراهم الثلاثة التي لم يكن لديه غيرها وقالت الجارية له إنك حتماً تريد أن تأخذ عنّي هذا الصوت لتغنيه فتنال منه ثلاثة آلاف درهم ثم انبعثت تغنيه فحذق الصوت تماماً وعاد إلى منزله وهو يردده حتى لا ينساه ثم عاد إلى بغداد

وذات يوم سار ابن جامع على غير هدى في أحد شوارع بغداد فشاهد مسجداً قريباً من قصر الفضل بن الربيع فولج باب المسجد وأقام فيه من صلاة المغرب حتى صلاة العشاء وهو جائع ومتعب وغادر المصلون المسجد وبقي في صحن الجامع رجل يصلّي يحفّ به خدم وحشم فأبصر ابن جامع وعرف أنه غريب عن بغداد وسأله عن حاله وصناعته فقال له إنه مغنٍّ

وغادر الرجل الجامع وترك مع ابن جامع رجلاً يسهر على راحته ، فسأله ابن جامع عن سيده فقال له إنّه سلام الأبرش الذي خدم المنصور وتولى المظالم للمهدي وكان معاصراً لهارون الرشيد

ولم يمض وقت طويل حتى وافاهما رسول ذهب بابن جامع إلى قصر فخم من قصور الخلافة ومرّا بعدة مقصورات إلى أن وصلا إلى مقصورة مدت فيها مائدة حوت المآكل الشهية فأكل ابن جامع حتى شبع ثم جاء من ناوله ماء يغسل به يديه ولباساً قشيباً يرتديه وطيباً يتطيب به ثم غادر المقصورة وامتطى دابّة أقلّته إلى دار عرف أنها دار الخلافة من الحرس حولها

وأُدخل ابن جامع إلى مقصورة واسعة جلس فيها رجل يحتضن عوداً قد جلست عن يمينه ثلاث جوار كل واحدة منهن تحتضن عوداً وخرج خادم من وراء الستار فقال للرجل تغَنَّ فانبعث يغني بصوت لابن جامع

لم تمش ميلاً ولم تركب على قَتَبٍ ولم تَرَ الشَّمسَ إلاّ دونها الكلَلُ[1]
تمشي الهُوَيْنى كأنّ الريح تُرجِعها مشي اليعافير[2] في جيآتها الوَهَلُ[3]

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل وأمرها أن تغني فغنت بصوت لابن جامع كانت فيه أحسن حالاً من الرجل وهو قوله

يا دارَ أضحت خلاءً لا أنيس بها إلاّ الظباءُ وإلاّ الناشطُ[4] الفَرِدُ
أين الذين إذا ما زرتُهم جَذلوا وطارَ عن قلبيَ التشواق والكَمَدُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثت تغني بصوت لحكَم الوادي وهو

فوالله لا أدري أيغلبني الهوى إذا جَدَّ وَشْكُ البين أم أنا غالِبُهْ
فلم أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغلَب صاحِبُهْ

وأمر الخادم الجارية الثالثة أن تغني فغنت بصوت لحُنين

(١) الكلل جمع كلّة وهي ستر يخاط كالبيت (ناموسيّة)
(٢) اليعَافير الظباء
(٣) الوهل الفزع
(٤) الناشط الثور الوحشي

مَـررنا على قـيـسـيَّـةٍ عـامـريَّةٍ لهـا بَشَـرٌ صـافي الأديم هجـانِ[1]
فـقـالت وألقت جـانب السِّتْـرِ دوننا مِـن آيّةِ أرضٍ أو مَـنِ الرّجُـلانِ
فـقـلت لهـا أمّـا تميمٌ فـأسـرتي هُديتِ وأمّـا صـاحـبي فـيـمـاني

ثم عاد الخادم وطلب من الرجل أن يغني فغنّى صوتاً لم يحسن أداءَه والشعر لعمر بن أبي ربيعة ، وهو

أمـسى بأسـماءَ هذا القلبُ معـمودا إذا أقـول صـحـا يعـتـادُه عـيـدا
كـأنَّ أحـوَرَ من غـزلان ذي بَقَـرٍ[2] أعـارها شَـبَـهَ العـينينِ والجـيـدا

ثم عاد الخادم إلى الجارية الأولى فغنت بصوت لحكَم الوادي

تُعَـيِّـرنا أنّا قليلٌ عـديدنا فـقـلت لهـا إن الكرام قليلُ
ومـا ضَـرّنا أنّا قليلٌ وجـارنا عـزيزٌ وجـار الأكـثـرين ذليلُ

وتغنت الثانية

وَدِدْتُكَ لما كـان وُدُّك خـالصـاً وأعـرضت لما صرتَ نهباً مقـسّـما

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء

ومـا كـرّ إلاّ كـان أولَ طاعنٍ ولا أبصـرته الخـيلُ إلاّ اقْـشَـعَـرَّتِ

وغنى الرجل من جديد

لحى الله صُـعلوكـاً مناهُ وهمُّـهُ مِن الدّهر أن يلقى لُبوساً ومطعـما

وتغنت الجارية

إذا كنتَ ربّاً للقلوصِ فـلا يكُن رفـيـقك يمشي خلفهـا غـيـر راكبِ

وتغنت الجارية الثانية بشعر عمرو بن معديكرب

ألم ترَ لما ضـمّني البَلَدُ القَـفْـرُ سمعتُ نداءً يصدعُ القلبَ يا عمرُو

---

(١) الهجان الأبيض الخالص من كل شيء (٢) ذو بقر : وادٍ

وغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة

فلمّـا تواقـفنا وسَلَّمتُ أشـرقت وجـوه زهاها الحُـسن أن تتـقنّعـا

وضاق ابن جامع ذرعاً بالحالة بغناء الرجل وعدم أدائه الأصوات على أصولها ثم طلب منه الخادم أن يغني فغنى الصوت الذي غناه الرجل ولكن على غير ما أدّاه وسأل الخدم عن صاحب الصوت فقال ابن جامع إنه له فضحكوا منه وقال له أحد الخدم يا كاذب! إن هذا الصوت لابن جامع فصمت ابن جامع وأيقن أن الخادم لا يعرفه

ثم غنى ابن جامع في شعر العرجي

عـوجي عليَّ فـسلّمي جَـبْـرُ فـيمَ الصـدود وأنتمُ سَـفْـرُ
مـا نـلتـقي إلاّ ثـلاث منىً حـتى يُفـرِّق بيننا الـدَّهْرُ

وشرب ابن جامع وأعاد الغناء فعاد الخادم وسأله لمن هذا الصوت؟ فقال له إنه لي فاشتد الخادم غاضباً واتهمه بالكذب وقال له إنه غناء ابن جامع عندئذ قال أنا ابن جامع فأقبل عليه أمير المومنين

*

اشتهر ابن جامع بذكائه وفطنته وذات ليلة كان في مجلس عند الخليفة الرشيد فغنّى

خليـفـة لا يخـيب سـائله عليـه تاجُ الوَقـارِ مـعـتَـدِلُ

وراح المغنون يغنون وابن جامع يشرب حتى سكِر وأخذته سنةٌ من النوم فغاب عن المجلس فترة من الوقت ودار الغناء دورته وحلّ دوره فلكزه أحدهم وكان بقربه ففتح عينيه واندفع يغنّي البيت الثاني

اسْلَمْ وحـيّـيت أيهـا الطَلَلُ وإن عـفـتكَ الريّاحُ والسُّـبُلُ

فذهل الجميع من فهمه وذكائه وسُرّ الرشيد بذلك وأمر له بصلة سنيّة

ابن سُرَيْج

(٢٠ ـ ٩٨ هـ)
(٦٤٠ ـ ٧١٦م)

عبيد الله بن سريج مولى بني نوفل بن عبد مناف ، أبو يحيى من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام كان يغني مرتجلاً فيأتي باللحن المبتكر وهو من أهل مكة وأول من ضرب بها على العود بالغناء العربي وقال إبراهيم الموصلي «ما كان ابن سريج إلاّ كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي»

تضاربت الآراء حول لمن كان ابن سريج مولى فقال محمد بن يحيى أبو غسان إن ابن سريح مولى لبني ليث ومنزله مكة وقال الحسن بن عتبة اللّهبي إن ابن سريج كان مولى لبني عائذ

ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص أن ابن سريج كان لا لحية له أو خفيف العارض في عينيه قبلٌ (أي إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى) وقد صلع فكان يلبس القلنسوة المدوّرة أو الجمة (مجتمع شعر الرأس والمراد أنه كان يلبس شعراً مستعاراً) وكان أكثر ما يرى مقنّعاً

وذكر ابن الكلبي عن أبيه أنه قال كان ابن سُريج مُخنَّثًا أحول أعمش يلقب «وجه الباب» وكان يلبس جُمّة ولا يغني إلاّ مقنعاً يسبل القناع على وجهه وكان يوقّع بقضيب وغنّى في زمن الخليفة عثمان بن عفّان ومات في خلافة هشام بن عبد الملك

قال إسحق الموصلي إن أصل الغناء أربعة نَفر مكّيان ومدنيّان ، فالمكيّان ابن سريج وابن محرز ، والمدنيّان معبد ومالك

وأول شهرة ابن سُريج بالغناء كانت في ختان ابن مولاه عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين وسأل إسحق هشام بن المرية وكان قد عمِّر وعالماً بالغناء مَن أحذق الناس بالغناء؟ فقال «ما خلق الله تعالى بعد داود النبي أحسن صوتاً من ابن سُريج ، ولا صاغ الله أحداً أحذق منه بالغناء ، ويدلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال أنا اليوم سُرَيْجي !»

وسأل الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك إبراهيم الموصلي ليلة وقد أخذ منه النبيذ مَن أحسن الناس غناءً؟ فقال من الرجال أم من النساء؟ من الرجال ابن محرز ، ومن النساء ابن سريج (إشارة إلى أنه مخنّث)

وكان ابن سريج أول من غنّى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه

*

كان ابن سريج يغني في بستان ابن عامر في الحج وقت الطّواف

لمنْ نارٌ بأعلى الخيفِ دون البئر ما تخبو
أرقت لذكرِ موقعها فحنَّ لذكرها القلبُ
إذا ما أخمدت أُلقي عليها المندل الرّطبُ

فلما سمع الناس الغناء توقفوا عن الحج وحبسوا في مكانهم لجودة الغناء وما زالوا كذلك حتى جاء ابنَ سريج أحدهم وقال له أن يكف عن الغناء ويسرّي عن الحجيج اتقاء الله فعمل بقول الرجل ومضى في طريقه

وخرج ابن الزّبير ليلة إلى أبي قبيس فسمع غناءً ، فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه ، فقالوا إن بك شرآ! قال إنه ذاك قالوا ما هو؟ قال لقد سمعت صوتاً إن كان من الجنّ إنه لعجب وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيء قال فنظروا فإذا ابن سريج يغني من شعر يزيد بن معاوية

أمِنْ رَسْم دارٍ بوادي غُـــدَرْ[1] لجـــارِيةٍ مِن جـــواري مُـــضَـــرْ
خـــدلّجـــةِ[2] الســـاق ممكورةٍ[3] سلوس[4] الوشـاح كـمـثـل القـمـرْ
تزينُ[5] النســـاء إذا مـــا بدت ويُـبـهـتُ[6] في وجـهـهـا مَن نَظَرْ

وقد بلغ عدد الأصوات التي غنى بها ابن سريج ثلاثة وستين صوتاً

ومدح الشاعر جرير ابن سريج ، فعندما زار مكة أو المدينة جلس مع قوم يعرضون عليه غناء رجل من المغنين ، حتى غنّوه لابن سريج فطرب وقال «هذا أحسن ما سمعته من الغناء كله» قالوا وكيف قلت ذلك يا أبا حزرة؟ قال «مخرج كل ما أسمعتموني من الغناء يخرج من الرأس ومخرج هذا يخرج من الصدر»(وكان يغني الغنوة لابن سريج)

وعن تأثير غناء ابن سريج في النفوس قصتان إحداهما جرت له مع عطاء بن أبي رباح الفقيه المعروف ، وابن جريج ، والثانية مع يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة

أمّا القصة الأولى فهي أن ابن سريج كان يجلس على شرفة داره عندما مر من أمامه عطاء وابن جريج فأقسم أن يقفا ويستمعا إلى غنائه وإلاّ فإن امرأته طالق وحلف أن يترك الغناء إذا هما نهياه عنه وزجراه فيه بعد سماع صوته فلم يمانعا ووقفا للاستماع فغنى

إخـــوتي لا تبـــعـــدوا أبداً وإبـلـي والله قـــد بـعـــدوا

فجعل عطاء يرقص ووقع ابن جريج على الأرض مغمى عليه

---

(١) غدر الموضع الكثير الحجارة الصعب المسلك
(٢) خدلّجة الممتلئة الذراعين والساقين .
(٣) الممكورة المكتنزة اللحم المطوية الخلق
(٤) سلوس الوشاح قلقة الوشاح ليّنته .
(٥) تزين المعتدة بنفسها
(٦) بهت دهش وتحير وانبهر

وأما القصة الثانية فتتلخّص بما يلي

سأل يزيد بن عبد الملك حبّابة يوماً إذا رأت أشد طرباً منه يفعل فيه الغناء أكثر مما يفعل فيه فقالت أجل يا أمير المؤمنين . الرجل الذي اشتريتني منه فأمر يزيد بإحضار مولاها القديم مقيّداً بالسلاسل ولما جيء بالرجل أدخل إلى المقصورة التي جلس فيها يزيد وهو يستمع إلى غناء جاريتيه حبابة وسلاّمة فأمر يزيد سلاّمة بأن تغني لحن الغريض من شعر عمر بن أبي ربيعة الذي يقول فيه

تشطّ غداً دار جيراننا ... وللدّار بعد غد أبعدُ
وآية ذلك أن تسمعي ... إذا جئتكم ناشداً ينشدُ
فرحنا سراعاً وراح الهوى ... دليلاً إليها بنا يقصدُ

فاستخفّ الرجلَ المقيدَ الطربُ وجعل يتحرك في أصفاده بغية التخلص منها وأمر يزيد حبابة بأن تغنيه هذا الشّعر عينه ولكن بلحن ابن سريج فلم يكن من مولاها إلاّ أن وثب من مكانه وأخذ يقفز على قدميه الواحدة بعد الأخرى وهو بادي التأثر والانفعال بسبب الغناء الجيد ووصل إلى شمعة تحترق فأدنى منها لحيته المسترسلة فاشتعلت وأكلتها النار فصاح إليَّ إلي الحريق الحريق أسعفوني! فاستلقى يزيد من شدة الضحك وأقر بأن هذا الرجل أكثر طرباً منه بل هو أطرب الناس طرّاً وخلع عليه جائزة سنيّة وسمح له بالعودة إلى أهله وبلده

*

وقيل إن سليمان بن عبد الملك عين جائزة مالية للمغني الذي ينشد أحسن صوت واجتمع المغنون في البلاط ، وفات الميعاد المحدد فأغلق الحاجب الباب ، وراح كل مغن ينشد بدوره ووصل ابن سريج متأخراً فلم يسمح له الحاجب الذي بالباب أن يدخل فجلس مكانه وأنصت حتى انتهى المغنون في الداخل فاندفع يغني بشعر عروة بن أذينة

سـرى همّي وهمُّ المرءِ يسـري وغـاب النجمُ إلا قـيس فـتْـرِ
أراقب في المجـرّةِ كلَّ نجمٍ تعـرّضَ للمـجـرّة كـيف يجـري
لـهَـمٌ لا أزالُ لـه مـديماً كـأن القلبَ أسـعـرُ حَـرّ جـمـرِ
على بَكْرٍ أخي ولّى حـمـيـداً وأيّ العـيش يصـفـو بعـد بكْرِ

فلما سمع سليمان الغناء قال إن هذا الصوت هو صوت ابن سريج فمنحه الجائزة وكانت كيساً فيه سبعة آلاف دينار وقيل بل ألف درهم أو عشرة آلاف ثم أمر بإدخاله البلاط فاستعاده الصوت فأعاده ، وعندئذ أمر بدفع الجائزة إليه

ولما كان ابن سريج على فراش الاحتضار قال لابنته إنه سيغادر هذه الفانية وهو مهموم لأنه سيتركها وحدها ويخاف أن تذل بعده فلا تجد من تركن إليه فيعولها فقالت له «إنا لا أرى مبرراً لغمتك فقد حفظت كل الأصوات التي غنّيتها وباستطاعتي أن أكسب منها قوتي» ففرح والدها وسألها أن تغنيه ليرى صدقها فغنّت وسُرّ أبوها بذلك وقال لها

ـ الآن يمكنني أن أموت مرتاح البال

ثم دعا ابن سريج سعيداً بن مسعود الهُذلي فزوجه إياها فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله

ولما توفي ابن سريج قال معبد «الآن أنا أحسن الناس غناء» ! فسأله أحدهم ومتى لم تكن أحسن الناس غناءً؟ قال لم أكن أحسنهم غناء في حياة ابن سريج ، أما الآن وقد مات فقد أصبحت في المرتبة العليا

ابن عائشة

(٠٠٠ ـ نحو ١٠٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧١٨م)

محمد ابن عائشة ، أبو جعفر موسيقار من المقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان في العصر الأموي ، يرتجل ذلك ارتجالاً من أهل المدينة يُنسب إلى أمه وكانت مولاة لأحد بني كندة ويضرب المثل في ابتدائه بالغناء حتى قيل للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن أو إنشاء شعر أو غناء كأنّهُ ابتداء ابن عائشة

قال إسحق الموصلي كان ابنُ عائشة يَفْتنُ كُلَّ مَن سَمعه وكان فتيانٌ من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته أخذ الغناء عن معبد ومالك واعترف بفضلهما

قيل إن ابن عائشة كان ضارباً ولم يكن بالجيّد الضّرب وقيل بل كان مرتجلاً لم يضرب قط

ذُكر أن ابن أبي عتيق رأى حَلْقَ ابن عائشة مُخدَّشاً فقال له مَن فعل هذا بك؟ قال فلان فمضى ونزع ثيابه وجلس للرّجل على بابه فلمّا خرج أمسك به وراح يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له ما لكَ تضربني ! أيّ شيء صنعت؟

لكن ابن أبي عتيق لم يجبه حتى بلغ منه ثم خلاّه وأقبل على من حضر وهو يضربه وقال

ـ إن هذا الرجل أراد أن يكسر مزامير داود لقد شدَّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه

قال يونس الكاتب ما عرفنا بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنّى ولو كان آخر غنائه مثلَ أوّله لقَدّمته على ابن سُريج وأضاف كان ابن عائشة يضرب بالعود لكنه لمَ يكن مجيداً وكان غنائه أحسنَ مِن ضربه

*

ذُكر المغنون يوماً بالمدينة فقيل لم يكن بها أحد بعد طويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً، وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير مَلك

حدّث جرير قال كان ابن عائشة تائهاً سيئ الخُلُق فإن قال له إنسان تَغَنّ، قال «ألمثلي يُقال هذا» وإن قال له إنسان وقد ابتدأ بغناء أحسنت، قال «ألمثلي يُقالُ أحسنت» ثم يسكت، فكان قليلاً ما يُنتَفَعُ به

وذات يوم جلس ابن عائشة على قرن بئر فبينا هو كذلك إذ طلع الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) على بغلة وخلفه غلامان أسودان فقال لهما امضيا رويداً حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك ثم نادى الحسن ابن عائشة

ـ كيف أصبحت يا ابن عائشة؟

قال

ـ بخير فداك أبي وأمّي

فقال له الحسن

ـ انظر مَن إلى جنبك

فنظر فشاهد العبدين فقال له

ـ أتعرفهما يا ابن عائشة؟

قال

ـ نعم يا مولاي

قال الحسن

ـ فهما حُرّان لئن لم تُغَنِّني مائة صوت لآمُرُهُما بطرحك في البئر وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأقطعَنّ أيديهما

فاندفع ابن عائشة فغنى والشعر لأبي العيال الهُذلي

ألا لله دَرُّك من فـــــتى قـــــومٍ إذا رَهِبـــــوا
وقالوا من فتىً للحربِ يَر قـــــبنـا وَيَـرْتَـقِـبُ

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت، وكان آخر صوت غناه

قُلْ للمنازل بالظَّهـرانِ قـد حـانا أن تنطفي فَـتَـبـيني القـولَ تِبْـيـانا

•

حدّث جرير قال

«أخذ بعض ولاة المدينة المغنّين والمخنّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله ﷺ، وكان في المسجد رجل ناسك يُكنى أبا جعفر مولى لابن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي يُقرئ الناس القرآن وكان ابن عائشة يلازمه

فخلا لابن عائشة يوماً الموضع مع أبي جعفر فقرأ له فطرِبَ ورَجّع فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثله قطُّ فقال له

يا ابن أخي أفسدت نفسك وضيَّعتها، فلو أنّك لزمت المسجد وتعلّمت القرآن لأمَّمْتَ للناس في مسجد الرسول ﷺ في شهر رمضان ولأصبت مِن الولاة خيراً فوالله ما دخل أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك

فقال له ابن عائشة

ـ فكيف لو سمعت يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنع له!

قال

ـ ما هو؟

قال

انطلق معي حتى أسمعكهْ

فخرج معه إلى مطهرة كبيرة يتوضّأ منها «ببقيع الغرنق»[1] عند دار المغيرة بن شُعبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم، فاندفع ابن عائشة يغني والشعر للوليد بن يزيد ويقال لابن رُهَيمة

---

(١) بقيع الغرنق مقبرة أهل المدينة المنوّرة

طرَق الخيـالُ المُعتـري وَهْناً فـؤادَ العـاشقِ
الآن أبصـرتُ الهـدى وعـلا المَشيبُ مـفارقي
ولقـد رضيت بعيـشنا إذ نحن بين حـدائقِ

•

تضاربت الروايات حول وفاة ابن عائشة ، ففي إحداها أنه أقبل من الشام حتى وافى «قصر ذي خُشُب» وهو واد على مسيرة ليلة من المدينة في طريق الشام ونزل فيه وكان معه مال وطِيب وكسوة ثمينة ، فشرب هو والقوم وصعدوا إلى السطح فرأوا نسوةً يتنزّهن في ناحية الوادي فالتفت ابن عائشة إلى أصحابه وقال لهم

ـ بوسعي أن أجعل هؤلاء النسوة يقبلنَ إلينا

ولبس ملاءةً مدلوكة ووقف على إحدى شرفات القصر واندفع يُغني أبياتاً للشاعر عُروة بن أُذينة

سليـمى أزمَـعتْ بينا فـأينَ تقـولهـا أيْنا
وقـد قـالت لأترابٍ لهـا زُهْرٍ تلاقـيْنا
تعـالَيْنَ فـقـد طابَ لنا العـيشُ تعـالَيْنا
فـأقـبلن إليـهـا مـسـ ـرعـاتٍ يتـهـاديْنا
إلى مـثل مـهـاة الرّملِ تكسـو المجلس الزَّينا
إلى خَـوْدٍ مُنَعّـمَـة حَـفَـفْنَ بهـا وَفَـدَّينا
تمـنَّـينَ مـنـاهُـنَّ فَكُنّا مـا تمَنَّيْنا

وصدق حدس ابن عائشة وأقبلت النسوة إليه فطرب لذلك وزلت به القدم فوقع عن الشرفة ودقت عنقه فمات

وفي رواية أخرى أن ابن عائشة قدم المدينة ومات فيها

ابن مُحْرِز

(٠٠٠ ـ نحو ١٤٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٥٧م)

مسلم بن محرز ، أبو الخطاب ، مولى بني عبد الدار أحد المقدمين في صناعة الغناء والألحان فارسي الأصل كان أبوه بمكة من خدّام الكعبة فنشأ هو بمكة ثم كان يقيم فيها مدة وفي المدينة مدة يتعلم في الثانية العزفَ من المغنية عزّة الميلاء وشخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وسار إلى الشام فتعلم غناء الروم وألحانهم

مزج ابن محرز غناء الفرس والروم وأخذ منها أغانيه التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يسمع مثله وكان يقال له «صنّاج العرب»

اشتهر في صدر الدولة العباسية وأصيب بالجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس

وابن محرز هو أول من غنّى الرمل وما غُنِّيَ قبله ونظراً لإصابته بالجذام فقد كان قليل الملابسة للناس فأخمل ذلك ذكره فما يذكر منه إلاّ غناؤه

وأخذت أكثر أغانيه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذه الناس عنها ومات بداء الجذام

وكان ابن محرز أول من غنّى بزوج من الشِّعر ، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به وكان يقول الأفراد لا تتم بها الألحان وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح ولما زار القادسية وهي بلدة قرب الكوفة في العراق لقيه المغني حُنين فقال كم مَنّتك نفسك من العراق؟ قال ألف دينار قال فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلف ألاّ تعود

وقيل إن ابن محرز كان أحسن الناس غناءً فكأنه خُلِق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي

ومرّ ابن محرز بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان ابن أمية بن محرث الكناني حليف قريش فسألته أن يجلس لها ولصواحبها ففعل وقال أغنّيكنَّ صوتاً أمرني به الحارث بن خالد بن العباس بن هشام أن أغنيه لعائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له فيها وهو يومئذ أمير مكة؟ قلن غَنِّنا فغناهُنّ

فوددتُ إذ شحطوا وشطّت دارهم ... وعدَتهمُ عنا عوادٍ تشغلُ
أنّا نُطاع وأن تُنقَّل أرضُنا ... أو أنَّ أرضهم إلينا تُنقلُ
لتَرُدَّ من كثَبٍ إليك رسائلي ... بجوابها ويعودُ ذاك المُرسَلُ

وقال أبو أيوب المديني بلغني أن ابن محرز لما التقى المغني حنيناً قال حنين غنّني صوتاً من غنائك ، فغناه من شعر بن أبي ربيعة

وحُسنُ الزَّبرجَد في نظمه ... على واضحِ اللّيتِ[1] زانَ العقودا
يُفضّلُ ياقوتُهُ دُرَّهُ ... وكالجمرِ أبصرت فيه الفريدا[2]

فلما سمع حنين ذلك قال له كم أملت من العراق؟ قال ألف دينار فقال له هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف ولما شاع ما فعله حنين لامه أصحابه فقال لهم

ـ والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبز آكله وسقطت إلى آخر الدّهر وهذا الصوت أعني «وحسن الزبرجد في نظمه» من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها ، وما لا يتعلّق بمذهبه فيه ولا يتشبّه به أحد

---

(١) الليت : صفحة العنق
(٢) الفريد الدّر إذا نظم وفصل بغيره .

ابن مِسْجَح
(٠٠٠ ـ نحو ٨٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٠٤م)

سعيد بن مسجح ، مولى بني جمح ، أبو عثمان أو أبو عيسى ملحّن من كبار المغنين كان أسود من أهل مكة رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم وانتقل إلى فارس فنقل غناءها إلى غناء العرب ، وعاد إلى الحجاز ، فأهمل ما لم يستسغه من النبرات والنغم في غناءي الفرس والروم ، وجعل لنفسه مذهباً في التلحين تبعه فيه الناس من بعد وكان من تلاميذه ابن سُريج والغريض

وكان ابن مسجح فَطناً ذكياً وكان مولاه معجباً به ، وكان يقول «ليكونَنّ لهذا الغلام شأن ومَا منعني من عتقه إلا حُسن فراستي فيه ، ولئن عشتُ لأتعرّفنَّ ذلك وإن مت فهو حُر» وسمعه مولاه يوماً وهو يتغنّى بشعر ابن الرِّقاع العاملي

أَلمِمْ على طَلَلٍ عفا متقادِمِ بين اللَّكيك[1] وبين غَيْبِ النّاعِمِ[2]
لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا[3] فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسِمِ

فدعا به مولاه وقال له يا بنيّ أعد ما سمعته منكَ علي فأعاده فإذا هو أحسن مما ابتدأ به ثم قال له أنّى لك هذا؟ قال سمعت هذه الأعاجم تتغنّى بالفارسية ففهمتها وأخذتها وقلبتها في هذا الشِّعر فقال له «أنت حُرٌّ لوجه الله» لكنَّه لزم مولاه وكثر أدبه واتَّسع في غنائه ومهر بمكة وأُعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوه

---

(١) اللكيك موضع في ديار بني عامر (٢) غيب الناعم موضع (٣) عثا أفسد

دفع إليه مولاه عُبيدَ الله بن سُريج وقال له يا بني علّمه واجتهد فيه وكان ابن سريج أحسن الناس صوتاً فتعلم منه ثم بَرّزَ عليه حتى لم يعرف له نظير

وذكر ابن الكلبي عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة ، قال دخلت على رجلٍ من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطّرف نبيلٌ تأخذه العينُ لا أعرفه فقال له القرشي أقسمتُ عليك إلاّ ما غنيت صوتاً فحوّل خاتمه من خنصره اليُسرى إلى بُنصرهِ اليمنى ثم تناول قدحاً ، فغنّاه لحنَ ابن سريج في شعر توبة بن الحُمَيِّر

وغَـيَّـرني إن كنتِ لما تَغَـيَّـري هواجـرُ تَكْتَنّينَهـا وأسـيـرُها

وأجاد ابن مسجح في الغناء

وقال أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمارة بن صفوان الجُمَحي عن أبيه قال أول من نقل الغناء الفارسي إلى الغِناء العربي سعيد بن مسجح فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ثم صاغ على نحو ذلك وهو الذي علم الغريض

*

حدّث دحمان الأشقر قال كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة ، فنمي إليّ أنَّ رجلاً أسودَ يقال له سعيد بن مسجح أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم فكتب إلي اقْبض ماله وسيّره ففعلت فتوجه ابن مسجح إلى الشام فصحبه رجلٌ له جَوارٍ مغنيات في طريقه فقال له أين تريد؟ فقال أريد الشام فقال له فتكون معي قال نعم فصحبه حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا مَن أخص الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه فسلم عليهم ابن مسجح ثم قال يا فتيان هل فيكم مَن يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟

فنظر بعضهم إلى بعض وكانوا على موعدٍ للقاء قينة يقال لها «برق

الأفق» فتثاقلوا به ، إلاّ أن فتى منهم خشي الذّم واللوم فقال أنا أُضيفك ثم قال لأصحابه انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي فقالوا لا بل تجيء معنا أنت وضيفك فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة

فلما أتوا بالغداء قال لهم ابن مسجح إني رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يَقْذَرُني فأنا أجلس وآكل ناحية وقام فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب أخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضع لهما فغنّتا إلى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلست الجاريتان أسفل منها عن يمين السرير وشماله

قال ابن مسجح فتمثّلت[1] هذا البيت

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بيعَةٍ[2] بدت لكَ خلفَ السَّجفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت أيضرب هذا الأسود بي الأمثال؟ فنظروا إلي نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونها ثم غنت صوتاً لابن سريج فقال ابن مسجح أحسنت والله فغضب مولاها وقال أمثلُ هذا الأسود يُقدِم على جاريتي؟ فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده «قم فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم» فذهبت أقوم فتذمّم القوم وقالوا لي «بل أقم وأحسن أدبك» فأقمت وغنت الجارية فقلت أخطأت والله يا زانية وأسأت

ثم اندفعت فغنيت الصوت فوثبت الجارية وقالت لمولاها هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح فقلت إنّى والله أنا هو ، والله لا أقيمُ عندكم

فوثب القرشيون فقال أحدهم هذا يكون عندي وقال ثان هذا يكون عندي وقال ثالث بل عندي فقلت لهم والله لا أقيم إلا عند سيدكم (وكان يعني الرجل الذي أنزله منهم) ثم سألوه عن خبره فقال له صاحبه إني أسمرُ الليلة مع أمير المؤمنين فهل تُحسنُ أن تحدو؟ قال لا ولكني أستعمل حداءً قال إن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ

---

(١) تمثلت ضربته مثلاً ٢ ـ البيعة الكنيسة

منه طيب نفسٍ أرسلت إليك

ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طَيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شُرف القصر ثم حدا

إنّك يا مُعاذُ يا ابن الفُضَّلِ إنْ زُلزِلَ الأقدامُ لم تُزَلزَلِ
عن دين موسى والكتابِ المُنْزَلِ نُقيمُ أصداغَ[1] القرونِ المُيَّلِ
للحقِّ حتى يَنتحوا للأعدَلِ

فقال عبد الملك للقرشي مَن هذا؟ قال رجل حجازي قدِم علي
قال أحضرْهُ فأحضَرَه وقال له
ـ اخْدُ مُجداً هل تغني غناء الرّكبان؟
ـ نعم يا أَمير المؤمنين
ـ غَنِّه
فتغنى ابن مسجح ، ثم قال له الخليفة
ـ هل تُغني الغناء المتقن؟
ـ نعم يا سيدي
ـ غَنِّه

فتغنى ابن مسجح فاهتز عبد الملك طرباً ثم قال «أقسم أن لك في القوم لأسماء كثيرة من أنت؟» فأجاب «أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّرُ عن وطنه سعيد بن مسجح قبض مالي عامل الحجاز ونفاني

فتبسم عبد الملك ثم قال له

ـ لقد وضح عذر فتيان قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم

وأمّنه الخليفة ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاّ يَعرضَ له بسوء

---

(١) أصداغ من صدغ بمعنى مالَ

أبو حشيشة

(القرن الثالث الهجري)

محمد بن أُميّة ، ويكنى أبا جعفر ، وإنما أبو حشيشة لقب غلب عليه جميع أهله اتصلوا بإبراهيم بن المهدي ، وكان هو من بينهم يغنّي بالطنبور أحسن غناء وكان أبوه وجدّه وأخواله كتّاباً وقد اتصل بعدد غير قليل من الخلفاء ، أولهم المأمون وآخرهم المعتمد ، إلاّ أن أكثر ما كان ينقطع إليهم من الأمراء أبو أحمد بن الرشيد

في الكتاب الذي وضعه أحمد بن جعفر جحظة في أخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات ، جاء أنه شاهد أبا حشيشة مدة وكان يتغنّى في أشعار لخالد بن محمد الكاتب وابن أبي أُميّة ولم يتحاشَ القول إنه كانت له صنعة يتقدّم فيها كل طنبوري ، ومنها

كأنَّ هموم الناس في الأرض كلها ... علي وقلبي بينهم قلب واحد
ولي شاهدا عدْلٍ سهادٌ وعبرة ... وكم مدّعٍ للحق من غير شاهد

وقد شاهده كذلك يوم قدم مع ابن المدبّر بين يديّ المعتمد وقد غنّاه في شعر علي بن محمد بن نصر

لما أنسْتِ بدا لكْ ... واسوأتا من فعالكْ
لما ملكتِ وصالي ... آيَستني من وصالكْ

فوصله بمائتي دينار

وهذه شهادة عَريب المأمونية في حسن غناء أبي حشيشة نقلاً عن ابن نوبخت - أي علي بن العباس - أنه كان عند إبراهيم بن المدبّر وعريب في

المجلس فتغنّى، فقلت له أحسنتَ، يا أبا جعفر، ولو عاش الشيخان (وهي تقصد مُخارق وعلُّويه) ما قلت لهما ذلك

كان المأمون أول من سمعه من الخلفاء وهو في دمشق، وفقاً لما جاء في الكتاب المشهور الذي ألّفه أبو حشيشة نفسه وطواه على ما جمع من أخباره مع من عاشر من الخلفاء، وما كانوا يطلبون إليه أن يغنّيهم من أصوات تعجبهم

وكان مخارق هو من وصف أبا حشيشة للمأمون الذي أمر بإشخاصه إليه، وأمر له بخمسة آلاف درهم ليتجهز بها فلما دخل مجلسه، قرّبه منه وأعجب به والتفت قائلاً للمعتصم هذا من خدمك وخدم آبائك وأجدادك، يا أبا إسحق كان جده أُميّة كاتب جدك المهدي على كتابة السر وبيت المال والخاتم وحجّ المهدي أربع حجج وكان جدّه رفيقه فيها جميعاً واشتهى المأمون أن يسمع من غنائه في شعر لدعبل

كان يُنهى فنهى لما انتهى ... وانجلت عنه غيابات الصِّبا
خلع اللهو وأضحى مسبلاً ... للنُهى فَضْلَ قميصٍ وردا
كيف ترجو البيضُ من أوّلُهُ ... في عيون البيض شيبٌ وجلا
كان كحلاً لمآقيها فقد ... صار بالشيب لعينيها قذى

وكان مخارق قد حذّره من أن يغنّي صوتاً يذكر فيه الشيب وإن اقتصر على البيتين الأولين لأن المأمون كان يكره ذلك الشيب، ولا سيما من المغنين، وقد أمرهم بألاّ يغنيه أحد منهم شيئاً من ذلك ولكن أبا حشيشة سكر يوماً فغنّى الأبيات كلها بما فيها ذكر الشيب فقال المأمون لمخارق ألا تُحسن أدب هذا الصبي؟ فضربه مخارق ضربة شديدة، ومذ ذاك لم يعد يغنّي أي شعر فيه ذكر للشيب

وكان المعتصم يشتهي أن يسمع منه هذا الصوت من شعر الأهرم بن حميد

أســـــرفت في ســـــوء الصنيعِ وفـــــتكتَ بي فـــــتك الخليعِ
وولعتَ بي مـــــتـــــمـــــرّناً والعـــــــذر فـي طرْفِ الولوعِ
صـــيّـــرتُ حـــبّك شـــافـــعـــاً فـــأتيتُ من قـــبَل الشـــفـــيعِ

وكان الواثق يختار من غنائه في شعر محمد بن سعيد الأسدي

يـا تـاركـي مـــــــتـــلـــدِّدَ العُـــوَّادِ جـــذلانَ العُـــداة
انـظـر إلـيّ بـعـين راضٍ نـظـرة قـــــبـل المـمـــــــاتِ
خلّـيـــــتني بين الوعـــــيـــــد وبين ألسنة الوشـــــاة
مـــــاذا يُرجّي بالحـــــيـــــاة منغّصٌ رَوْحَ الحـــــيـــــاة

وكان الخليفة المتوكل يحبُّه ويستخفّه ، ومن أغانيه الكثيرة التي كان يشتهيها على أبي حشيشة هذا الصوت ، والشعر هو لأبي حشيشة نفسه

أطعتَ الهـــوى وخلعت العـــذارا وباكـــرت بعـــد القـــراح العُـــقـــارا
ونـازعـــك الـكـأس مـن هـاشـم كـــريمٌ يحبُّ عليـــهـــا الوقـــارا
فـــتىً فـــرَّق المجـــد أمـــواله يجـــرُّ القـــمـــيص ويُرخي الإزارا
رأى الله جـــعـــفـــر خـــيـــرَ الأنام ، فـــــملّكه ، ووقـــــاه الحـــــذارا

وكان ما يشتهيه المستعين هذا الصوت من شعر محمد بن أُميّة

ومـــا أنسَ لا أنس منهـــا الخـــشـــوع وفـــيض الدمـــوع وغـــمـــز اليـــد
وخـــدّي يُضـــاف إلى خـــدّها قـــيـــامـــاً إلى الصـــبح لم نَرقُـــدِ

وكان المعتمد أخيراً يشتهي عليه سماع

قـلـبـي يـحـــــــبّك يـا منـى قلبي ويُبـــغض من يحـــبُّكْ
لأكـــــون فـــــرداً في هواك ، فليت شـــعـــري كـــيف قلبكْ

أمـا الوزير الفتح بن خاقـان ، فكان يشـتهي على أبي حشـيشـة هذا الصوت

قالوا عشقت فقلتُ أحسنَ من مشى والعـــشق ليس على الكريم بعـــارِ
يا من شكوتُ إليـه طول صـبـابتي فـــأجـــابني بتـــهـــجُّم الإنكار

وسمع إسحق بن إبراهيم الموصلي غناء أبي حشيشة فاستحسنه ، وسئل عنه فقال غناء الطنبور كله ضعيف وما سمعت أقوى ولا أصحّ من هذا قط

أما سبب موت أبي حشيشة في سر من رأى أن غلام الفضل أبي طاووس أقبل عليه في يوم بارد يدعوه إلى الصبوح ، فقال أنا لا آكل إلاّ طعاماً حاراً ، وليس عندك إلاّ فضلة من مُجْلّيّة ! قال ساعدني وكل معي ، فجمّدت دم قلبه ، فمات ، فحدره إبراهيم بن المدبّر إلى بناته ، وما كسبه في سر من رأى معه فاقتسمنه

*

أحمد بن صَدَقَة

(٠٠٠ ـ ٠٠٠)

(٠٠٠ ـ ٠٠٠)

أحمد بن صدقة بن أبي صدقة مُغنٍّ ـ كان أبوه حجازيّاً مغنّياً ـ قدم على الرشيد وغَنّى له وكان أحمد طنبورياً مُحسناً وحاذقاً حسن الغناء محكم الصنعة وله غناء كثير في الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطَنبوريين

وكان ينزل الشام ، فوصف للخليفة المتوكل ، فأمر بإحضاره فقدِم إليه وغَنّاه فاستحسنَ غناءَه وأجزل صلته واشتهى الناس غناءه وكثر من يدعوه فكسب بذلك أكثر مما كسبَهُ من المتوكل أضعافاً

قال جحظة كان لأحمد بن صدقة صنعة ظريفة كثيرة وحدّث حمّاد ابن إسحق قال «حدثني أحمد بن صدقة قال اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت له أنشدني بيتين من شعرك حتى أُغنّي فيهما قال وأيّ حظٍّ لي في ذلك؟ تأخذ أنتَ الجائزة وأحصل أنا الإثم فحلفت له أني إن أفدْتُ بشعرهِ فائدة جعلت له منها حظّاً أو أذكرت به الخليفة ، وسألته فيه ، فقال

ـ أمّا الحظ من جهتك فأنت أنذل من ذلك ، ولكن عسى أن تُفلح في مسألة الخليفة ! ثم أنشدني

تقـــولُ ســـلا فَـــمَنِ المُدنَفُ ومَـن عَـــــــيْـنُـهُ أبداً تَـذْرِفُ

ومَن قـلبُـــــهُ قَلِـقٌ خـــــافِقٌ عـليكَ وأحـــــشـــــاؤُه تَـرجِفُ

فلمّا جلس المأمون للشراب دعاني وكان قد غضبَ على حَظِيَّة له

فحضرت مع المغنيّن فلمّا طابت نفسه وجَّهتُ إليه بتفّاحة عنبر عليها مكتوب بالذّهب يا سيدي سلوتَ

ولم أعرف ، يقول أحمد بن صدقة ، شيئاً من الخبر وانتهى الدَّور إلي فغنيت البيتين ، فاحمر وجه الخليفة المأمون وانْقَلَبَت عيناه وقال لي

ـ يا ابن الفاعلة ، ألكَ عليَّ وعلى حَرَمي صاحب خبر؟

ـ فوثبت وقلت له

ـ يا سيّدي ما السّبب؟ !

فقال لي

ـ مِن أين عرفتَ قصّتي مع جاريتي حتى غنّيت في معنى ما بيننا؟

فحلفت له أنّي لا أعرف شيئاً من ذلك وحدّثته حديثي مع خالد فلما انتهيت إلى قول خالد أنت أنذل من ذلك ضحك أمير المؤمنين وقال صدق ، إن هذا لاتّفاقٌ ظريف

ثم أمر لي المأمون بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها

*

حَدّث حماد بن إسحاق قال حَدّثني أحمد بن صدقة قال دخلت على المأمون يوم عيد الشعانين عند النصارى وبين يديه عشرون وصيفة جَلَباً روميات مُزَنّرات وقد تزيَّنَّ بالديباج الرومي وعلّقْن في أعناقهن صلبان الذهب وفي أيديهن الخوص والزيتون فقال لي المأمون

ـ ويلك يا أحمد قد قُلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنِّني بها ، ثم أنشدني

ظبـــاءٌ كـــالدّنانيـــرِ مـــلاحٌ في المقـاصـيـرِ
جـــلاهُنَّ الشَّـــعـــانينُ علـيْنا فـي الزَّنـانيـــرِ
وقـــد زَرَّفْنَ أصـــداغـــاً كـــأذنـابِ الـزّرازيـرِ
وأقـــبلن بأوســـاطٍ كـــأوســـاطِ الزّنابيـــرِ

فحفظتها وغنيته فيها ، فلم يزل يشرب وترقص الوصيفات بين يديه أنواع الرقص حتى سكر فأمر لي بألف دينار ، وأمر بأن يُنثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار فقبضت الألف ونُثِرت الثلاثة آلاف دينار عليهن فانتهبتها معهن !

*

ولم يزل أحمد بن صدقة مقيماً في بغداد حتى بلغه موت بُنيّة له بالشام ، فشخص نحو منزله وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه

إسحق المَوْصلي

(١٥٥ ـ ٢٣٥هـ)

(٧٧٢ ـ ٨٥٠م)

إسحق بن إبراهيم بن ميمون المَوْصلي التميمي ، أبو محمد بن النديم من أشهر ندماء الخلفاء تفرّد بصناعة الغناء وكان عالماً بالموسيقى واللغة والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، وراوياً للشعر حافظاً للأخبار ، شاعراً له تصانيف من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً فارسي الأصل مولده ووفاته ببغداد عمي قبل موته بسنتين

نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين ولما مات نُعي إلى المتوكّل فقال ذهب صدر عظيم من جمال المُلك وبهائه وزينته من مؤلفاته «كتاب أغانيه» التي غنّى بها و«أخبار عزّة المَيْلاء» و«أغاني معبد» و«جواهر الكلام» و«النّغم والإيقاع» و«قيان الحجاز»

قال حماد بن إسحق عن أبيه قوله «رأيت في منامي كأن الشاعر جريراً جالسٌ ينشد شعرَه ، وأنا أسمع منه فلما فرغ أخذ بيده كُبَّةَ شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها فأوّل ذلك بعض مَن ذكرته لو أنه أورثني الشعر» وقال يزيد بن محمد «وكذلك كان لقد مات إسحق وهو أشعر أهل زمانه»

وكان إسحق بخيلاً بالغناء فقد قالت دمْن وهي جاريته وأحظى من عنده «إنني لم آخذ من إسحق إلاّ صوتاً واحداً ، عندما انصرف من دار الخليفة وهو مشخنٌ سُكْراً فدخل إلى بيت كان ينامُ فيه ، فرأى عوداً معلّقاً فأخذه وقال لخادمه يا غلام صِحْ لي بدِمْن فجاءني الغلام فخرجت فلما

بلغت الباب إذا هو مستلقٍ على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده والشعر له

ألا ليلكَ لا يذهبْ ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكَبْ
وهذا الصّبحُ لا يأتي ولا يدنو ولا يَقرُبْ

فلما سمعته علمت أني إذا دخلت إليه أمْسك، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه فلما فرغ منه وضع العود من يده وذكر أنه قد طلبني، فقال يا غلام أين دِمْن فقلت ها أنذي فقال مذ كم أنت واقفة؛ فقلت منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته فنظر إليّ نَظَرَ مُغضَب أسف ثم قال غَنِيه، فغنيته حتى استوفيته فقال لي وقد فَتَر وخجل قد بَقِيَتْ عليك فيه بَقيّة أنا أصلحها لك فقلت لست أحتاج إلى إصلاحك إياه والله لقد أخذته على رغمك فضحك

قال الخليفة الواثق في معرض الثناء على إسحق «ما غنّاني إسحق قط إلا ظننتُ أنه قد زيد لي في مُلكي ولا سمعته يغنّي غناء ابن سُريج إلا ظننتُ أنّ ابن سُريج قد نُشر وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحق يعلو، ورأيت من ظننتُه يتقدمه ينقص وإن إسحق لنعمة من نِعمِ المُلك التي لم يُحظَ بمثلها ولو أنّ العمر والشبابَ والنشاط مما يُشترى لاشتريتهن له بشطرِ مُلكي»

*

حدّث حمّاد بن إسحق عن أبيه قال «أرسل إلي الرشيد ذات ليلة فدخلت إليه وهو جالسٌ وبين يديه جارية عليها قميص مُوَرَّد وسراويل موردَة وقناعٌ مورّد كأنها ياقوتة على وردة فلما رآني قال اجلس فجلست فقال لي غنِّ، فغنّيت

تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهَدتُهُ وَبَيَّنَ لو يَستطيعُ أن يتكلّما

فقال الخليفة هارون الرشيد لمنْ هذا اللحن؟ فقلت لي يا أمير المؤمنين فقال هات لحنَ ابن سُريج فغنيته إياه فطرب وشرب رطلاً وسقى الجارية وسقاني رطلاً ثم قال غنِّ فغنيته

هاج شوقي بَعْدَ ما شبَ أصداغي بُروقُ
مَوْهِناً[1] والبرق ممّا ذا الهوى قِدماً يشوقُ

فقال لمن هذا الصوت؟ قلت لي فقال حدّثني فجعلت أحدّثهُ بأحاديث القيان والمغنيّن طوراً، وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة أخرى، وأنشد أشعار القدماء والمحدثين فدخل الفضل بن الربيع، فحدّثه حديث ثلاث جَوارٍ مَلَكَهُنّ ووصفهن بالحُسن والإحسان والظرف والأدب فقال له يا عباسي هل تسخو نفسك بهنّ؟ وهل لك من سَلوة عنهنّ؟ فقال والله يا أمير المؤمنين إني لأسخو بهنّ وبنفسي فبها فداك الله ثم قام فوجّه بهنّ إليه فغلبن على قلبه وهُنّ سحْر وضياء وخُنث ذات الخال وفيهن يقول الرشيد

إنَّ سِحْراً وضياءً وَخُنُث هُنَّ سحرٌ وضياءٌ وخُنُثْ
أخذت سحرٌ ولا ذنبَ لها ثُلُثَيْ قلبي ويرتابُ الثُّلُثْ

*

قال الأصمعي دخلت أنا وإسحق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيناه متجهّماً فأنشده إسحق

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري فذلكَ شيءٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناس خُلاّن الكرامِ ولا أرى بخيلاً له حتى الممات خليلُ
وإني رأيتُ البُخلَ يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقالَ بخيلُ
فعالي فعالُ المكثرين تجمُّلاً ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحرَمُ الغنى ورأي أميرِ المؤمنين جميلُ!

(١) الموهن ومثله الوهن نحو منتصف اللّيل وقيل بعد ساعة منه وقيل حين يُدبر اللّيل

فقال الرشيد لا تخف إن شاء الله لله أبياتاً تأتينا بها ما أشَدّ أصولَها وأحسنَ فصولَها ، وأقلَّ فضولَها ! وأمر له بخمسين ألف درهم فقال له إسحق

ـ وصفك يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه فعلام آخذ الجائزة؟ فضحك الرشيد وقال اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم

قال الأصمعي لقد علمت يومئذ أن إسحق أحذقُ بصيد الدراهِم منّي

وعتب عليه الخليفة المأمون يوماً فكتب على رقعة هذين البيتين

لا شيء أعظم مِن جرمي سوى أملي لحُسْنِ عفوكَ عَن ذنبي وعَن زَلَلي
فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما فأنت أعظم من جُرمي ومِن أملي

فضحك المأمون وقال له يا إسحق عذرك أعلى قدراً مِن جرمك وما جال بفكري ولا أخطرته بعد انقضائه على ذكري

*

قيل إن صوت إسحق لم يكن رخيماً وكان المغنون في أيامه أحسن صوتاً منه لكنه احتال بحذقه ومهارته حتى تقدم الجميع بصوته بعد أن أحدث التخنيث في الغناء ليوافق صوته ولم يكن التخنيث معروفاً قبل ذلك وكان المغنون إذا حضروا وغاب إسحق عن مجلس يُغَنّون على هواهم فإذا حضر لزموا جانب الجد

بَذْل

(القرن الثاني الهجري)

مغنية من المحسنات المتقدمات ، ومولّدة صفراء من المدينة ترعرعت في البصرة ، وقد اشتهرت بكثرة الرواية ، ونُسب إليها غناء ثلاثين ألف صوت وقيل إن لها كتاباً في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنّس ، يحتوي على اثني عشر ألف صوت ، وضعته لعلي بن هشام

وخبر ذلك أنها طلبت بعد انصراف عليّ بن هشام من لدنها ذات يوم إثر زيارتها بأمر من الخليفة من جاريتها وشيك دواة وقرطاساً ، وانصرفت تكتب طوال يومها وليلتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت - وقيل بل سبعة آلاف صوت ثم كتبت إلى علي بن هشام تقول «استغنيتُ عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ! وقد كتبتُ هذا وأنا ضجرة ، فكيف لو فرّغت لك قلبي كله» وختمت الكتاب قائلة لوشيك امضي به إليه وسرعان ما جاءَها رسول علي بن هشام ، وهو خادم أسود اسمه مخارق ، بالجواب وفيه يقول «يا سيدتي ، لا والله ما قلت الذي بلغك ، ولقد كُذب علي عندك ، إنما قلتُ لا ينبغي أن يكون في الدنيا أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثت إليّ بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبداً» وأرسل إليها عشرة آلاف درهم وخزائن فيها بزّ ووشي وملح ، وخزانة مطبقة فيها أنواع من الطيوب

روى المغنّي المعروف أبو حشيشة ، قال إنه كان وهو غلام عند بذل ، على أيام المأمون في بغداد ، وهي في بناء خشبي كالقبّة ، تمشط شعرها وإذ وقف على الباب ، رأى موكباً فحسب أنه موكب الخليفة وهو يمرّ على ذلك المكان ، فعاد إليها وقال يا سيدتي ، الخليفة يمرّ على بابك فطلبت التأكد مما سمعت عندما دخل في اللحظة نفسها بوّابها يقول علي بن هشام

بالباب فقالت وما أصنع! فنهضت إليها جاريتها وشيك التي كثيراً ما كانت توفدها في حوائجها إلى الخليفة وسواه، فركعت عند رجلها وقالت الله، الله، أتحتجبين على علي بن هشام؟! فطلبت منديلاً وضعته على رأسها ولم تقم له

فقال علي «إني جئتك بأمر من سيدي أمير المؤمنين، وذلك أنه سألني عنك فقلت له لم أرها منذ أيام فقال هي عليك غضبى، فبحياتي لا تدخل منزلنا حتى تدخل عليها فترضيها» فقالت بذل «إن كنت جئتنا بأمر الخليفة فأنا أقوم» وقامت فقبّلت رأسه ويديه وبقي عندها ساعة ثم انصرف وعقب ذلك جلست تكتب الأصوات التي بعثت بها إلى علي بن هشام

عُرفت بذل بحلاوة الوجه والظرف وحسن الضرب وإتقان الغناء الذي أخذته عن كل من أبي سعيد مولى قائد، ودحمان، وفُليح، وابن جامع، وإبراهيم وطبقتهم حتى أن أبا حشيشة قال عنها إنها كانت أحسن الناس غناء في دهرها، وأستاذة كل محسن ومحسنة، وأروى خلق الله للغناء

وقد وُصفت لمحمد الأمين وهي عند جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه لقاء مال جزيل - وذلك بحيلة طريفة ذلك أنه أتى منزل جعفر وسمعها تغنّي غناء لم يسمع مثله قط فقال لجعفر يا أخي، بعني هذه الجارية فكان جوابه يا سيدي، مثلي لا يبيع جارية قال إذاً، هبها لي قال هي مدبّرة - أي أنها حرة بعد موته فاحتال عليه الأمين حتى أسكره وأمر بحمل بذل إلى السفينة وانصرف بها وأفاق جعفر فسأل عنها، فروي له ما حدث فلم ينبس ببنت شفة ومن الغد أرسل الأمين بطلب جعفر، فحضر، وكانت بذل جالسة، فلم يقل شيئاً وعندما همَّ بالانصراف قال الأمين بأن تحمَّل السفينة مالاً بلغ عند عده عشرين ألف ألف درهم وبقيت بذل في خدمة الأمين حتى قُتل، ثم خرجت فكان أولاد جعفر والأمين معاً يدّعون ولاءَها وقد ورثها ولد الأمين بعد موتها

ويذكر محمد بن الحسن الكاتب أن الأمين أعطاها من الجوهر ما لم يقتنِ أحد مثله ، فكانت بعد مقتله تبيع منه شيئاً بعد آخر بمال وفير لكي تعيش ، فضلاً عما كانت تتلقاه من الخلفاء ، إلى حين وفاتها ، وقد بقي لديها من المال الشيء العظيم وقد ردّت طلبات زواج كثيرة تقدّم بها عدد من كبار القوّاد والكتّاب والهاشميين ، مفضلة البقاء على حالها حتى رحلت عن هذه الدنيا

ومما يروى أن إسحق بن إبراهيم الموصلي اختلف مع بذل في حضرة المأمون في نسبة صوت غنّته آنذاك ، فأمسكت عنه فترة غير قصيرة ثم غنّت ثلاثة أصوات واحداً بعد الآخر وسألت إسحق عن صاحب الصنعة فيها ، فلم يدرِ فقالت للمأمون هي ، والله ، لأبيه أخذتها من فيه ، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره ، فاستاء إسحق مما سمع وبان عليه ذلك بأجلى ما أمكن

وذكر ابن إسحق ، حمّاد ، أن بذلاً غنّت بين يدي أبيه

إن ترينـي ناحـل البـــــدنِ فلطـول الهـم والحَـــــــزَنِ
كـــان مـــا أخـــشى بواحـــدتي ليـــــــــه واللهِ لـم يكـنِ

فطرب إسحق أيّما طرب وشرب رطلاً قائلاً لها أحسنت ، يا بنتي ، والله لا تغنّني صوتاً إلاّ شربت عليه رطلاً

وكان إبراهيم بن المهدي يعظّم بذلاً ، ثم يرى أنه يستغني عنها بنفسه فزارته ، ودعت بعود وغنّت في طريقة واحدة وانقطاع واحد وإصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً ثم وضعت العود مكانه وغادرت داره ، ولم تعد من وقتها إليه حتى طال طلبه له وتوسّله إليها في العودة إليه

*

بَصْبَص

(القرن الثاني الهجري)

كانت بصبص جارية مغنّية من مولّدات المدينة ، معروفة بحلاوة الوجه وجودة الغناء ، الذي أخذته عن الطبقة الأولى من المغنين أما سيدها فكان يحيى بن نفيس ، ولديه عدد من الجواري اللواتي لا يدانين بصبص ، ولكن ، مع ذلك ، فإن دار مولاهن يتردد إليها باستمرار الأشراف للاستمتاع بغناء قيانه

وقد اشتريت بعد ذلك للمهدي ، وهو بعد وليّ العهد بسبعة عشر ألف دينار ويقال إنها ولدت له عُليّة بنت المهدي - الشاعرة المغنية - ويقال كذلك إنَّ أمّ عليّة غير بصبص

كان عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير يزورها ويستمع إلى غنائها ، كما كان يأتيها فتيان قريش فيسمعون منها حلو الغناء ، ويطربون ويذهلون ويروى أن عبدالله بن مصعب قال حين قدم المنصور منصرفاً إلى الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص ومقامها السني في صنعة الغناء والطرب

أراحلٌ أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهات أن تسمع منها إذا ... جاوزتِ العيسُ بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسي لذةً ... ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً ومن ... يحلفُ بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعةٍ ... بايعتها ثم شققتُ العصا

فغضب أبو جعفر المنصور كثيراً لما بلغه هذا الشعر ، ودعاه ، ثم قال

أما إنكم ، يا آل الزبير ، قديماً ما قادتكم النساء وشققتم معهنَّ العصا ، حتى صرتَ أنت آخر الحمقى تبايع المغنيّات ! فدونكم ، يا آل الزبير ، هذا المرتع الوخيم

وفي بصبص قال ابن أبي الزوائد ، هارون بن محمد بن عبد الملك

بصبصُ أنت الشمس مزدانةً فإن تبدّلت فأنت الهلالُ
سبحانَكَ اللّهمّ ما هكذا فيما مضى كان يكون الجمالُ
إذا دعت بالعود في مشهدٍ وعاونتْ يُمنى يديها الشمالُ
غنّت غناءً يستفزّ الفتى حذقاً وزانَ الحذقَ منها الدلالُ

وكان محمد بن عيسى الجعفري يهوى بصبص ، وطال هيامه بها ، فأسر لصديق له بقوله قد شغلتني هذه عن صنعتي وكل أمري ، وقد وجدتُ مسَّ السلوّ عنها ، فاذهب بنا إليها حتى أكاشفها ذلك وأستريح فأقبلا إليها ، فلما غنّتهما قال لها محمد بن عيسى أتغنّين

وكنتُ أحبّكمْ فسلوتُ عنكم عليكم في دياركمُ السلامُ

قالت لا ، ولكنني أغنّي

تحمَّلَ أهلُها عنها فبانوا على آثار مَن ذهبَ العفاءُ

فغلب الحياء على محمد بن عيسى ، وازداد كلفاً بها وعشقاً لها ، فلاذ بالصمت ساعة ، ثم قال لها أتُغنّين

وأخضع بالعتبى إذا كنت مذنباً وإن أذنبتُ كنتُ الذي أتنصّلُ

قالت نعم ، وأغنّي أحسن منه

فإن تُقبلوا بالودّ نُقبلْ بمثله ونُنزلكم منا بأقرب منزلِ

وهكذا ، قال ابن أبي الزوائد تقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ، وما شعر بهما أحد

وروى كذلك أن الشاعر المعروف أبا السائب المخزومي حضر مجلساً غنّت فيه بصبص

قلبي حبيسٌ عليك موقوفُ والعين عبرى والدمع مذروفُ
والنفس في حسرة بغصّتها قد شفَّ أرجاءَها التساويفُ
إن كنتِ بالحسن قد وُصفت لنا فإنني بالهوى لموصوفُ
يا حسرتا حسرةً أموتُ بها إن لم يكن لي إليك معروفُ

فطرب أبو السائب المخزومي أيَّما طرب ونعِر (صوّتَ بخيشومه) وقال لا عرف الله من لا يعرف لك معروفك!

ثم تناول قناعها عن رأسها، ووضعه على رأسه وانفجر باكياً، وهو يلطم ويردد بأبي أنت! والله إني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء لما تُولّيناه من السرور، وجعل يصيح واغوثاه! يا لله ما يلقى العاشقون

وروى عثمان بن محمد الليثي أنه كان يوماً مع جماعة في دار ابن نفيس، مولى بصبص الأول، فخرجت، وكان في الجمع فتى يحبها، فطلبت إليه شيئاً، فقام ليلبّي طلبها، دون أن يفطن إلى انتعال حذائه، ومشى حافياً فقالت له يا فلان، نسيت نعلك فعاد فلبسها قائلاً أنا، والله، كما قال الأول

وحبك ينسيني عن الشيء في يدي ويشغلني عن كل شيء أحاولُهْ

فأجابته من فورها

وبي مثل ما تشكوه منّي وإنني لأشفقُ من حبّ لذاك تُزايلُهْ

*

جميلة

(٠٠٠ ـ نحو ١٢٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٤٣م)

جميلة السُّلميّة موسيقية ملحّنة مولاة بني سُلَيْم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز كان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزرج أخذ عنها أصول الغناء كل من معبد وابن عائشة وحبابة وسلاّمة وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة

وإنّ الدّلال وحُسْنَ الغنا ... ء وسْطَ بيوتِ بني الخَزرجِ
وتلكم جميلةُ زين النسا ... ء إذا هي تزدان للمَخْرَجِ
إذا جئتَها بَذلت وُدَّها ... بوجهٍ مُنيرٍ لها أبلجِ

وكانت جميلة أعلم المغنين والمغنيات بصناعة الغناء يقول معبد «أصل الغناء جميلة، ونحن فروعه ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين»

وقد وضعت جميلة ألحاناً تهافت الناس على سماعها وأحسنت الضرب على العود، فكانت نابغة الغناء والتلحين والموسيقى في عصرها

سُئلت جميلة أنّى لك هذا الغناء؟ قالت والله ما هو إلهام ولا تعليم ولكنَّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائي فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء

وقد غنت وأبدعت من شعر زهير بن أبي سُلمى

وما ذكرتُك إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً ... إن المُحبَّ ببعض الأمر معذورُ
ليسَ المحبُّ بمَنْ إن شطَّ غَيَّرَهُ ... هجرُ الحبيبِ وفي الهجران تغييرُ
نام الخَلِيُّ فنومُ العينِ تعذيرٌ ... ودونها سبب يهوي بها المورُ

يروى أن سبيعة ، وهي من وُلد عبد الرحمن بن أبي بكرة ، حجّت مرة ، وكانت آية في الجمال والدلال ورآها عمر بن أبي ربيعة الذي كان يلاحق الجميلات في مواسم الحج ، فبهره حسنها ووقعت من قلبه وعادت سبيعة العراقية إلى بلدها فتبعها عمر وشيّعها إلى مكان في موضع يعرف بالخورنق فقالت له

ـ لو زرتنا وطلبتني من أهلي لزوجوك ! فأجابها

ـ ما كنت لأخلط تشييعي إليك بخطبة ولكن أرجع ثم آتيكم خاطباً

وفي طريق عودته إلى ذويه قال عمر

مِنَ البَكراتِ عراقيَّةٌ تُسمّى سبيعةَ أطريتُها
ومِن حُبِّها زرتُ أهل العراقِ وأسخطتُ أهلي وأرْضيتُها
أموتُ إذا شحطت دارُها وأحيا إذا أنا لاقيتُها
فأقسمُ لو أن ما بي بها وكنتُ الطبيبَ لداويتُها

وزار عمر منزل جميلة وطلب إليها أن تلحن هذه الأبيات وتتغنّى بها فلبّت طلبه فأعجب بجودة اللحن وحسن الغناء وأوفدت جميلة إحدى جواريها إلى ديار سبيعة وغنت لها الأبيات ولما سمعتها «كادت أن تموت فرحاً وسروراً»

وعادت الجارية وأبلغت الشاعر أن سبيعة ستؤدي فريضة الحج هذا العام وعلم عمر بمقدمها ونزلت سبيعة عند جميلة بناءً على رغبة عمر وقالت لجميلة

ـ لقد سمعت صوتك بشعر عمر فيّ فأقلق راحتي وأشتهي أن أسمعه منك؟

فأطلقت جميلة صوتها في الغناء وأغمي على سبيعة ساعة وعادت إلى وعيها بعد رش وجهها بالماء ثم سألت جميلة أن تعيد الصوت فأعادته مراراً وكانت سبيعة في كل مرة تسمع الصوت يُغمى عليها

*

قيل إن جميلة قعدت يوماً على كرسيّ لها وقالت لآذنتها لا تحجبي

عني أحداً اليوم ، واقعدي بالباب ، فكل من يمر اعرضي عليه مجلسي ففعلت حتى غصت الدار بالناس وامتلأت السطوح فقالت لها إحدى جواريها يا سيدتي إن تمادى أمرك على ما أرى لن يبقى في دارك حائط إلا سقط فقالت للجارية اجلسي فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناسُ الماءَ فدعت لهم بالسَّويق وهو شراب يتخذ من الحنطة والشعير فشرب كثيرون ثم قالت لهم

ـ إني قد رأيت في منامي شيئاً أفزعني وأرعبني ولست أعرف ما سبب ذلك وقد خفت أن يكون قَرُبَ أجلي وليس ينفعني إلاّ صالحُ عملي وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربّي

فقال قوم منهم وفّقك الله وثبّت عزمك وقال آخرون بل لا حرج عليك من الغناء وقال شيخ مُسنّ منهم ، ذو علم وفقه وتجربة لم يعترض على ما سمعه ولا شاركهم في رأيهم فاستمعوا الآن لقولي

ـ يا معشر أهل الحجاز إنكم متى تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم ولا تُفلحوا بعدها أبداً ثم التفت إلى جميلة وقال لها

ـ لقد سمعت ما قلت

ـ أجل يا سيدي الشيخ وأنا أستغفر الله

فقال لها

ـ اختمي مجلسنا وفرّقي جماعتنا بصوت فقط

فامتثلت لطلبه وغنّت

أفي رسمِ دارٍ دمعك المترقرقُ سفاهاً وما استنطاقُ ما ليسَ يَنطِقُ
بحيث التقى جمعٌ وأقصى مُحَسِّرٌ مغانيه قد كادت عن العهد تخلقُ
مُقامٌ لنا بعدَ العشاء ومنزلٌ به لم يُكدِّرهُ علينا مُعَوِّقُ
فأحسنُ شيءٍ كانَ أولُ ليلنا وآخرهُ حزنٌ إذا نتفَرَّقُ

فقال الشيخ حسنٌ والله ! أمثل هذا يُترك ! فيم تتشاهد الرجال ! لا

والله ولا كرامة لـمَن خالف الحق ثم قام وقام معه الناس وقال «الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتنا على اليأسِ من الغناء ولا جحودِ فضيلته، وسلامٌ عليك ورحمة الله يا جميلة

*

لبست جميلة بُرنساً طويلاً وألبست مَن كان عندها في منزلها برانس وكان من الحاضرين ابن سُريج وكان قبيح الصَّلَع قد اتخذ جُمّة شعر يضعها على رأسه وأحبت جميلة أن ترى صلعته فلمّا بلغ البرنس إلى ابن سريج، قال دبَرت عليَّ وربِّ الكعبة وكشف صلعته ووضع القلَنسية على رأسه وضحك القوم من قبح صلعته ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بُردَةٌ يمانية وعلى القوم أمثالها

وقام ابن سُريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها فغنت وغنى القوم على غنائها

ذهبَ الشبابُ وليتَهُ لم يذهبِ وعَلا المفارقَ وقعُ شيبٍ مُغرب[1]
والغانيات يُردن غيْرك صاحباً ويَعدْنكَ الهجرانَ بعدَ تقرُّبِ
إني أقولُ مقالةً بتجاربٍ حقّاً ولم يُخبِرْك مثلُ مُجَرَّبِ
صافِ الكريمَ وكن لعرضِكَ صائناً وعنِ اللئيمِ ومِثله فتنكَّبِ

ثم دعت بثياب مُصبَّغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سُريج فوضعتها على رأسها ودعت بمثل ذلك للقوم، ثم ضربت بالعود وتمشّت ومشى القوم خلفها وغنت وغنّوا بغنائها

---

(١) مُغرب أبيض

حبابَة

(٠٠٠ ـ ١٥٠هـ)
(٠٠٠ ـ ٧٢٣م)

حبابَة جارية يزيد بن عبد الملك مغنّية من ألحن من رؤي في عصرها ومن أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلَهم أدباً قرأت القرآن وروت الشِّعر وتعلّمت العربية وهي مولّدة كانت لرجل من أهل المدينة يُعرف بابن رُمّانة خَرَّجها وأدبها

أخذت حبابة الغناء عن ابن سُريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزّة الميلاء اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار فغلبت على عقله وشغل بها وعندما ماتت حزن عليها ومات بعدها بأربعين يوماً

كانت تُسمّى الغالية فلما اشتراها يزيد سمّاها حبَابَة وقيل إنها كانت لرجل يعرف بابن مينا ولما أدخلت على يزيد كانت في إزار له ذنبان وبيدها دُفٌّ وتتغنى

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكَةَ والـ ـلّبات إذ زانها ترائبُها
يا ليتني ليلةً إذا هجع الـ ـناسُ ونام الكلابَ صاحبُها
في ليلةٍ لا يُرى بها أحَدٌ يسعى علينا إلاّ كواكبُها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقيّة وبعدئذ اشتراها يزيد لكنّ أبا أيوب ابن عبابة يقول كانت حبابة لآل رُمّانة ومنهم ابتيعت ليزيد

وأول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه ، فقام من وراء السِّتر فسمعها تترنم وتغني

كـــان لي يا يزيد حُـــبُّكَ حَـــيْنا كـــادَ يقـــضي علَيَّ لـــمّـــا التـــقـــينا

فرفع يزيد السِّتر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار فعلم أنها لم تعلم بوجوده فألقى نفسه عليها وحرّكت منه

*

حدّثَ أبو غانم الأزدي قال

نزل يزيد ببيت رأس بالشام ومعه حبابة فقال زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشةٌ يوماً إلى اللّيل إلاّ ويكدّره شيء عليه وسأجرب ذلك ثم قال لمن معه إذا كان غدٌ فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان فأكلت حبابة رُمّانة فشرقت بحبّة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيّر لونها وأنتنت وهو يشمُّها ويَرشُفها فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا

ـ قد صارت حبابة جيفة بين يديك

فأذن لهم في غسلها ودفنها وجزع إليها في بعض أيامه فقال انبشوها حتى أنظر إليها فقيل له تصير حديثاً خرج فلم ينبشها لكن المدائني قال إن يزيداً اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها فقال «لا بُدّ أن تُنبَش فَنُبِشت وكُشف له عن وجهها وقد تغيّر تغيّراً قبيحاً فقيل له

ـ اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين ألا ترى كيف صارت؟ فقال

ـ ما رأيتها قطُّ أحسن منها اليوم ، أخرجوها

فجاءَه مسلمةُ ووجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها وانصرف فكَمد كَمَداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها

حَكَمُ الوادي

(٠٠٠ ـ نحو ١٨٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٩٦م)

حكم بن ميمون ، أو ابن يحيى بن ميمون ، مغنٍّ من الطبقة الأولى في عصره أصله من الموالي أعتق الوليد بن عبد الملك أباه ، ونشأ حكَم ينقل الزّيت على الجمال بالأجرة من وادي القُرى إلى المدينة وأولع بصناعة الغناء فكان ينقر بالدّف ويغنّي مرتجلاً

اتّصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم ، فاشتهر ، وأصاب مالاً وافراً وحظوة وطالت مدة حياته أدرك الوليد بن عبد الملك وهارون الرشيد وغنّاهما كان أبوه حلاّقاً يحلق شعر رأس الوليد فاشتراه وأعتقه

كان حكم طويلاً أحول أصله من الفرس وكان يَخضب بالحنّاء ، عَمَّر طويلاً أخذ الغناء عن عمر الوادي قال حمّاد بن إسحق ، قالَ لي أبي «أحذق من رأيت من المغنين أربعة جدّك إبراهيم وحكَم الوادي وفُليح ابن العوراء وسِياط

وحدّث الغلابي عن حماد بن إسحق عن أحمد بن المكي عن أبيه عن حكم الوادي قال «أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد وهو على حمار وعليه جُبّة وفي يده عقد جوهر وفي كمّه شيء لا أدري ما هو فقال من غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما علي وما تحتي فغنّوه كلهم فلم يَطرَب فقال لي غنِّ يا غلام فغنيت أبياتاً لمطيع بن إياس

إكليلها ألوانُ ووَجْهها فتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس له جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّتْ كأنها ثعبانُ

فأخرج الوليد ما في كُمّه وإذا كيس فيه ألف دينار فرمى به إليَّ مع عقد الجوهر فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه من ثياب

*

قال إسحق الموصلي «أربعة بلغوا في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قَصَّرَ عنه غيرهم معبد في الثقيل ، وابن سُريج في الرَّمَل ، وحكم الوادي في الهَزَج ، وإبراهيم الموصلي في الماخوري»

وذكر أحمد بن المكّي عن أبيه «أنَّ حكَماً لم يشتهر بالغناء حتى صار الأمر إلى بني العباس فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور فأعجبَ به واختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجه وكان يقال إنه من أهزج الناس وإنه غنّى الأهزاج في آخر عمره وإن ابنه لامه على ذلك وقال له أبعدَ الكِبَر تغنّي غناء المخنّثين ! فقال له اسكت فإنك جاهل غنّيتُ الثقيل ستين سنة فلم أنل إلاّ القوت وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتك ما لم تَرَهُ قطُّ

وقال الأصمعي رأيتُ حكَماً الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس ، وقد عارضه في الطريق وأخذ دفّه ونقر فيه وله شُعيرات على رأسه وقال أنا والله يا أمير المؤمنين القائل

ومتى تخرجُ العروسُ فقد طالَ حَبْسُها

فهرول إليه الحرس فقال المهدي لهم دعوه وسأل عنه فأخبر أنه المغني حكم الوادي فوصله وأحسنَ إليه

وكان حكم الوادي تيّاهاً سيئ الخلق والطباع فقد سمعه أحدهم يغنّي فأعجبه صوته فسأله عن صاحبه ، فقال له ما هذا السؤال؟ ولمن يكون هذا إلاّ لي؟

وكان بنو سليمان بن علي يجزلون العطاء على حكم ما جعل المنصور يُعجب لأمر هذا المغنّي ويستكثر الإسراف عليه قائلاً

ـ وهل مثل هذا الرجل الذي يحسِّنُ الشّعر بصوته ويُطرِب من سمعه يستحق كل هذا؟

وأتى حكَم الوادي أحد قادة المنصور وجلس عنده والمنصور يرى كل ما يجري ومساء ذلك اليوم خرج حكَم من عند القائد مثقلاً بالخِلع الثمينة وقد امتطى بغلة أهداها إياه القائد عندئذ أيقنَ المنصور أن هذا المغني يستحق العطايا والهبات

من الأبيات التي لحنها وغنّاها حكم الوادي هذه الأبيات للوليد بن يزيد

خفَّ من دارِ جيرتي يا ابن داود أنسُها
قد دنا الصُّبح أو بدا وهي لم يُقْضَ لُبسُها
فمتى تخرج العروسُ (م) وقد طالَ حَبْسُها
خرجت بين نسوةٍ أكرمُ الجنسِ جِنْسُها
(في «الأغاني» بين خمسٍ كواعبٍ أكرم الخمسِ جنسُها)

*

أصيب حكم الوادي بقرحة أصابته في صدره في آخر أيام حياته فكانت فيها وفاته . وكان الدّارمي قد قال فيه قبل نعيه

إنَّ أبا يحيى اشتكى علَّةً أصبح منها بين عُوّادِ
فقلت والقلبُ به موجَعٌ يا رَبّ عافِ الحكَمَ الوادي
فَرُبَّ بيضٍ قادَةٍ سادَةٍ كأنصُلٍ سُلَّت منَ أغمادِ
نادَمهم في مجلسٍ لاهياً فأصمَتَ المُنشدَ والشادي

وقد غنّى حكم هذه الأبيات .

حُنَين بن بَلْوَع

(٠٠٠ ـ نحو ١١٠هـ)

(٠٠٠ ـ نحو ٧٢٨م)

حنين بن بَلْوع الحِيريّ شاعر غزل، موسيقي من كبار المغنين ولد في الحيرة وكان في صغره يحمل الفاكهة ويطوف بالرياحين على بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمطربين في الحيرة وغيرها وكانت في روحه خفّة ثم جعل يكري الجِمال إلى الشام ومنها

وُلِع بالغناء والضرب على العود فأخذ عن علمائه وانفرد بصناعته في العراق لا يزاحمه فيها أحد وكان المغنون في عصره أربعة ثلاثة في الحجاز هم ابن سريج والغريض ومعبد وهو وحده في العراق فلمّا ذاعت شهرته كتبوا إليه أن يزورهم فشخص إليهم وهم في المدينة فاستقبلوه خارجها وقصدوا به منزل السيدة سُكينة بنت الحسين والناس من حولهم فأذنت سكينة للناس إذناً عاماً فامتلأ المنزل وسطحه

ولما جلس حنين ليغني أبياتاً من صناعته ازدحم الوقوف على السطح فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً إلاّ حُنيناً فمات تحت الهدم فقالت سُكينة انتظرناه مدة طويلة وكأنما نسوقه إلى منيّته

قيل مرة لحنين وقد انقضت خمسون سنة على ممارسته الغناء

ـ هذه خمسون سنة تقضَّت وأنت تُغني فما تركت لأحد من الكرام مالاً أو داراً أو عقاراً؟

فكان رده

ـ بأبي أنتم وأمّي إنما هي أنفاسي أقسّمها بين الناس أفتلومونني أن أُغلي بها الثّمن !؟

وحنين كان مغنياً نصرانياً من الحيرة وكان يُكنى أبا كعب وكان شاعراً إضافة إلى احترافه الغناء، فوصف الحيرة (أو بالحري النجف وهي موضع بظهر الكوفة وقريبة من الحيرة) بقوله

أنا حُنين ومنزلي النَّجفُ ... وما نديمي إلاّ الفتى القَصِفُ[1]
أترعُ بالكأس ثغر باطية[2] ... مُتْرَعَة تارةً وأغترِفُ
والعيشُ غضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغْذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

وقد لحن حنين هذه الأبيات وغناها

*

حجّ هشام بن عبد الملك والأبرش الكلبي فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له فلما مر به هشام عرض له فقال مَن هذا؟ فقيل المغني الشاعر حُنين فأمر به فحُمل في محمل على جمل مع زامره وسيرَ به أمامه وهو يغني

أمن سَلْمى بظهر الكو ... فة الآياتُ والطَّلَلُ
يلوح كما تلوح على ... جفون الصَّيقلِ[3] الخِلَلُ[4]

فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة

*

ويروى عن فطنة حنين وخفة روحه أنه عقد مع المغني ابن محرز صفقة تجارية تعد فريدة في نوعها فقد زار ابن محرز الكوفة وكان حنين مسيطراً على الغناء في العراق فخشي أن ينافسه في عقر داره عندما يعرف القوم أنه ابن محرز، فتقل منزلته في نظرهم، فاستدعاه وسأله عن المبلغ الذي يؤمل جمعه في العراق فأجابه ابن محرز أنه ألف دينار فعرض عليه

(١) القصف حليف اللهو واللعب (٢) الباطية إناء الخمر
(٣) الصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها
(٤) الخلل جمع خلّة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف ينقش بالذهب وغيره

خمسمائة دينار وقال له

ـ هذه خمسمائة دينار عاجلة خذها وانصرف ، واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق فأخذها وانصرف .

وحُنين تلميذ عمر بن داود وحكم الوادي المغنّيين الشهيرين ولما ولي خالد بن عبدالله القسري العراق حَرّمَ الغناء أيام حكمه وذات يوم أذن للناس بالدخول عليه فدخل حنين مع الوافدين وقد أخفى عوده تحت ثيابه وابتدر الأمير بقوله

ـ أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ بي وبهم

فسأله الأمير

ـ وما صناعتك؟

فأظهر حنين عوده وأشار به قائلاً : هذا فأمره خالد بأن يغني فاندفع حنين يعزف ويغني أبياتاً لعديّ بن زيد

أيُّهـا الشّـامتُ المعـيّـرُ بالدّهـرِ أأنت المُبَـرّأ الموفـورُ
أم لديك العـهـدُ الوثيقُ من الأيامِ بلْ أنت جـاهلٌ مـغـرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَن ذا عليـه مِن أن يُضـامَ خـفـيـرُ

فبكى الأمير وقال لحنين

ـ قد أذنت لك وحدك خاصة فلا تجالس سفيهاً ولا معربداً

وانصاع حنين لأمر الأمير فكان يَسأل كلما دُعي إلى مجلس هل فيه سفيه أو معربد ، فلا يدخل إلاّ بعد أن يستوثق من خلو المكان من هذين النوعين من البشر

*

كان أحد شيوخ مكة ويدعى شَريش في أحد مواسم الحج في مكان يقال له الأبطح وسط سوق البيع والشراء ، فرأى مع من كان برفقتهم شيخاً

أشيب الرأس واللحية يرتدي الثياب البيضاء ويمتطي بغلة شهباء، فسألهم عن بيت أبي موسى فدلّوه عليه فمضى حتى بلغ ظل البيت ثم استدار إلى القوم واندفع يغني بشعر كثَيّر بن المطلب بن أبي وداعة السهمي والغناء لمعبد

أسعديني بدمعة أسرابِ[1] من دموعٍ كثيرة التّسكابِ
إنَّ أهل الحصاب[2] قد تركوني مغرماً مولعاً بأهلِ الحِصابِ
فارقوني وقد علمت يقيناً ما لِمَنْ ذاق ميتةً من إيابِ
سكنوا الجزعَ جزعَ بيت أبي موسى إلى النّخل من صُفيّ السِّبابِ[3]
كم بذاكَ الحجون من حيٍّ صدقٍ وكهولٍ أعِفَّةٍ وشبابِ
أهلُ بنت تتايعوا[4] للمنايا ما على الموت بعدهم من عتابِ
فليَ الوَيلُ بعدَهم وعليهم صِرتُ فرداً وملّني أصحابي

وما كاد ينتهي من غنائه حتى انصرف فتبعه مَن استمع إليه وسألوه من هو فأجابهم أنا حنين بن بلُوَع فلم يستغربوا جودة صنعته، وهم الذين سمعوا به كثيراً ولكنهم لم يسمعوه أو يشاهدوه

*

عاش حنين مائة وسبع سنوات وكان يقال إنه من جديس وقيل أيضاً إنه من لَخْم وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب

قال عبيد بن حُنين الحِيريّ كان المغنون في عصر جدّي أربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق والذين بالحجاز هم ابن سُريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم أن جدي حنيناً قد غنى في هذا الشعر

---

(١) أسراب جمع سرب والسرب الماء السائل
(٢) الحصاب موضع رمي الجمار بمنىً
(٣) صَفيّ السّباب موضع بمكة
(٤) تتايعوا التتايع الوقوع في الشّر من غير فكرة ولا روية

هلاّ بَكيْتَ على الشـبـاب الذاهبِ وكـفـفت عن ذم المشـيب الآئبِ
هذا وَرُبَّ مُـسَـوّفينَ سَـقَـيْـتُـهُم مِن خـمـر بابلَ لذةً للشـاربِ
بكروا عليّ بسُحْـرَةٍ فَـصَـبَـحـتُـهم مِن ذاتِ كـوب مـثل قَـعْبِ الحـالبِ
بزجـاجـة ملءِ اليـدين كـأنهـا قنديلُ فـصحٍ في كنيـسـة راهبِ

قال عبيد فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي وقالوا ما في الدنيا أهل صناعة شرٌّ منا لنا أخ بالعراق ولا نزوره ولا نستزيره فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقة وجاء في كتابهم نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا فزارهم ، وكانت زيارته لهم نهاية عمره كما جاء في مستهل الحديث عنه

الدّارمي

(٠٠٠ ـ نحو ١٥٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٧٢م)

سعيد الدارمي التميمي ، من بني سويد بن زيد شاعر غزل من المغنين الظرفاء من أهل مكة كان ينظم الأبيات ويضع لحنها ويغنيها وكان جَدّهُ قد قتل أسعد بن عمرو بن هند ، ثم هرب أهله إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف

وكان الدّارمي في أيام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر وله أصوات يسيرة ، وهو الذي يقول

ولمّا رأيتُكِ أوليتني الـ ـقبيحَ وأبعدتِ عني الجَميلا
تركتُ وِصالك في جانبٍ وصادفتُ في الناس خِلاً بَديلا

تشبّب بذات خمار أسود فقد قَدم المدينة تاجرٌ من الكوفة ومعه خُمُر (الخُمُر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها) فباعها كلها وبقيت الخُمُر السود فلم تَنْفُق وكان التاجر صديقاً للدارمي فشكا إليه ذلك وكان الدارمي آنذاك قد تعبّد وتزهّد وتقشّف وترك الغناء ونظم الشعر فقال له لا تهتم بذلك فإنني سأنفقها حتى تبيعها أجمع وجلس الدارمي بباب مسجد وغنّى

قُلْ للمليحة في الخمارِ الأسودِ ماذا صنعتِ براهبٍ مُتَعَبِّدِ
قد كان شَمَّرَ للصلاةِ ثيابَهُ حتى وقفتِ له ببابِ المسْجدِ
ردّي عليه صلاتَهُ وصيامَهُ لا تقتليه بحقِّ دينِ محمَّدِ

وشاع في الناس غناء الدارمي فقالوا لقد رجع الدارمي عن نُسْكه

ولم تبق في المدينة امرأة أو شابة إلاّ وهرعت لشراء خمارٍ أسود ثم عاد الشاعر ـ المغني إلى تقشفه ونسكه

*

كان الدارمي ظريفاً وكانت مُتَفَتّيات[1] أهل مكة لا يطيب لهن مُتنزّه إلاّ بالدارمي فاجتمع جماعة منهن في متنزّهٍ لهن وفيهن صديقة له وكل واحدة منهن قد واعدت من تهواه وتحبه فخرجنَ حتى أتين الجحفة[2] وهو معهن فقال بعضهن لبعض كيف لنا أن نخلوا مع هؤلاء الرجال من الدّارمي؟ فإنّا إن فعلنا فضحنا ومزّق أعراضنا فقالت لهنَّ صاحبتُه أنا أكفيكُنَّهُ قلن إنا نريد ألاّ يلومنا قالت عليَّ أن ينصرف حامداً وكان الدارمي أبخل الناس فأتته صديقته وقالت له يا داريّ إنا قد تَفلْنا[3] فاجلب لنا طيباً فقال نعم هوذا آتي سوق الجحفة آتيكنّ منها بطيب فأتى المُكارين فاكترى حماراً فصار إلى مكة وهو يقول

أنا بالله ذي العـــــزِّ وبالرُّكنِ وبالصَّـــخـــرهْ
مـن الـلاّتـي يُـردنَ الـطـيـــ ـبَ في اليُسرِ وفي العُسْرَهْ
ومـــا أقـــوى على هذا ولو كنتُ على البَـــصْـــرَهْ

فمكثت الفتيات ما شئن ثم قدِم من مكّة فلقيته صاحبتُه ليلةً في الطّواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلت تلومه على ذهابه ويُعاتبها إلى أن قالت له يا داريّ بحق الكعبة أتحبّني فقال نعم فَبربِّها أتُحبينني؟ قالت نعم قال فيا لك الخيرُ فأنت تحبيني وأنا أحبّكِ فما دخل الدّراهم بيننا (وكان يشير إلى عدم شرائه الطيب لبخله)

وحَدّث يونس بن عبدالله الخياط قال خرج الدّارمي مع عدد من العاملين على الصدقات الذين يأخذونها من الأغنياء ويعطونها للفقراء

(١) المُتفتّية الفتاة إذا راهقت ومنعت من اللعب مع الصبيان
(٢) الجحفة قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة
(٣) تفِلَ أنتنَ ريحُه لطول ترك الطيب

فصادف أعرابيات نزلنَ في الماء فسألهن فأعطينه دراهم فأتى بها في ثوبه وأحاط به الأعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهنَّ فعرفته صبية منهن فقالت يا أخواتي أتدرين من تسألن إنه الدارمي ثم أنشدت

إذا كنتَ لا بُدَّ مستعطياً فدع عنك مَن كانَ يستطعِمُ

فولّى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

دَحْمان الأشقر

(٠٠٠ ـ نحو ١٦٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٨٢م)

عبد الرحمن بن عمرو، الملقب بدحمان الأشقر، من موالي ليث بن عبد مناة عالم بالغناء علت شهرته في أوائل العصر العباسي أخذ الغناء عن معبد، ونبغ فاتصل بالخليفة المهدي، وفاز بعطاياه

كان يعلّم الجواري وغيرهن صناعة الغناء كان صالحاً كثير الصلاة من أقواله «ما رأيت باطلاً أشبه بحقٍّ من الغناء»

قال إسحق الموصلي «كان دحمان يَخضبُ رأسه ولحيته بالحنّاء وهو من غلمان معبد وكان أبي إبراهيم لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم» وكان الخليفة المهدي يجزل صلته فقد منحه ذات يوم مائة ألف دينار

وقال عمر بن شبَّة «بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار عندما غنى بين يديه في شعر الأحوص

قَطوفُ المَشْيِ[1] إذ تمشي ترى في مَشْيِها خَرَقا[2]

فأعجبه وطرِب واسْتَخفّه السرور حتى قال لدحمان سلني ما شئت؟ فقال له ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريّان وغالب فأقطعه إيّاهُما فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالا إن هاتين الضيعتين لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة وقد استقطعهما ولاة العهود في

(١) قطوف المشي بطيئته.
(٢) خَرَقاً تحيّراً ودهشاً

أيام بني أميّة فلم يُقْطَعوهما فقال والله لا أرجع فيهما إلاّ بعد أن يرضى ، فصولح عنهما على خمسين ألف دينار

وأول الأبيات التي غنى بها دحمان بين يدي الخليفة المهدي ومنحه عليها خمسين ألف دينار

سرى ذا الهمُّ بل طَرقا فَبِتُّ مُسهَّداً قلقا
كذاك الحبّ مما يُحـ ـدثُ التسهيدَ والأرقا
قَطوفُ المشْيِ إذ تمشي ترى في مَشْيِها خَرَقا
وتُثقِلها عَجيزَتُها إذا وَلّتْ لتنطَلقا

*

كان دحمان جمّالاً يُكري إلى المواضع ويَتّجر وكانت له مروءة فبينما هو ذات يوم قد أكرى جِماله وأخذ ماله إذ سمعَ رنَّةً فقام واتّبَعَ الصوت فإذا جارية قد خرجت تبكي فقال لها أمملوكة أنت؟ قالت نعم فقال لمن؟ فقالت لامرأة من قريش وسمتها له فقال أتبيعك؟ قالت نعم

ودخلت الجارية إلى مولاتها فقالت لها هذا إنسان يشتريني أتأذنين له؟ فدخل دحمان فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار فنقدها الثمن وانصرف بالجارية وأقامت عنده مدة وكان يطرح عليها الصوت ويطرح عليها معبد وغيره من المغنين ثم خرجَت إلى الشام وقد حذقت الغناء وقد غنّت أبياتاً لكثير عزّة لحنها لها دحمان ومن الأبيات هذان البيتان

لو رَدَّ ذو شَفَقٍ حمامَ مَنيَّةٍ لَرَدَدت عن عبد العزيز حماما
صلّى عليك الله مِن مستودَعٍ جاورت بوماً في القبور وهاما[1]

وزعم بعض الرواة أن هذين البيتين هما لعبد الصمد بن عليّ الهشامي يرثي بهما ابناً له

---

(١) الهام طير الليل وهو الصدى واحده هامة

دنانير

(٠٠٠ ـ ٢١٠هـ)
(٠٠٠ ـ ٨٢٥م)

دنانير مغنيّة نُسبَ إليها «كتاب» في الأغاني كانت مولاة لرجل من أهل المدينة ، خرّجها وأدّبها اشتراها يحيى بن خالد البرمكي فنبغت في بيته أُعجب بها الخليفة العباسي هارون الرشيد فلما نُكبَ البرامكة امتنعت عن الغناء لغيرهم ، فأمرها الرشيد بالغناء بين يديه ، فعصته ، فأمر بصفعها ، ثم رقّ لها فأطلقها

وخطبت للزواج فأبت ولزمت حالها إلى أن توفيت وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهنّ وأكملهنّ وأحسنهنّ أدباً وأكثرهن روايةً للشّعر والغناء

وكان الرشيد لشغفه بها يكثر زيارته إلى مولاها ويقيم عندها ويبرّها ويفرط حتى أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار وقيل ردّته ، وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته فعاتبوه ، فقال

ـ ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها وإنّما أربي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحَقَّت أن يُؤلَفَ غناؤها وإلاّ فقولوا ما شئتم

فأقاموا عنده وسمعوا غناء دنانير ، وعادوا إلى أمّ جعفر فأشاروا عليها أن لا تُلِحَّ في أمرها فقبلت ذلك ، وأهدت إلى الرشيد عَشْرَ جوارٍ منهنّ ماردة أم المعتصم ومراجل أمّ المأمون

*

كان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بذل المغنية ، وهي التي

خرّجتها وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت منهم بذل مثل فليح وإبراهيم الموصلي وابنه إسحق وابن جامع وغيرهم

أخذت دنانير عن إبراهيم الموصلي حتى كانت تغنّي غناءه فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان إبراهيم يقول ليحيى «متى فقدْتني ودنانيرُ باقية فما فقدتني»

وقال عمر بن شبّة أصابت دنانير العلّة الكَلَبيّة فكانت لا تصبر على الأكل ساعةً واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه وبقيت عند البرامكة مدة طويلة

وقال أحمد بن الطيب لما أمر الرشيد دنانير بأن تغني بعد قتله البرامكة رفضت ، فغضب وأمر بصفعها فصفعت ، وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحرّ البكاء واندفعت تغنّي

يا دارَ سلمى بنازحِ السَّنَد بين الثنايا ومسْقَط اللَّبَد
لمّا رأيت الدّيار قد دَرَست أيقنتُ أنّ النّعيم لم يَعُد

وكانت تعني بالديار ديار البرامكة فرق لها الرشيد لما سمع غناءها وأمر بإطلاقها ، فانصرفت

خطب عقيد مولى صالح بن الرشيد دنانير البرمكية وكان قد أحبها وشغف بها ، فردّته ، واستشفع عليها بمولاه صالح والمغنية بذل والحسن بن المحرز فلم تجبهم وأقامت على الوفاء لمولاها فكتب إليها عقيد

يا دنانير قد تنكَّرَ عقلي وتحيّرتُ بين وعد ومَطلِ
شَفِّعي شافعاً إليك وإلاّ فاقتليني إن كنتِ تهوين قَتلي
ما أحبُّ الحياةَ يا حبّ إن لم يجمع الله عاجلاً بك شملي

فلم ترق له ولم تزل على حالها إلى أن ماتت

وكان عقيد حسن الغناء والضرب لكنه قليل الصنعة وممّا غنّاه في دنانير والشعر للموصلي إلاّ البيت الأول

هذي دنانيرُ تنساني فأذكرها ... وكيف تنسى مُحبّاً ليس ينساها

أعوذُ بالله من هجران جاريةٍ ... أصبحتُ من حبِّها أهذي بذكراها

قد أكمل الحسنُ في تركيب صورتها ... فارتجَّ أسفلُها واهتزَّ أعلاها

قامت تمشّى فليت الله صيّرني ... ذات التراب الذي مسَّتْه رجلاها

واللهِ والله لو كانت إذا برزت ... نَفْسُ المُتَيّمِ في كَفَّيْه ألقاها

زِرْياب

(٠٠٠ ـ نحو ٢٣٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٨٤٥م)

علي بن نافع ، أبو الحسن ، الملقّب بزرياب نابغة الموسيقى في زمنه كان شاعراً مطبوعاً وعالماً ببعض الفنون وأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء اجتمعت فيه صفات النّدماء كان حسن الصوت وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار وكانت أوتاره أربعة

أخذ الغناء ببغداد عن إسحق الموصلي وغيره وغنّى في صباه بين يدي هارون الرشيد وسافر إلى الشام ومنها إلى الأندلس وقد سبقته إليها شهرته ، فركب عبد الرحمن بن الحكم الأموي بنفسه للترحيب به ، وجعل له في كل شهر مائتي دينار ، واستغنى به عمّن عداه من الندماء والمغنين أقام بقرطبة وبها اخترع مضراب العود من قوادم النّسر وكانوا يصنعونه من الخشب توفي بقرطبة

في أكثر المصادر أن زرياب لقب بهذا اللقب لسواد لونه وفصاحة لسانه تشبيهاً له بطائر غَرِد أسود وكلمة زرآب بالفارسية «وزان تذكار» ومعناه ماء الذّهب

يقول الدكتور إحسان عباس مؤلف كتاب «تاريخ الأدب الأندلسي» «إن الأصول التلحينية التي وضعها زرياب وتلامذته قد ظلت أساساً للغناء الأندلسي وربما جدّت تعريفات في شؤون الألحان اقتضتها طبيعة الموشحات والأزجال»

وفي عهد عبد الرحمن الثاني لقيت الموسيقى والموسيقيون من الالتفات الشيء الكثير بعد وصول زرياب الذي أصبح الموسيقيّ الأول في البلاط

ونديم السلطان الخاص حتى أنه كان يشركه في تناول طعامه

وتغلغل نفوذ زرياب في عليّة القوم وسراتهم فقلّدوه في أشياء كثيرة

لماذا رحل زرياب إلى الأندلس؟ جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّه ، المجلس السادس صفحة ٣٤ ما يلي «كان لإبراهيم الموصلي عبد أسود يقال له زرياب وكان مطبوعاً على الغناء وقد علمه إبراهيم وكان ربما حضر به مجلس الخليفة هارون الرشيد يُغنّي فيه ثم انتقل إلى القيروان إلى بني الأغلب فدخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب فغنّاه بأبيات عنترة بن شداد

فإن تكُ أمي غُرابيّةً من أبناء حامٍ بها عبْتَني
فإني لطيفٌ ببيض الظّبا وسُمرِ العوالي إذا جئتَني
ولولا فرارك يوم الوغى لقدتُكَ في الحربِ أو قُدْتَني

فغضب زيادة الله وأمر بصفع قفاه وإخراجه ، وقال له «إن وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة أيام ضربتُ عنقك» فجاز البحر إلى الأندلس فكان عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم

أمّا المقّري «في نفح الطيب» فروى لماذا رحل زرياب إلى الأندلس بقوله إن الخليفة هارون الرشيد طلب من إسحق الموصلي أن يأتيه بمغنٍ جديد فأحضر له تلميذه زرياب وسئل زرياب عن معرفته بالتلحين فقال «يا أمير المؤمنين نعم أحسنُ ما يحسنه الناس وأكثر ما أحسنهُ لا يحسنونه ، مما لا يَحسن إلاّ عندك ولا يُدّخرُ إلاّ لك ، فإن أنت أذنت غنّيتك ما لم تسمعه أذنٌ من قبل»

وقدّم لزرياب عود إسحق الموصلي فأحجم عن مد يده إليه وقال «إنّ لي عوداً خاصاً فإن كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنّيته بعوده ، وإن كان يرغب في غنائي فلا بدّ لي من عودي» واحتضن عوده وتغنّى

يا أيّها الملك الميمون طائره هارون راح إليك الناس وابتكروا

فطرب الرشيد وقال لإسحق معاتباً «والله لولا أني أعلم من صدقك وتصديقه لك من أنك لم تسمعه من قبل لأنزلت بك العقوبة فخذه إليك واعتنِ به فإنَّ لي فيه نظراً»

وعلم إسحق أن زرياب سينافسه وسيشكّلُ خطراً عليه ، فقال له «إما أن تذهب عنّي فلا أسمع لك خبراً بعد أن تعطيني الأيمان الموثّقة ، وإما أن تُقيم على كرهي فخذ حذرك منّي»

فتأكد زرياب أن إسحـــق جاد في تهديده فآثر الرحيل إلى بغداد ، فزوَّده أستاذه بالطعام والكسوة والمال ثم رحل إلى الأندلس

يلاحظ أن ابن عبد ربه ذكر في روايته عن رحيل زرياب إلى الأندلس أن أستاذه كان إبراهيم الموصلي والد إسحق ، ولم يكن تلميذاً لإسحق

*

قيل إن الجن كانت تكلم زرياب وتطارحه كل ليلة وهو نائم ما يُزهى به من غنائه وكان إسحق قد وصف زرياب بالمجنون أمام الرشيد ، فصدّقه الخليفة وأعرب عن أسفه على ما كان عليه زرياب

في الأندلس اتخذ زرياب مدينة قرطبة مكاناً لإقامته وأفراد أسرته وكان له من الذكور ثمانية أولاد ومن الإناث اثنتان وكانت له جارية اسمها «متعة» والجميع برعوا في الغناء وخاصة ابنتاه عليّة وحمدونة التي أصبحت زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز في الأندلس

وكان زرياب أستاذاً للجواري الأندلسيات فعلمهن الغناء العربي ووصف ابن عبد ربِّه في «العقد الفريد» أثر الغناء في النفوس بقوله «فهل خلق الله شيئاً أوقع بالقلوب وأشدّ اختلاساً للعقول من الصوت الحسن إذا كان مِن وجهٍ حَسن؟ !»

وقد غنت «متعة» جارية زرياب أمام عبد الرحمن بن الحكم وحظيت بإعجابه ، لكنه لم يكشف النقاب عن إعجابه بها لأنه أمير لكنه لمّح إلى رغبته فيها وقد غنته من نظمها

يـا مَـن يـغـطّـي هـواهُ مَن ذا يُغطّي النّهـــارا
قـــد كنت أملك قلبي حـــتى علقتُ فطارا
يـا ويـلتـــــا أتراهُ لي كـانَ أو مُـسـتـعـارا
يـا بـأبـي قُـــــرَشـيٌّ خلعتُ منه العِـــذارا

وعندما علم زرياب بذلك وهب متعة للأمير

سائب خاثر

(٠٠٠ ـ ٦٣هـ)
(٠٠٠ ـ ٦٨٢م)

سائب بن يسار اللّيثي بالولاء، أبو جعفر أحد أئمة الغناء والتلحين في العرب فارسي الأصل كان أبوه مولىً لبني ليث وأعتقوه نشأ سائب في المدينة، فاحترف التجارة وأثرى وكان حسن الصوت، حلو المعشر وكان من ساكني المدينة

قال النويري هو أول من عمل العود بالمدينة وغنّى به وأول صوت غَنّى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن هو الأبيات التي أولها (لمن الدّيار رسومها قفرُ» لكن الأصبهاني قال «لم يكن خاثر يضرب بالعود وإنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلاً» وهو أستاذ معبد وابن سُريج وعزّة الميلاء وآخرين

وسمع الخليفة معاوية غناءَه مراراً وقيل إن سبب تسميته بسائب خاثر أنه غنّى صوتاً ثقيلاً فقال من سمعه هذا غناءٌ خاثر أي غير محذوق فلصق به لَقَباً ولما قدم جيش يزيد بن معاوية وعليه مسلم بن عقبة المري يريد دخول المدينة، خرج أهل المدينة لقتاله في الحَرَّة وكان في جملتهم سائب خاثر فقُتل في المعركة ومَرّ به بعض القرشيين وهو قتيل فضربه بِرِجْله وقال إن ههنا لحنجرة حسنة

ووفد عبدالله بن جعفر ذات يوم على معاوية ومعه سائب خاثر فعرض عليه حاجة لسائب فقال معاوية «من هو سائب خاثر؟ !» فقال له عبدالله رجل من أهل المدينة ليثي يروي الشعر فقال الخليفة أوَكُلُّ من روى الشّعر

أراد أن نَصِلَهُ! فقال عبدالله إنه حَسَّنه قال الخليفة وإن حَسّنه؟ ثم طلب عبدالله من سائب خاثر أن يغنّي ، فغنى

لِمَنِ الدّيارُ رُسومُها قَفْرُ لَعِبتْ بها الأرواحُ والقَطرُ
وخلا لها من بعدِ ساكِنها حِجَجٌ مَضينَ ثمان أو عَشْرُ
والزعفرانُ على ترائبِها شَرِقٌ[1] به اللَّبَاتُ والنَّحْرُ

فالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر فقال أشهد لقد حَسَّنَ الشّعر! فقضى الخليفة حوائجه وأحسنَ إليه

وأشرف معاوية ليلاً على منزل ابنه يزيد فسمع صوتاً أعجبه واستخفّهُ السّماع فاستمع قائماً حتى مَلّ ثم دعا بكرسي فجلس عليه واشتهى الاستزادة فاستمع بقيّة ليلته حتى مل فلمّا أصبح غدا عليه يزيد فقال له «يا بُنيّ من كان جليسك البارحة؟ فقال أيّ جليس يا أمير المؤمنين؟ فتلكأ بالجواب فقال له الخليفة عَرّفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك فقال له سائب خاثر فقال معاوية أكثر له يا بُني مِن بِرّك وَصِلَتك فما رأيت بمجالسته بأساً

من المغنين الذين أخذوا عن سائب خاثر صنعة الغناء المغنية جميلة فقد سألوها مرة أنّى لك هذا الغناء؟ فقالت

ـ «والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائي»

---

(١) شرق الجسد بالطيب : امتلأ

سلاّمة القَس

(٠٠٠ ـ نحو ١٣٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٤٨م)

سلاّمة القَس مغنيّة، شاعرة من مولدات المدينة نشأت بها، أخذت الغناء عن معبد وطبقته فمهرت في الغناء، وحذقت الضرب على الأوتار وقالت الشعر الكثير شغف بها عبد الرحمن بن أبي عمّار الجشمي الملقَّب بالقَسّ لكثرة عبادته وكان تابعياً فنسبت إليه وغلب عليها لقبه

سمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها ـ قيل بعشرين ألف دينار ـ فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي ولها شعرٌ في رثائه وكان يقدّم عليها في الغناء حبابة وأدركت سلاّمة مقتل الوليد بن يزيد

وكانت سلاّمة القَس وحَبابة من قيان أهل المدينة وكانتا ظريفتين ضاربتين لكن سلاّمة كانت أحسن غناء، وحبابة أحسن وجهاً وكانت سلاّمة تنظم الشعر وحبابة تتعاطاه فلا تُحسِن

قال الزُبَيْري ما رأيت من قيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سلاّمة التي أخذت الغناء عن جميلة

وأعجب القَس بسلامة، وفيها يقول

أهابُك أن أقولَ بذلت نفسي ولو أنّي أطيع القلبَ قالا
حياءً منك حتى سُلَّ جسمي وشَقّ عليَّ كتماني وطالا

والقَس هو عبد الرحمن بن أبي عمّار من بني جُشَم بن معاوية، وكان منزله بمكة وكان سبب افتتانه بسلاّمة أنه سمع غناءها مصادفة فبلغ غناؤها

منه كلّ مبلغ فرآه مولاها وقال له

ـ هل لكَ أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمعها !؟

فأبى القَس فقال مولاها

ـ أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها

فأبى القس . فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه ، وقال له

ـ هل لك في أن أخرجها إليك؟

فأبى فلم يزل به حتى أخرجها فقعدت بين يديه فتغنت فشغف بها وشغفت به وعرف ذلك أهل مكة فقالت له يوماً

ـ أنا والله أحبُّكَ

قال

ـ وأنا والله أحبُّك

قالت

ـ وأحبُّ أن أضع فمي على فمِك !

قال

ـ وأنا والله أحبُّ ذلك

قالت

ـ فما يمنعك؟ ! فوالله إن الموضع لَخالٍ

قال

ـ إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول ﴿الإخلاّءُ يَوْمئذ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتّقين﴾وأنا أكره أن تكون خُلّة ما بيني وبينك تؤول إلىَ عداوة

ثم قام القَس وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك وقال مِن فورِه فيها

إنّ التي طَرَقَتْكَ بينَ ركائبٍ تمشي بِمِزْهَرِها وأنتَ حَرامُ

لتصيد قلبكَ أو جزاءَ مودّة إن الرفيق لهُ عليك ذمامُ

باتت تُعَلِّلُنا وتحسبُ أنّنا في ذاك أيقاظٌ ونحنُ نيامُ

حتى إذا سطع الضياءُ لناظرٍ فإذا وذلك بيننا أحلامُ

قال الجمحي كانت سلاّمة وريّا أختين وكانتا من أجمل النساء وأحسنهنّ غناءً ، فاجتمع الأحوص وابن قيس الرُّقيّات عندهما فقال لهما ابن قيس الرّقيات إني أريد أن أمدحكما بأبيات وأصدُقَ فيها ولا أكذب ، فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقربُكما قالتا فما قلت ، قال قلت

لقد فتنت ريّا وسلاّمةُ القَسّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفْسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأخرى منهما تشبهُ الشَّمْسا
تكُنّانِ أبشاراً رقاقاً وأوجهاً ... عِتاقاً وأطرافاً مخضّبةً مُلْسا

فغنت سلامة الأبيات

ولما قدم عثمان بن حيان المُرّي المدينة والياً عليها ، قال له قوم من وجوه الناس إنك قد وَليتَ على كثرة من الفساد ، فإن كنت تريد أن تُصلِح فطهِّرها من الغناء والزّنا فصاح في ذلك وأجّل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة وكان ابن أبي عتيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح فلما كان آخر يوم من الأجل قَدِم فقال «لا أدخل منزلي حتى أدخُلَ على سلاّمة القَسّ» فدخل عليها فقال «ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلّم عليكم» قالوا ما أغفلَك من أمرنا وأخبروه الخبر فقال اصبروا عليّ الليلة فإن خفتم فاخرجوا في السَّحر

وغادر ابن أبي عتيق المنزل وقابل عثمان بن حيان فسأله الخبر فقال له لقد أمرت بإخراج أهل الغناء والزنا! وقد فعلت ذلك بناء على ما أشار به عليّ أصحابك فقال له ابن أبي عتيق

ـ لقد أصبت ولكن ما تقول ـ أمتع الله بك ـ في امرأة كانت صناعتها الغناء وكانت تُكرَه على ذلك وأقبلت على الصلاة والصيام والخير! وسآتي بها إليك وتسمع كلامها وتنظر إليها فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يُترك تركتها فقال عثمان سأستمع إليها فجاء ابن أبي عتيق بسلاّمة وقال لها اجعلي معك سبحةً وتخشعي ، ففعلت فلما دخلت على عثمان حدّثته وإذا

هي من أعلم الناس بالناس فأعجب بها وحدّثته عن آبائه وأمورهم ففكهَ لذلك

وقال لها ابن أبي عتيق اقرأي للأمير فقرأت له وقال لها احْدي له ففعلت فكثُر تعجّب عثمان بها فقال ابن أبي عتيق كيف لو سمعتها في صناعتها! وأمرها بالغناء فغنّت

سَدَدْن خَصاص[1] الخيمِ لما دَخَلْنَهُ بكل لَبـــانٍ[2] واضحٍ وجـــبين

فقام عثمان من مجلسه وقعد بين يديها ثم قال

ـ لا والله ما مثل هذه تخرج من المدينة

فقال ابن أبي عتيق

ـ لا يدعك الناسُ يقولون أقَرّ سلاّمة وأخرج غيرها

فقال عثمان

ـ دعوهم جميعاً فتركوهم

*

قدِم يزيد بن عبد الملك إلى مكة وكان قد سمع بخبر سلاّمة فأراد شراءها ولما عرضت عليها أمرها بأن تغني فغنّته بأبيات للقس فاستحسن غناءها واشتراها على الفور وكان أول صوت غنته له بعد شرائها قول القّس

ألا قُلْ لهذا القلبِ هل أنتَ مبصِرُ وهل أنت عن سلاّمة اليوم مقصرُ

ألا ليت أني حين صار بيَ النَّوى جليسٌ لسلمى حيث ما عج مزهرُ

إذا أخذت في الصوت كان جليسها يطيـــرُ إليـــهـــا قلبـــه حين ينظرُ

وسألها يزيد عن صاحب الأبيات فأخبرته بقصتها فقال أحْسنَ وأحْسَنْت

---

(١) الخصاص الخروق . (٢) اللبان الصدر .

وقد ندبت سلاّمة يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك ولا أشجى فقد أبكت العيون وأحرقت القلوب وأفتنت الأسماع جاء في المرثية

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشّامِ في طَرَفِ الكثيبِ
بالشامِ بين صفائحٍ صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجبوبِ[1]
لما سمعتُ أنينَهُ وبكاءَه عندَ المغيبِ
أقبلتُ أطلبُ طِبَّهُ والدّاءُ يُعضِلُ[2] بالطبيبِ

(١) الجبوب المَدَر المفتت ، والمدر هو الطين الذي لا يخالطه رمل

(٢) يعضل من عَضل وتعضّل الداء الأطباء أعياهم

سِياط

(٠٠٠ ـ ١٦٩هـ)
(٠٠٠ ـ ٧٨٥م)

عبدالله بن وهب ، مولى خزاعة المعروف بسياط أحد المقدمين في صناعة الغناء والعزف من أهل مكّة وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي وطبقتهما وعنه أخذا ونقلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم وكان هو قد أخذه عن يونس الكاتب وكان سياط زوج أمّ ابن جامع وفيه يقول بعض الشعراء

ما سمعتُ الغناءَ إلاّ شجاني مِن سياطٍ وزاد في وسواسي
غنِّني يا سياطُ قد ذهبَ الليلُ غناءً يطيرُ منه نُعاسي
ما أبالي إذا سمعت غناءً لسياطٍ ما فاتني للرُّؤاسي

والرّؤاسي الذي عناه الشاعر هو عباس بن منقار وهو من بني رؤاس ، وفيه يقول محمد بن أبان الضّبي

إذا واخيتَ عبّاساً فكن منهُ على وَجْلِ[1]
فتىً لا يقبلُ العُذرَ ولا يرغبُ في الوَصْلِ
وما إن يتغنّى مَن يواخيه من النُّبْلِ

قال حمّاد بن إسحق لقب عبدالله بن وهب بسياط لأنه كان كثيراً ما يتغنّى

فإنّ مَزاحفَ الحيّاتِ فيه قبيلَ الصُّبْح آثارُ السِّياط

---

(١) الوَجَل بالتحريك سُكِّن لضرورة الوزن في الشعر

غنّى إبراهيم الموصلي يوماً صوتاً لسياط فقال له ابنه إسحق لمن هذا الغناء يا أبت؟ قال لمنْ لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله

وحدّث حمّاد بن إسحق عن أبيه قال «مرّ سياط على أبي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رَثّ فوثب إليه أبو ريحانة وقال بأبي أنت يا أبا وهب غنّني صوتك في شعر ابن جُندُب

فؤادي رهينٌ في هواك ومهجتي تذوب وأجفاني عليك همولُ

فغنّاه إياه فشقّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً فقال له رجل ما أغْنى عنك وما غَنّاكَ من شقّ قميصك! فقال له يا ابن أخي ، إنَّ الشِّعر الحَسن من المغنّي الحسن ذي الصّوت المُطرب أدفأ للمقرور من حمّام مُحَمّى فقال له الرجل أنت عندي من الذين قال الله جلّ وعزّ فيهم **﴿فما ربحَت تجَارَتُهُمْ وما كانوا مُهْتَدين﴾** فقال بل أنا من الذين قال فيهم تبارك وتعالى **﴿الّذينَ يَسْتَمعونَ القولَ فَيَتّبِعونَ أحْسَنَه﴾** وقيل إن سياطاً عوّضه عن ثوبه المشقوق قميصاً وجبّة وسراويل وعمامة

قال حمّاد بن إسحق قال أبي «أدركت أربعة كانوا أحسن الناس غناء ، سياطٌ أحدهم

*

دخل ابن جامع علي سياط وقد نزل به الموت فقال له ألك حاجة؟ فقال نعم ، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تُنقص منه دعه رأساً برأس ، فإنّما هو ثمانية عشر صوتاً

وحدّث محمد بن حديد أخو النّضر بن حديد قال إن إخواناً لسياط دَعَوه ، فأقام عندهم ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزلهم فجاءوا إلى أمّه وقالوا يا هذه إنا دعونا ابنك لنكرمه ونُسَرّ به ونأنس بقربه فمات فجأة وها نحن بين يديك فاحْكمي ما شئت ونشدناك الله ألا تعرّضينا للسلطان أو

تدّعي فيه علينا ما لم نفعله فقالت ما كنت لأفْعَل ، وقد صدقتم فجاءت معهم فحَملته إلى منزلها وأصلحت أمره ودفنته وقد مات في أوائل أيام موسى الهادي

*

وكان للمهدي ثلاث جوار مغنيات كل واحدة منهن تدعى قرشية قرشية الزبّاء ، وقرشية السوداء ، وقرشية البيضاء وأشهرهن الزّباء التي كانت تردد أنَّ سياطاً أحسن المغنين صوتاً وأجودهم غناءً بين جميع الذين أدركتهم وعرفتهم وأخذت عنهم

طُوَيْس

(١١ ـ ٩٢هـ)
(٦٣٢ ـ ٧١١م)

عيسى بن عبدالله ، أبو عبد المنعم ، مولى بني مخزوم أول من غنّى بالمدينة غناءً يدخل فيه الإيقاع كان ظريفاً عالماً بتاريخ المدينة وأنساب أهلها يجيد النقر على الدّف وهو من أشهر المغنين العارفين بصناعة الغناء في صدر الإسلام

ولد بالمدينة وأقام إلى أيام مروان بن الحكم فانتقل إلى السويداء فلم يزل فيها إلى أن توفي وفي المثل «أشأم من طويس» لما يقال من أنّه ولد يوم وفاة النبي ﷺ وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وتزوّج يوم قتل عثمان ، وَوُلِد له يوم قتل عليّ فتشاءموا به

كان طويس طويلاً أحول ، مخنّثاً ، يتّقيه الناس للسانه اللاّذع وكان بالمدينة مخنّث يقال له النُّغاشي ، فقيل لمروان بن الحكم إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً فبعث إليه فاستقرأه أمَّ الكتاب فقال والله ما معي بناتها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمّهن ! فقال مروان أتهزأ لا أمَّ لك ! فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان وهو واد بالمدينة وأضاف مروان من جاءني بمخنّث فله عشرة دنانير فأتى طويسٌ وهو يغني بشعر حسان بن ثابت

لقد هاجَ نفسَك أشجانُها وعاودها اليوم أديانها

فأُخبر طويس بمقالة مروان فيهم ، فقال أما فضّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفيهم أمراً واحداً ! ثم خرج حتى نزل السويداء هرباً من الأسر والقتل وبقي فيها إلى أن مات في ولاية الوليد بن عبد الملك

وطويس تصغير الطاووس وهو لقب غلب عليه وهو أول من صنع اللحنين المعروفين بالهزج والرمل في زمن الإسلام وهو أول من غنّى الغناء العربي في المدينة

*

نزل ابن سُريج ذات يوم بالمدينة ، فغنى وأجاد وقال له الذين انتشوا بغنائه أنت والله أحسن الناس غناء ومر طويس وسمع ما قالوه فراح ينقر على دفّه ويغني بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت

تناهى فيكُمُ وجدي وصَدَّع حبكم كبدي
فقلبي مسعرٌ حزناً بذاتِ الخالِ في الخَدِّ
فما لاقى أخو عشْقٍ عشيرِ العشرِ من جَهدي

فما كان من ابن سريج إلا أن هتف «هذا والله أحسن الناس غناءً لا أنا»

وخرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، إلى السويداء ، وخرج الناس معه ، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب اللّيثي ، وسعيد بن عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصاري فلقيهما طويس وقال لهما بأبي أنتما وأمي عَرِّجا إلى منزلي فقال يزيد لسعيد مِل بنا مع أبي عبد المنعم فقال سعيد أين تذهب مع هذا المخنّث؟ ! فقال يزيد إنما هو منزلُ ساعة فأتيا منزله وأكرمهما ثم أمسك بدفّه ونقر وغنّى

يا خَليلَيَّ نابني سُهُدي لم تنم عيني ولم تَكَد
فشرَابي ما أسيغُ وما أشتكي ما بي إلى أحدِ
كيف تلحوني على رَجُلٍ آنسٍ تلتذّه كبدي
مثلُ ضوءِ البدرِ صورتُه ليسَ بالزُّمَّيْلَةِ[1] النّكِدِ
نظرتْ يوماً فلا نظرت بعده عيني إلى أحَدِ

(١) الزُّمَّيْلَةُ : الضعيف الجبان كأنّه سُمّي بذلك لأنه يتزمّل بثيابه فينام

فقال سعيد ما رأيت كاليوم قطُّ شعراً أجود ولا غناءً أحسن منه فقال له طويس أتدري من يقول هذا الشعر؟ قال لا قال عمَّتُك خولة بنت ثابت تشبِّبُ بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي

فخرج سعيد وهو يردّد ما رأيت كاليوم قطُّ مثل ما استقبلني به هذا المخنّث والله لا يُفلتُني فقال له يزيد دع هذا وأمتْهُ ولا ترفع به رأساً

وقال إسحق حدّثني المدائني قال حُدِّثت أنّ طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها فأسرعت في المشي فلم ينقطع عنها فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت يا هؤلاء لي صديقٌ ولي زوجٌ ومولىً ينكحني ، فسلوا هذا ما يريد منّي فقال أضيِّقُ ما قد وسّعوه ثم جعل يغنّي

أفِقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ وجُمْلٌ قطّعت حبلي
أفق عنها غُنّيتُ حَوْ لاً في هوى جُمْلِ
وكيف يفيق محزونٌ بِجُمْلٍ هائمُ العقلِ
براهُ الحبُّ في جُمْلٍ فحسبي الحُبُّ من ثِقْلِ
وقِدماً لامني أهلي فلم أحْفِل بهم أهلي

*

قال مَسْلَمة بن محارب حَدّثني رجل من أصحابنا قال :خرجنا في سَفْرة ومعنا رجل فانتهينا إلى واد فدَعَونا بالغداء فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخَلْقِ في زيّ الأعراب فقال لنا ما لكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا فأخبرناه خبر الرجل فقال ما اسم صاحبكم؟ فقلنا أُسيد ، فقال هذا وادٍ قد أُخذت سباعهُ فارحلوا ، فلو جاوزتُم الوادي قوي صاحبكم وأكل

فقلنا في أنفسنا هذا من الجنّ وَدَخَلَتْنَا فَزْعةٌ ففهم ذلك وقال ليذهب روعكم وفزعكم فأنا طويس فرحبنا به وقلنا له ما هذا الزّي؟ فقال دعاني بعض أصدقائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطى

الأحياء فلا ينكروني فسألنا الرجل أن يغنّينا فاندفع ونقر بدف معه مربّع وغنى من شعر عروة بن أذينة في سلمى امرأته الغفّارية حيث رهنها على الشراب وهو سكران

سَقَوْني الخمرَ ثم تكَنّفوني عُداةُ الله من كَذِبٍ وزورِ
وقالوا لستَ بعدَ فداء سلمى بمغنٍ ما لديكَ ولا فقيرِ
فلا والله ما مُلّكتُ أمري ومَنْ لي بالتّدبُّرِ في الأمورِ
إذاً لَعَصَيْتَهُم في حُبِّ سلمى على ما كان من حَسَكٍ[1] الصُّدورِ
فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري على شيءٍ ويكرهُهُ ضميري

(١) الحسك الشوك ويُكنى به عن العداوة والحقد

عبدالله بن العبّاس الربيعي

(القرن الثاني الهجري)

شاعر مطبوع ، ومغنٍّ ، محسن ، جيّد الصنعة نادرها ، حسن الرواية ، حلو الشعر ظريفه ، ليس من الشعر الجيّد الجزل ، ولا من المرذول ، ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم

عاصر خمسة من الخلفاء العباسيين هم الرشيد ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر وغنّاهم وفاز بصلاتهم الجزلة وكانت له نوادر معهم

دخل محمد بن عبد الملك الزيات الوزير على الخليفة الواثق وكان الربيعي بين يديه وقد استعاده صوتاً استحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك هذا والله ، يا أمير المؤمنين ، أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك إياه فقال الواثق هذا مولاي وابن مولاي وابن موالي لا يُعرفون غير ذلك فقال له ليس كل مولى ، يا أمير المؤمنين بوليّ بمواليه ، ولا كل مولى متجمّل بولائه ، يجمع ما جمع عبدالله من ظرف وأدب وصحّة عقل وجودة شعر فقال صدقت ، يا محمد !

وبكّر الربيعي من الغد لزيارة محمد بن عبد الملك وشكره على حسن محضره في مجلس الواثق ومما قاله في سياق الحديث لقد أفرط الوزير ، أعزّه الله ، في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر ، وليس ذلك عندي ، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة ، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ، ومحله في هذا الباب المحلّ الرفيع المشهور فقال الوزير والله ، يا أخي ، لو عرفت مقدار شعرك وقولك

يا شادناً رام إذ مرّ في السَّعانين قتلي

يقول لي كيف أصبحت كيف يصبح مثلي

لما قلتَ هذا القول والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كلّه إلاّ قولك كيف يصبح مثلي ، لكفاك ولكنت شاعراً مجيداً!

والربيعي كان أول من غنّى بالكنكلة (ضرب من الآلات الموسيقية) في الإسلام ، ووضع هذا الصوت عليها

أتاني يؤامرني في الصبوح ليلاً فقلت له غادها

وكان أول صوتين صنعهما الربيعي في مبدإ غنائه والتلحين ـ بعد أن تعلّم الغناء وشعر في نفسه بقوة في صناعة التلحين - في هذا الشعر للعرجي

أماطت كساء الخزّ عن حر وجهها وأدنت على الخدّين بُرداً مُهلهلا

ومن أخبار عبدالله بن العباس الربيعي مع الواثق ، أن محمد بن الفضل الجرجاني أنشده يوماً للمعلّى الطائي الشاعر

باكر صَبوحك صبحة النيروز واشرب بكأس مترع وبكوز
ضحك الربيع إليك عن نَوّارِهِ آسٍ ونسرين ومَرْماحوز

فاستعادهما عبدالله ، فأعادهما الجرجاني ، وأملاهما عليه ، فصنع فيهما من فوره لحناً غنّى به الواثق في يوم نيروز ، ولم يستعد غيره طوال يومه ، وأمر له بجائزة مقدارها ثلاثون ألف درهم

كان بعض الشعراء والمغنين في يوم غائم وممطر عند الواثق ، فالتمع برق واستطار ، فطلب الواثق أن يقولوا في ذلك شيئاً ، فكان أسبقهم إلى النظم عبدالله بن العباس الذي قال

أعنّي على لامعٍ بارق خفيّ كلمحك بالحاجب
كأن تألقه في السما ء يدا كاتبٍ أو حاسب

ومن فوره صنع فيه لحناً شرب فيه الواثق سائر يومه لشدة ما أعجب بالشعر ومعناه ولحنه ومنح عبدالله جائزة سنية

ووصل إلى علم عبدالله أن الواثق غضب على جاريته فريدة بسبب

كلام كتمته عنه فأغضبته بعملها هذا وبينما كان جالساً للصبوح غنّاه ابن العباس لحنه في شعر للأحوص هو

لا تأمني الصَّرم مني أن تري كلفي وإن مضى لصفاء الودّ إعصارُ
ما سُمّي القلب إلاّ من تقلّبه والرأي يُصرَفُ والأهواء أطوارُ
كم من ذوي مِقةٍ قبلي وقبلكمُ خانوا فأضحوا إلى الهجران قد صاروا

فطرب الواثق واستعاده غير مرة ، وبلغ من شدة إعجابه أن أمر لعبدالله ابن العباس بألف دينار ، فضلاً عن خلعه عليه

ومن نوادر عبدالله بن العباس الربيعي مع الواثق أن الخليفة هذا كان جمع يوماً المغنين ليصطبح ، فقال لعبدالله بحياتي إلاّ صنعتَ لي هزجاً حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة ودخل إلى جواريه ، فقال عبدالله أبياتاً وغنّى فيها هزجاً قبل خروج الواثق وهي

بأبي زَوْرٌ أتاني بالغَلَسْ قمتُ إجلالاً له حتى جلس
فتعانقنا جميعاً ساعة كادت الأرواح فيها تُختلس
قلتُ يا سؤلي ويا بدر الدجى في ظلام الليل ما خِفتَ العَسس
قال قد خفتُ ولكنّ الهوى آخذ بالروح مني والنَفَس
زارني يخطر في مشيته حوله من نور خدّيه قَبَس

فلمّا خرج الواثق من دار الحُرَم قال لعبدالله ما صنعت؟ فاندفع يغنّيه ما نظم ولحّن ، فشرب حتى انتشى ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمره بتعليم جواريه صوته هذا

ومن شهادات الخلفاء في تقدير هذا المغنّي المجيد ما قاله له المتوكل يوماً وقد غنّاه فطرب أيّما طَرب

أحبّ إلينا منك دَلاً وما يرى له عند فعلي من ثوابٍ ولا أجرِ

- أحسنت والله ، يا عبدالله ، لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنياً سواك أبداً !

وغضبت قبيحة وكانت الجارية المفضّلة لدى المتوكل عليه وهاجرته وفي يوم جلس ودخل المغنّون على عادتهم وفي جملتهم عبدالله ، وكان عرف بخبر الجفاء هذا ، فنظم هذه الأبيات وتغنّى بها

لستَ مني ولستُ منك فدعني يا حبيبي مُصاحباً بسلامِ
لم تجدْ علّةً تجنّي بها الذنبَ فصارت تعتلُّ بالأحلامِ
فإذا ما شكوت ما بي قالت قد رأينا خلاف ذا في المنامِ

فتولّى المتوكل الطرب ، وأمر له بعشرين ألف درهم وقال فيه قولته الشهيرة «إن في حياتك ، يا عبدالله ، لأنساً وجمالاً وبقاءً للمروءة والظرف !

قرِّبِ النَّحام واعجل يا غلامْ واطْرحِ السرج عليه واللجامْ
أبلغِ الفتيان أني خائض غمرة الضرب فمن شاء أقامْ

فغنّى فيه لحنه المعروف ومن الغد دخلوا إحدى المدن ، فإذا برجل يغنّي بهذا الصوت فدهش وقال لنفسه والله ما سبقني إليه أحد ولا سمعه مني أحد ، فما أدري من الرجل ولا من أين كان له ، وما أرى إلا أن الجنّ أوقعته في لسانه

وما أطرف خبره الذي كان سبباً في حرمان المرابين من مائة ألف دينار فقد كان عبدالله بن العباس مقيماً في سُرَّ من رأى ، وقد أثقل كاهله دَيْن كبر أكثره عنية (أي بيع الشيء إلى أجل بزيادة على ثمنه مقابل انتظار الثمن) وربُا فقال في الخليفة المتوكل

اسقياني سحراً بالكبَرهْ ما قضى الله ففيه الخيَرهْ
أكرمَ الله الإمام المرتضى وأطال الله فينا عُمرَهْ
إن أكُن أقعدتُ عنه هكذا قدَّر الله رضينا قدَرَهْ
سرَّهُ الله وأبقاه لنا ألف عام وكفانا الضَجَرَه

وبعث بالأبيات إليه ، وكان متخفّياً عن الغرماء من مدينيه فقال المتوكل لدى تسلّمه الأبيات لعبيدالله بن يحيى أن يسأله من هم الضجرة الذين استكفيت شرَّهم فقال عبدالله أولئك الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذت منهم من الدَيْن بالربا فأمر عبيدالله أن يقضي دينه ، وأن يحسب لهم رؤوس أموالهم ويُسقط ما يزيد ويفضل ، وأن ينادي بذلك في سُرَّ من رأى حتى لا يقضي أحدٌ أحداً إلاّ رأس ماله ، وسقط عنه وعن الناس من الأرباح غير المشروعة زهاء مائة ألف دينار كانت أبياته المذكورة سببها !

ولما وضع عبدالله بن العباس الربيعي لحنه في شعره الذي نظمه في جارية نصرانية كان معجباً بها ويهواها ، وهو

ألا أصبْحاني يوم السعانين من قهوة عُتّقت بكُركينِ
عند أناس قلبي بهم كَلِفٌ وإن تولّوا دِيناً سوى ديني
قد زيّن الملك جعفر وحكى جود أبيه وبأس هارون
وآمَن الخائف البريء كما أخاف أهل الإلحاد في الدين

دعاه المتوكل للجلوس في مجلس المنادمة فغنّى هذا الصوت ، فقال له

ـ يا عبدالله ، أين غناؤك في هذا الشعر في أيامي هذه ، من غنائك في

أماطت كساء الخزّ عن حُرِّ وجهها وأدنتْ على الخدّين بُرداً مهلهلا

ومن غنائك في

أقفر من بعد خُلَّةٍ سرفُ فالمنحنى فالعقيق فالجرُفُ

ومن سائر صنعتك المتقدمة التي استفرغت محاسنك فيها؟ فقال له

- يا أمير المؤمنين ، إني كنت أتغنّى في هذه الأصوات ولي شباب وطرب وعشق ، ولو رُدَّ عليَّ لغنّيت مثل هذا الغناء

فأمر له المتوكل بجائزة بعد أن استحسن قوله

*

روت المغنية مُتَيَّم الهشامية أن عبدالله بن العباس كان يهوى مصابيح الجارية المشهورة من جواري آل يحيى بن معاذ - ولعلّها كانت قبلاً من جواري الأحدب المقَيَّن وقبل أن تصير من جواري رقية بنت الفضل بن الربيع ، عمّة عبدالله بن العباس وقد قال فيها شعراً لحّنه هو

إني اتخـــذت عـــدوَّةً فســـقى الإلـــه عـــدوّتي
وفـــديتـــهـــا بأقـــاربي وبأســـرتي وبجـــيـــرتي
جُـدلت كـجـدل الخـيـزرا ن وثُنّيت فـــتـــثـنّت
واســـتـــيـــقنت أن الفـــؤا د يُحـــبّـــهـــا فـــأذلّت

وبلغه ما أغضبه عليها ، ولكنه ما لبث أن ودّ مراضاتها فأبت ، فوجّه إليها رقعة يحلف لها فيها على بطلان ما أنكرته ، ويدعو الله على من ظلم فلم تردّ على شيء مما كتب في الرقعة ، ووقّعت تحت دعائه آمين ، مكتفية بهذا الجواب عن كل ما احتوته الرقعة فكتب إذ ذاك إليها

أمّـــا ســـروري بالكتـــاب فليس يفنى مـــا بقـــينا
وافى وقـــد وقّـــعتِ لي آمين ربّ العـــالمينا

وقيل إنها زارته في ليلة من ليالي شهر رمضان ولبثت عنده ساعة ، ثم غادرت وأبت أن تقضي ليلتها عنده أو تبيت معه فقال في ذلك هذا الشعر وغنّى هزجاً وهو من ألحانه المشهورة

يا مـن لِهَـمٍّ أمـــسى يؤرّقـني حـتى مـضى شطر ليلةِ الجُـهَني
عنّي ولم أدرِ أنهـا حـضـرت كـذاك من كـان حُـزنه حـزني
إني ســـقـــيم مُـــدْله دنف أسـقـمني حـسن وجـهك الحَسَنِ
جـودي له بالشـفـاء منيـتُـه لا تهـجـري هائماً عليك ضني

وليلة الجُهَني هي ليلة التاسع عشر من شهر رمضان ، قال رجل من جهينة إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسمّيت ليلة الجُهَني

ويتصل بهذه القصة هذا الخبر ومفاده أن بذل الكبيرة الجارية المغنية المعروفة قالت يوماً لعبدالله بن العباس قد بلغني أنك عشقت جارية يقال لها عساليج فاعرضها علي فإمّا أن عذرتك وإمّا أن عذلتك فاستدعاها فحضرت ، وقال لبذل هذه ، يا ستِّي ، فانظري ، واسمعي ثم مريني بما شئت أطعك فأقبلت عليه عساليج وقالت يا عبدالله ، أتشاور فيَّ؟ فوالله ما شاورت فيك لمّا صاحبتك ! فهتفت بذل وايه ، أحسنت ، والله ، يا صبيّة ، ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تُحمد لوجب أن تُعشقي لهذه الكلمة ، أحسنت والله ، ثم قالت لعبدالله ما ضيَّعتَ ، احتفظ بصاحبتك !

*

ويُذكر أيضاً خبرهُ مع الخليفة الواثق بُعيد شفائه من مرض غليظ عاناه ، وجمعه المغنين فدخل عليه عبدالله حاملاً عوده ، وما إن وقعت عينه عليه من بعيد وحيث صار بوسعه سماع صوته ، ضرب بعوده وغنّى في شعر نظمه وهو في الطريق إلى دار الخليفة ، ولحّنه وهو

اسلم وعـــمّـــرك الإلـــه لأمـــةٍ بك أصبحت قهرت ذوي الإلحاد
لو تســـتطيع وَقَـــتْكَ كل أذيةٍ بالنفس والأمـــــوال والأولاد

فضحك الواثق وسر وقال أحسنت ، يا عبدالله ، وسررتني وتيمّنت بابتدائك ، ادْنُ مني ؛ فدنا منه حتى كان أقرب المغنين إليه ثُمّ استعاده الصوت ، فأعاده ثلاث مرات ، وشرب عليه ثلاثة أقداح ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه

*

عُبَيْدَة الطُّنبوريّة

(٠٠٠ ـ نحو ٢٢٥هـ)
(٠٠٠ – نحو ٨٤٠ م)

عبيدة الطنبورية من المحسنات المتقدمات في صناعة الغناء والمعرفة بالأدب من أهل بغداد وبعض علماء الفن من معاصريها يَرَوْنَ لها الرياسة والأستاذية في صناعتها كانت من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً

كان إسحق الموصلي يقول «الطّنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان» توفيت في أيام الخليفة العباسي المعتصم ذكرها جحظة في كتاب «مراتب الطنبوريين والطنبوريات» بكل خير، فقال «كانت عُبيدة من المحسنات، وكانت لا تخلو من عشق ولم يُعرف في الدّنيا امرأة أعظم صنعة منها في الطنبور، وكانت لها صنعة عجيبة فمنها في الرمل

كُن لي شفيعاً إليْكا إن خَفّ ذاك عَلَيْكا
واعْفِني من سؤالي سؤالَ ما في يَدَيْكا
يا مَن أعزُّ وأهوى ما لي أهون عَليْكا»

حَدَّث حمّاد بن إسحق الموصلي قال قال لي علي بن الهَيْثم اليزيدي كان أبو محمد (يعني إسحق) يألفني ويدعوني ويعاشرني، فجاء يوماً إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي فلم يصادفه فرجع ومَرّ بي وسلّم علي وأخبرني بقصته، وقال لي هل تنشط اليوم للمصير إليّ؟ فقلت له ما على الأرض شيءٌ أحبّ إليّ من ذلك ولكني أخبرك بقصّتي ولا أكتمك فقال هاتها فقلت عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام وقد دعونا عبيدة الطّنبورية ـ وهي حاضرة ـ والساعة يجيء

الرجلان فامضِ في حفظ الله فإني أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم وأروح إليك ، فقال لي فهلا عرضت عليَّ المُقام عندك؟ فقلت له لو علمت أن ذلك مما تنشط له والله لرغبت إليك فيه فإن تفضّلت بذلك كان أعظم لمنّتك فقال أفعَلُ ، فإني كنت أشتهي أن أسمع عُبيدة ، ولكن لي عليك شَريطة ، إنها إن عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليك أمري فقلت له أفعل ما أمرت به فنزل وردّ دابته وعرّفت صاحبي ما جرى فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر وقُدِّم النبيذ فغنت عبيدة لحناً لها تقول فيه

قريبٌ غيرُ مُقْتَرِبِ ومُؤتَلِفٌ كمُجْتَنِبِ
لهُ ودّي ولي منه دواعي الهَمِّ والكَرَبِ
أواصِلُهُ على سببٍ ويهجرني بلا سَبَبِ
ويَظلمني على ثقةٍ بأنَّ إليه مُنْقَلَبي

فطرب إسحق وشرب نصفاً ثم غنت عُبيدة وشرب ولم يزل كذلك حتى شرب كثيراً وشربنا معه ، وقام ليصلّي فقال لها هارون بن أحمد بن هشام

ـ ويحك يا عُبيدة ما تبالين متى مُتِّ!

فقالت

ـ ولِمَ؟

فقال

ـ أتدرين مَن المُستحسِنُ غناءَك والشارب عليه ما شرب؟!

قالت

ـ لا والله

قال

ـ إسحق بن إبراهيم الموصلي ، فلا تُعَرِّفيه أنَّك قد عرفته

فلمّا جاء إسحق ابتدأت تغني فلحقتها هيبة له واختلاط ، فنقصت

نقصاناً بيّناً ، فقال لنا إسحق

ـ هل أعرفتموها مَن أنا؟

فقلنا له

ـ نعم عَرّفها إياك هارون بن أحمد

فقال إسحق

ـ نقوم إذاً فننصرِف إنّه لا ضير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولكم

فقام وانصرف

*

اجتمع الطّنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدود وعُبَيْدة فقال للمسدود غنِّ ، فقال

ـ لا والله لا تقدَّمت عُبيدة وهي الأستاذة

فما غنّى حتى غنّت عُبيدة

وحَدّث جحظة قال وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب بأبنوس

كلُّ شيءٍ سوى الخيانةِ في الحُبِّ يُحْتَمَلُ

وفي عُبيدة قال بعض الشعراء ، ومن الناس من ينسبه إلى إسحق الموصلي

أمستْ عبيدةُ في الإحسانِ واحدَةً فالله جارٌ لها مِن كُلِّ محذورِ
مِن أحسنِ النّاسِ وجهاً حين تُبصرها وأحذقِ الناسِ إن غَنَّت بطُنْبورِ

عريب

(١٨١ ـ ٢٧٧هـ)
(٧٩٧ ـ ٨٩٠ م)

عَريب المأمونية شاعرة، مغنّية، أديبة، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود قيل هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي ولدت ببغداد ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس

أعجب بها الخليفة المأمون فقرّبها حتى نسبت إليه قال ابن وكيع «ما رأيت امرأة أضرب من عَريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً ولا أخف روحاً ولا أحسن خطاباً ولا أسرع جوابا، ولا ألعبَ بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة» يقال إنها صنعت ألف صوت في الغناء ماتت بسامراء

وكانت عَريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشِّعر ومليحة الخط والمذهب في الكلام ونهايةً في الحُسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار، والرواية للشعر ولم يتعلّق بها أحدٌ من نظرائها

قال إسحق الموصلي «كانت عندي صنّاجة كنت معجباً بها واشتهاها أبو إسحق المعتصم في خلافة المأمون فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذ أتاني إنسانٌ يدق الباب دقّاً شديداً فقلت انظروا من هذا فقالوا رسول أمير المؤمنين فقلت «ذهبت صنّاجتي» فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا موهن فدخلت فسلّمت فردّ علي السلام ونظر إلى تغيّر وجهي فقال لي اسكُن، فسكنت

وسألني عن صوت وقال لي أتدري لمن هو؟ فقلت أسمعه يا أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنّته وضربت ، فإذا هي قد شبّهته بالقديم فقلت زدني معها عوداً آخر فإنّه أثبت لي فزادني عوداً آخر فقلت

ـ يا أمير المؤمنين هذا صوتٌ مُحَدث لامرأة ضاربة

فقال

ـ مِن أين قلت ذلك؟

قلت

ـ لـمّا سمعتُ لينَهُ عرفت أنه محدث من غناء النساء ولـمّا رأيت جَودة مقاطعه علمت أنّ صاحبته ضاربة قد حَفظت مقاطعَهُ وأجزاءَهُ ثم طلبت عوداً آخر ، فلم أشكّ ، فقال

ـ صدقت يا إسحق الغناء لعَريب

*

قال علي بن يحيى أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناء عريب الذي صنعته ، فأخذت منها دفاترها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبتُه ، فكانت ألف صوت

وقال الخليفة ابن المعتز حدّثني الهشامي أبو عبدالله ، وأخبرني علي ابن عبد العزيز عن ابن خرداذبة ، قالا : «كانت عريب لعبدالله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي ربّاها وعلّمها الغناء»

وقال ابن المعتز وحدّثني غير الهشامي عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم ، أن المغنية عريب هي بنت جعفر بن يحيى وأن البرامكة لما انتُهِبوا سُرِقت وهي صغيرة

وكانت أم عَريب واسمها فاطمة مشرفة على أعمال أم عبدالله بن يحيى بن خالد وكانت صبيّة نظيفة فرآها جعفر بن يحيى فهويها وسأل أم

عبدالله أن تزوجه إياها ففعلت وبلغ الخبر أباه يحيى فأنكره وقال له أتتزوّج مَن لا يُعرف لها أمٌ ولا أب؟ اشتر مكانها ألف جارية وأخرجها فأخرجها وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سِراً من أبيه ، ووكَّلَ بها من يحفظها وكان يتردد إليها فولدت عريب في سنة ١٨١هـ .

وماتت أم عَريب فدفع ابنتها إلى امرأة نصرانية وجعلها مرضعةً مُربِّيةً لها فلما حدثت النكبة بالبرامكة باعتها من سنبس النّخّاس فباعها من المراكبي

*

كان لعريب نوادر مع المغني عبدالله الهشاميّ الذي كان يُعاديها وذات يوم رجع من سامراء ودخل على الخليفة المعتز وهو يشرب وعريب تُغنّي فطلب إليه المعتز أن يُغنّي فقال لقد تُبت عن الغناء مذ قُتل مولاي المتوكّل فما كان من عريب إلا أن قالت «لقد والله أحسنتَ في توبتك فغناؤك لم يكن ذا معنى ولا فيه إتقان ولم يكن صحيحاً ولا يُطرب» فضحك لذلك الحاضرون وخجل الهشامي وكان بعد ذلك يتقوّل على عريب ويعيب صنعتها ويقول في أصواتها الألف المتفق عليها «هي ألف صوت في العدد ، وصوتٌ واحدٌ في المغنى !»

*

أمر الخليفة المأمون إسحق بن إبراهيم الموصلي بأن يبتاع له عريب بعد أن وصفها له ، وأطرى محاسنها وبراعتها في الغناء فابتاعها له بمائة ألف درهم

وأمر الخليفة كاتب نفقاته إبراهيم بن رياح بأن يحملها إليه وأن يدفع لإسحق مائة ألف درهم ففعل وسجّل في قيوده في الديوان إن المائة ألف الأولى هي ثمن جوهرة كريمة ، والمائة ألف الأخرى هي مكافأة الصائغ والدّلال الذي تولى أمرها

ورأى ذلك الفضل بن مروان فلم يعجبه ما دوّن الكاتب ، فأخبر به المأمون فأنكره واستدعى كاتب النفقات يستوضحه الحقيقة فدنا من المأمون وقال

ـ إنه المال الذي خرج في ثمن عَريب وصلَة إسحق فأيّهما أصوب يا أمير المؤمنين ، ما فعلتُ أو أثبتُ في الديوان أنها خرجت صلة لمغَنٍّ وثمن مغنيّة؟

فسرّ المأمون من فطنته واستصوب عمله ومال إلى الفضل بن مروان وقال له

ـ يا نبطي لا تتعرض على كاتبي هذا في شيء

وذكر أن المأمون عرف بعلاقة بين عريب ومحمد بن حامد أحد ندمائه فأمر بإلباسها جبّة صوف وسجنها شهراً في مكان مظلم وكان طعامها الخبز والملح ، وبعض الماء يُدخل إليها يوميّاً من تحت الباب ولكنه تذكر يوماً فأصدر أمراً بإطلاقها فاندفعت تغني حال خروجها من الحبس

لو كان يقدرُ أن يبثّك ما به لرأيتَ أحسنَ عاتب يتعَتّبُ
حجبوهُ عن بَصري فمُثّلَ شخصهُ في القلبِ فهو محجَّبٌ ما يُحجبُ

فلما بلغ ذلك الخليفة أخذه العجب ، وقال لن تصلح هذه أبداً زوّجها إياه

وهجر المأمون ذات يوم عريب إثر عتاب وغضب عليها ، ولكنه زارها بعد أيام لما مرضت فلما رآها قال لها

ـ كيف وجدت طعم الهجر؟

فأجابته

ـ يا أمير المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عُرفَت حلاوةُ الوصل ، ومن ذَمّ بدء الغضب أحمدَ عاقبة الرّضى

*

كانت عريب مرجعاً في الغناء فقد اختلف المأمون وأحدهم ويدعى أبا علي على صوت من الأصوات . فسأل الخليفة عريب لتفصل بينهما ، فخفّت إليهما وهي تشكو وتئنُّ من الحمّى ، فسألها عن الصوت فاستمهلته حتى تعود بعودها فأمرها بأن تغني الصوت المختلف عليه بلا عود . فاستندت إلى الجدار وبدأت بالغناء ، واقتربت عقرب من يدها ولسعتها أكثر من مرّة ولكنها لم تتوقف حتى انتهت من الصوت المطلوب ثم وقعت مغشياً عليها من فرط الحمّى

عَزّة المَيْلاء

(٠٠٠ ـ نحو ١١٥ هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٣٣م)

عَزّة الميلاء أقدم من غنى غناءً موقّعاً في الحجاز كانت تضرب بالعيدان والمعازف إقامتها بالمدينة وهي مولاة للأنصار.

كانت وافرة السّمن، جميلة الوجه، لُقِّبت بالمَيْلاء لتمايلها في مشيتها سمعها معبد المغني والشاعر حسّان بن ثابت زارها النعمان بن بشير الأنصاري في بيتها وسمع غناءها في أيام يزيد بن معاوية وابن الزُّبَيْر، وقال فيها «إنها لَمن يزيد النفس طيباً والعقل شحذاً»

كان عبدالله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يزورونها في منزلها فتغَنّيهم ويقال إن ابن سُريج كان في حداثة سنّه يأتي المدينة ليسمعها ويتعلّم غناءها، وسئل «من أحسن الناس غناء؟» فقال «عَزّة الميلاء مولاة الأنصار»

وقال طويس «هي سيّدة مَن غنّى من النساء مع جمالٍ بارعٍ وخلقٍ كريمٍ وإسلامٍ لا يشوبه دَنَس تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له» وكانت من أظرف الناس ومن أعلمهم بأمور النساء

وقيل إنها كانت تلبس المُلاءَ وتتشبه بالرجال فسمِّيت بذلك وذُكر أنها كانت مغرمة بالشراب وكانت تقول خُذ ملاءً وارْدُد فارغاً، كما قال إسحق الموصلي، لكن الصحيح أنها سُمّيت المَيلاءَ لتمايلها في مشيتها

وكانت عَزة الميلاء أحسن النساء ضرباً بالعود مطبوعة على الغناء لا يعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه وكانت تغني أغاني القيان من الأوائل مثل شيرين وزرْنب وخولة والرباب ورائقة التي كانت أستاذتها

ولـمّا قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنّيا أغاني بالفارسية ، فأخذت عنهما مشافهة وفهمت منهما أنغاماً وألّفت عليها ألحاناً عجيبة وهي أول مَن فتن أهل المدينة بالغناء وقال إسحق الموصلي إن الزُّبير قال «وجدت أهل المدينة إذا ذكروا عَزّة قالوا لله درُّها ما كان أحسنَ غناءَها ومدَّ صوتها وأندى حلقها وأحسنَ ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي ، وأجملَ وجهها وأظرف لسانها ، وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفْسَها وأحسنَ مساعدتها»

*

حدّث أبو عبدالله الأسلمي عن معبد أنه أتى عزّة يوماً وهي عند جميلة وقد أسَنّت وهي تُغني على معزفَةٍ في شعر ابن الإطنابة

عَلّلاني وَعَلّلا صاحِبَيّا وَاسْقِياني من المُرَوَّقِ رِيّا

فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك فقال معبد معجباً هذا غناؤها وقد أسَنّتْ فكيف بها وهي شابّة؟ !

وكان ابن أبي عتيق مُعجباً بعزَّة الميلاء فأتى يوماً عند عبدالله بن جعفر وقال له بأبي أنت وأمّي هل لك في عَزّة فقد اشتقت إليها قال لا أنا اليوم مشغول فقال بأبي أنت وأمي إنها لا تنشط إلاّ بحضورك وما زال به حتى أقنعه بالذهاب معه فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها «دعي الغناء فقد ضجّ أهل المدينة منك وذكروا أنّك قد فتنت رجالهم ونساءهم» فقال له ابن جعفر

ـ «ارجع إلى صاحبك فقل له عنّي أقسم عليك إلاّ ناديتَ في المدينة أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتنت بسبب عزّة الميلاء إلا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك أمره»

فنادى الرسول بذلك ، فما أظهر أحدٌ نفسه ودخل ابن جعفر وابن أبي عتيق إليها فقال لها ابن أبي عتيق لا يهولنّك ما سمعت وهاتي فغنينا

فغنتهما بشعر القطامي

إنّا مـحـيّـوكَ فـاسْلَمْ أيُّهـا الطَّلَلُ وإن بَلـيتَ وإن طـالت بِكَ الطِّيَلُ

فاهتز ابن أبي عتيق طرباً وقال ابن جعفر ما أراني أدركُ ركابَك بعد أن سمعتَ هذا الصّوت من عَزّة

*

وكان يتردد على عبدالله بن جعفر ناسك من أهل العلم والفقه في المدينة عشقَ جارية سمعها تغنّي من شعر الأعشى «بانت سُعاد وأمسى حبلها انقطعا» فترك نسكه فلامه في ذلك الفقيهان عطاء بن أبي رباح وطاوس بن كيسان فأجابهما بقول الشاعر

يلومني فـيكِ أقـوامٌ أجـالسـهم فـمـا أُبالي أطارَ اللّومُ أمْ وَقَـعـا

وعرف عبدالله بن جعفر بالخبر فاستدعى النخاس صاحب الجارية وطلب منه أن تُسمعه الجارية غناءها في ذلك الصوت فلما فعلت سألها ممن أخذت الصوت فأجابت أنه من عزّة الميلاء ، فابتاع الجارية بأربعين ألف درهم ودعا الناسك وسأله إذا كان يحب أن يسمع ذلك الصوت «بانت سُعاد» من صاحبته التي أخذت عنها الجارية فوافق على ذلك

وجاءت عزّة الميلاء فغنّته فَصُعِق الناسك وخَرّ مُغمى عليه فرشوا الماء على وجهه فاستفاق فسأله ابن جعفر عما إذا كان يشتهي أن يسمع الصوت نفسه من الجارية التي يهيم بها فقال الناسك

ـ لقد رأيت ما نالني حين سمعت عزّة وأنا لا أحبُّها فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكِها؟

فدعا ابن جعفر بها فأخرجت إليه فوهبها للناسك مع مثل ثمنها ، أي أربعين ألف درهم ، فشكره الناسك ودعا له مخلصاً وهو يردد

ـ لقد أنمتَ عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي وردَدت إلي عقلي

عَلُّويَة

(٠٠٠ ـ ٢٣٦هـ)
(٠٠٠ ـ ٨٥٠ م)

علي بن عبدالله بن سيف ، أو يوسف ، أبو الحسن المعروف بعلّوية موسيقي بغدادي أصله من السُّغْد بين بخارى وسمرقند تخرّج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود وغنّى للأمين العباسي وعاش إلى أيام المتوكّل

قال أبو الفرج «كان علّوية مغنياً حاذقاً ومؤدّباً محسناً وصانعاً متفنّناً وضارباً متقدماً مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نوادر»

وكان إسحق بن إبراهيم الموصلي يتعصب له على المغني مخارق مات قبل إسحق بقليل وكان الواثق بالله العباسي يقول «غناء علّوية مثل نقر الطست يبقى ساعة في السّمع بعد سُكوته» وكان أعسر وعوده مقلوب الأوتار ، البَمّ أسفل الأوتار كلها ثم المثلث فوقه فالمثنى ثم الزير له أخبار مع الأمين والمأمون والمعتصم وإبراهيم بن المهدي وغيرهم

حدَّث حماد بن إسحق الموصلي قال قلت لأبي أيُّهما أفضل عندك مخارق أو عَلُّويَة؟ فقال «يا بُني علّوية أعرف فهماً بما يخرج من رأسه وأعلم بما يغنّيه ويؤديه ولو خيرت لما أشرتُ إلاّ بعلّوية لأنه كان يؤدي الغناء ، وصنع صنعة محكمة ومخارق بتمكُّنه من حلقه وكثرة نغمه لا يقنع بالأخذ منه لأنه لا يؤدي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يُغنيه مَرّتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سوقةٍ غلب مخارق على المجلس والجائزة لطيب صوته وكثرة نغمه»

قال الواثق بالله «علّوية أصَحُّ الناسِ صنعة بعد إسحق الموصلي

وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق ، وأضرب الناس بعد ربرب»

•

قال عبدالله بن العباس الربيعي «اجتمعت يوماً بين يدي المعتصم وحضر إسحق الموصلي فغنّى عَلُّوية

لعبدَةَ دارٌ ما تُكلِّمنا الدّارُ تلوح مغانيها كما لاح أسطارُ[1]

فقال إسحق لقد أخطأت فيه يا علّوية ، ليس هو هكذا
فغضب علّوية وقال أمُّ مَن أخذنا عنه هكذا زانية !
فقال إسحق لقد شتمنا علّوية قبّحه الله

وسكت إسحق وبان ذلك فيه قال وكان عَلُّوية قد أخذ الصوت من أبيه إبراهيم الموصلي !

وقيل لعمرو بن بانة أيهما أجود صنعتك أم صنعة علّوية؟ فقال صنعة علّوية لأنه ضارب وأنا مرتجل ولا أكذب والله إنني ما أحسِنُ أن أصنع مثل عَلُّوية كغنائه

فواحسرتا لم أقض منك لُبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقربِ

ولا مثل صنعته

هَزِئت أميمةُ أن رأت ظهري آنحنى وذؤابتي عُلَّت بماء خضابِ

عرض عَلُّوية على المعتصم رُقعةً في أمرِ رزقه وإقطاعه وهو يشرب ودفعها إليه من يده فلما أخذها اندفع علوية يغني من تلحينه في شعر لابن هرمة

إنّي آستَحيْتُكَ أن أفوه بحاجتي فإذا قرأت صحيفتي فتفَهَّمِ
وعليك عهدُ الله إن خَبّرته أحداً ولا أظهرته بتكلُّمِ

فلما قرأ المعتصم الرقعة ضحك ثم وقّع له فيها ما أراد

---

(١) الأسطار جمع سطر وهو الخط في الكتابة

عُليَة بنت المهدي

(١٦٠ ـ ٢١٠هـ)
(٧٧٧ ـ ٨٢٥ م)

عُليّة بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس أخت هارون الرشيد وإبراهيم بن المهدي أديبة، شاعرة تُحسن صناعة الغناء كانت من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة وكان أخوها إبراهيم يأخذ الغناء عنها وكان في جبهتها اتّساعٌ يشين وجهها فاتخذت عصابة مكلّلة بالجوهر لتستر جبينها وهي أول من اتّخذها

قال الصولي «لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب فإذا لم تُصَلِّ اشتغلت بلهوها» وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقّه تزوجها موسى بن عيسى العباسي وليس من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي مولدها ووفاتها ببغداد

كانت علية لا تشرب ولا تغنّي إلاّ أيام حَيْضها فقد قال إبراهيم بن إسماعيل الكاتب «كانت عُليّة حسنة الدين وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلاّ إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طَهُرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب فلا تَلَذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان، إلاّ أن يدعوها الخليفة إلى شيءٍ فلا تقدر على خلافه وكانت تقول ما حَرّم الله شيئاً إلاّ وقد جعل فيماً حَلّل منه عوضاً عنه فبأي شيءٍ يحتجُّ عاصيه والمُنتهكُ لحُرُماته! لا غفر الله لي فاحشة ارْتكبتها قط ولا أقولَ في شعري إلاّ عَبَثاً»

قال عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع «ما اجتمع في الإسلام

قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُليّة وكانت تُقَدّم عليه»

*

كانت عُليّة تحب أن تُراسل بالأشعار مَن تختصه فاختصت خادماً يقالُ له «طَلّ» من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر فلم تره أياماً فمشت على ميزاب وحدثته وقالت في ذلك

قد كان ما كُلّفتُهُ زمناً ... يا طَلُّ من وجدٍ بِكُم يكفي
حتى أتيتكَ زائراً عَجِلاً ... أمشي على حتفٍ إلى حَتفِ

فحلف عليها الرشيد ألاّ تكلم طَلاّ ولا تسمّيه باسمه، فضمنت له ذلك واستمع عليها يوماً وهي تُجَوِّد آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله تعالى ﴿فإن لم يصبها وابلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادت أن تقول «فطَلٌّ» فقالت فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين فدخل الخليفة وقبل رأسها وقال لقد وهبتُ لكِ طَلاّ ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه

ولها في طَلّ عدة أشعار لحّنتها وغنتها منها

يا ربّ إني قد غَرِضتُ[1] بهجرها ... فإليك أشكو ذاك يا رَبّاهْ
مولاةُ سوءٍ تستهين بعبدها ... نعمَ الغلامُ وبِئستِ المولاهْ
«طَلٌّ» ولكنّي حُرِمتُ نعيمَهُ ... ووصالَهُ إن لم يغثني اللهْ
يا ربّ إن كانت حياتي هكذا ... ضرّاً عليّ فما أريد حياهْ

وحُجبَ طلّ عن عُليّة فقالت وقد صحّفت اسمه وسمته «ظلّ»

أيا سروة[2] البستان طال تشوّقي ... فهل لي إلى ظِلٍّ لديك سبيلُ
متى يلتقي مَن ليس يُقضى خروجُه ... وليس لمن يهوى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُربةٍ لنا ... فيلقى اغْتِباطاً خُلّةٌ وخَليلُ!

(١) غَرِضت ضجرت (٢) سروة واحدة السرو شجر حسن الهيئة قويم السّاق

وصحفت أيضاً اسم طل في أبيات لها باسم «غُل» ولحنتها وغنّتها

سَلَّم على ذاك الغـــــزا ل الأغـيـد الحـسـنِ الدّلال
سَلَّم عـليـــــه وقل لـه يا «غُلَّ» ألبـاب الرّجـالَ
خلّيت جـسـمي ضـاحـيـاً وسكنتَ في ظلّ الحـجـال[1]
وبـلـغـت منـي غـــــايةً لم أدر فـيـهـا مـا أحْـتـيـالي

ونظمت أبياتاً في خادم لها يقال له «رشأ» وتُكني عنه، فمن شعرها فيه وكَنّتْ عنه بزينب

وجَـــد الفـــؤادُ بزينبـــا وَجْـداً شـديداً مُـتـعـبـا
أصـبـحتُ من كلفي بهـا أدعى سـقـيـمـاً مُنصَبـا
ولقـد كَنَيْت عن اسْـمـهـا عـمـداً لكي لا تغـضـبـا
وجـعلت زينبَ سُـتـرةً وكـتـمتُ أمـراً مُـعـجِـبـا

•

قال إسماعيل بن موسى الهادي كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلُّويَة ومحمد بن الحارث وعقيد، فغنى عقيد وكنت أضرب له

نـامَ عُـــــذّالي ولـم أنَـمِ وأشـتـفى الواشـونَ من سَـقـمي
وإذا مـــــا قـلـتُ بي ألـمٌ شـكَّ مـن أهـواهُ فـي ألـمي

فطرب المعتصم، وقال لمن هذا الشّعر والغناء؟ فأمسكوا فقلت لعليّة فأعرض عنّي وعرفتُ غلطي وأن القوم أمسكوا عمداً فسُدّت عليَّ مسالك القول فقال لا تُرَع يا محمد فإن نصيبك فيها مثلُ نصيبي

وكان شاعرها المفضل عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، وكان منقطعاً إليها، ونظم لها بعض القصائد وكانت تدعيها لها وقد لحنتها وغنتها

وكانت علية في العقد الخامس من عمرها عندما توفّاها الله أما سبب وفاتها فهو أن المأمون ضمَّها إليه وكان وجهها مقنّعاً وأوسعها تقبيلاً وضمّاً فشرقت لساعتها وسعلت ثم انتابتها حمّى لم تمهلها سوى أيام قضت على أثرها وقد صلّى عليها المأمون

---

(١) الحجال جمع حجلة ستر العروس في جوف البيت

عمر الوادي

(القرن الثاني الهجري)

اسمه عمر بن داود بن زاذان ، وجدُّه زاذان كان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان الخليفة إلى جانب كونه مغنياً حاذقاً ، كان مهندساً ، عنه أخذ حكَمُ الوادي وذووه من أهل وادي القُرى ، وكان أول من غنّى منهم قدم الحَرَم فأخذ من غناء أهله فأتقن الغناء والصنعة فيه ، واتصل عمر بالوليد ابن يزيد يوم كان أميراً ، وكان من المتقدمين عنده وكان هذا يسمّيه «جامع لذّاتي ومحيي طربي» ويروى أن الوليد قُتل وعمر يغنّيه ، فكان آخر عهده به من الناس وفيه يقول الوليد بن يزيد هذه الأبيات وفيها غناء

إنني فكّرت في عمرٍ حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به قمر قد طمّس السُرُجا
ويغنّي الشعر ينظمه سيّدُ القوم الذي فَلَجا
أكمل الواديُّ منعته في لباب الشعر فاندمجا

وكان مجلس الوليد يضمّ من المغنين مشاهيرهم أمثال معبد ومالك وغيرهما ، فلا يحول حضورهم دون تقديمه عمر الوادي والإصغاء إليه والاختصاص له ويروى أنه لم يكن يضرب ، بل كان يرتجل ، وقد انتحل حكم الوادي وسواه من مغنّي وادي القرى معظم أغانيه

كان عمر الوادي يسير ذات ليلة بين العرج - وهو عقبة بين مكة والمدينة والسُّقْيا - إذ سمع رجلاً يغنّي غناءً لم يُسمع قط أحسن منه ، وهو

وكنت إذا ما جئت سُعدى بأرضها أرى الأرض تُطوى لي ويدنو بعيدها
من الخَفراتِ البيض ودّ جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

فكاد يسقط عن راحلته من شدة طربه فقال لنفسه والله لألتمسنَّ الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي وهبطَ من المكان العالي الذي كان فيه ، فإذا به يرى راعي غنم كان صاحب الصوت الذي بلغه

فأخبره بالذي حمله على المجيء إليه ، وطلب إليه أن يعيده عليه فقال والله لو كان عندي قرىً ما فعلت ، ولكنني أجعله قراك ، فربما ترنمتُ به وأنا جائع فأشبع ، وكسلان فأنشط ، ومستوحش فآنس فأعاد الرجل على عمر الصوت مراراً حتى أخذه ؛ وما كان له كلام غيره حتى دخل المدينة ، وقد وجده كما قال الراعي وبعض شعر اللحن الذي أخذه عن الراعي هو هذا ، وهو لكثيّر عزّة

لقد هجَرتْ سُعدى وطال صدودها وعاود عيني دمعُها وسهودُها
وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تُطوى لي ويدنو بعيدها
منعّمة لم تلقَ بؤس معيشة هي الخلد في الدنيا لمن يستفيدها
هي الخلد ما دامت لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودها

خرج الوليد يوماً إلى عمر الوادي وفي يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه وقال له يا جامع لذّتي ، أتحبُّ أن أهبه لك؟ قال نعم ، والله ، يا مولاي فقال غنّ في هذه الأبيات التي أُنشدك فيها واجهد نفسك ، فإن أصبت إرادتي وهبته لك فقال عمر أجتهد ، وأرجو التوفيق وهذا هو الشعر

ألا يُسليك عن سلمى قتير الشيب والحلمُ
وإن الشك ملتبسٌ فلا وصلٌ ولا صُرْمُ
فلا والله ربّ النا س ما لك عندنا ظُلْمُ
وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرُّحمُ

فانتحى أحد الأركان في المجلس ، وراح يقلّب الشعر حتى استقام له

صنعة جميلة فيه وخرج ، فإذا بالوليد جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها كأس ، وهو يبغي أن يشربها فلا يقدر خماراً فسأله ما صنع فقال فرغتُ مما أمرتني به وغنّاه ، فصاح الوليد أحسنتَ والله ! وقفز قائماً وأخذ الكأس وقرّب عمر منه ووضع يسراه عليه متكئاً وبيده اليمنى الكأس ، وقال أعد بأبي أنت وأمي ! فأعاده عمر عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً على رجليه حتى كاد أن يسقط من شدة التعب ثم إنه جلس ونزع الخاتم من أصبعه وكذلك الحلّة التي يلبسها وقال لعمر والله العظيم ، لا تبرح هكذا حتى أسكر فما زال عمر يعيد عليه الصوت وهو يشرب حتى مال على جنبه سكراً ونام

الغَريض

(٠٠٠ ـ نحو ٩٥ هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧١٤ م)

عبد الملك ، مولى العَبَلات ، من مولدي البربر من أشهر المغنين في صدر الإسلام ومن أحذقهم في صناعة الغناء سكن مكة وغنّى السيدة سُكينة بنت الحسين وكان يضرب بالعود وينقر بالدّف ويوقع بالقضيب كنيته أبو زيد أو أبو مروان

لُقِّب بالغريض لجماله ونضارة وجهه ، وغض شبابه والغريض الطّري من كل شيء وقال ابن الكلبي شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار فسُمّي به ونُقِلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه فقيل له الغريض

وكان الغريض قبل أن يغني خيّاطاً وأخذ الغناء في أول أمره عن ابن سُريج لأنه كان يخدمه فلما رأى ابن سريج طبعه وظَرْفَه وحلاوة منطقه خشيَ أن يأخذ غناءَه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه ونضارته فاعتَلَّ عليه وشكاه إلى مَوْلياته ، وهن كنَّ دفعنه إليه ليعلّمه الغناء ، وجعل يتجنى عليه حتى طرده فشكا ذلك إلى مَوْلياته وعرّفهنّ على غرض ابن سُريج في تنحيته إياه عن نفسه وأنه حسده على تقدّمه فقالت مَوْلياته له هل لك أن تسمع نَوْحَنا على قتلانا فتأخذه وتغنّي عليه؟ قال نعم فافعلنَ فأسمعنَه المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلّ من سمعه

ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الحزن فكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلاّ عارضه الغريض فيه لحناً آخر فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده ، فغنّى الأرمالَ والأهزاجَ فاشتهاها

الناس فقال له الغريض يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته فأجابه نعم يا مخنّث حين جعلت تنوح على أمّك وأبيك!

*

قال إسحق الموصلي سمعت جماعة من البُصراء عند أبي يتذاكرونهما، فأجمعوا على القول أنّ الغريض أشجى غناءً وأن ابن سُريج أحكم صنعة

عندما حجّت السيدة سُكينة دخل إليها ابن سُريج والغريض وقد استعار ابن سريج حُلّة لامرأة من قريش فلبسها وقال لها يا سيدتي إني كنت صنعت صوتاً وحَسَّنتُهُ وبالغت فيه وخبأته لك في حُريرة في دُرجٍ مملوء مسكاً فنازَعَنيه هذا الفاسق ـ يعني الغريض ـ فأردنا أن نتحاكم إليك فيه فأيُّنا قَدَّمّته فيه تقدَّم قالت هاته، فغناها، أبياتاً للشاعر العرجي

عوجي علينا ربَّةَ الهودَجِ إنّك إلاّ تفعلي تَحْرَجي[1]
إني أتيحت لي يمانيّةٌ إحدى بني الحارث من مَذْحِجِ
نَلبث حَوْلاً كاملاً كلَّهُ لا نلتقي إلاّ على مَنْهجِ
في الحجّ إن حجّت وماذا منىً وأهلُه إن هي لم تحجُجِ
أيسرُ ما نال محبٌّ لدى بَيْنِ حبيبٍ قولُه عَرِّجِ

فقالت هاته أنت يا غريض فغنّاها إياه فقالت لابن سُريج أعدْه، فأعادَه وقالت يا غريض أعده، فأعاده فقالت ما أشَبّهُكما إلا بالحار والبارد لا يُدرى أيهما أطيب أو باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يُدرى أيهما أحسن

*

قيل إن أحد الأمراء الذين كانوا ولاةً على مكة في ذلك العهد أمر بنفي جميع المغنين من الحرم ولما حلّت الليلة التي عزم الأمير على إخراج

(١) تحرجي تأثمي

المغنين في غدها من مكة اجتمع الغريض وابن سريج ومعبد وعقدوا النيّة على الاجتماع إلى أبي قبيس والغناء تلك الليلة وقرروا أن يبكوا أهل مكة فاندفع معبد يغني

أتربّيَّ من أعلى مَعَدٍّ هُديتما أحِدّا البّكا إنّ التّفَرُّقَ باكِرُ
فما مكثُنا دام الجميلُ عليكما بشهلان[1] إلاّ أن تُزَمَّ الأباعِرُ

فلمّا سمع الأهالي هذا الصوت تأوّهوا وأنّوا ثم غنّى الغريض

أيها الرّائحُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأوطارا

فارتفع البكاء والنحيب واندفع ابن سريج يغني

جَدّدي الوصلَ يا رُبَيبُ وجودي لِمُحِبٍّ فِراقُهُ قد أَلَمّا
ليس بين الحياةِ والموتِ إلاّ أن يردّوا جِمالَهُم فَتُزَمّا

فارتفع الصراخ من الدور بالويل وتوجه وفد من الناس إلى الأمير فالتمسوا إليه أن يعود عن قراره بنفي المغنين ، فأجابهم إلى طلبهم

وحجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل نساء عصرها ، فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن وكان الغريض فيمن جاء فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف[2] كانت قد أعدتها لمن يجيئها فجعلت تَخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة ، والغريض بالباب حتى خرج مَوْلياته مع جواريهن الخلع والألطاف فقال الغريض فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا فقال

ـ ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمة بنت كرام

واندفع يغني بشعر جميل بثينة

تذكّرت ليلى فالفؤاد عميدُ وشطّت نواها فالمزارُ بعيدُ

---

(١) شهلان جبل بنجد

(٢) ألطاف : جمع لُطف وهو الهدية والإتحاف

وما أنس مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها وقد قربت نضوي أمِصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتكَ فاعذرني فدتكَ جدودُ
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأيّ جهادٍ غيرهُنَّ أريدُ
لكل حديث عندهن بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهن شهيدُ

القصيدة من أجمل ما نظم جميل ومطلعها

ألا ليت رَيّعانَ الشباب جديدُ ودهراً تولّى يا بُثينَ يعودُ

فلمّا سمعت عائشة الغناء قالت ويلكم هذا مولى العَبَلات بالباب يذكّر بنفسه فهاتوه فدخل فلما رأته ضحكت وقالت لم أعلم بمكانك ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ثم قالت له إن أنت غنّيتني صوتاً في نفسي سأجزل لك العطاء ، فغناها من شعر كثيّر عَزّة

وما زلتُ مِن ليلى لَدُن طَرَّ[1] شاربي إلى اليوم أخفي حُبَّها وأداجنُ
وأحملُ في ليلى لقومٍ ضغينةً وتُحملُ في ليلى عليَّ الضّغائنُ

فأجزلت له العطاء

*

كانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها والصواب أنه مات في خلافة سليمان لأن الوليد كان قد ولّى نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدة ثم مات بها .وفي رواية ثانية عن وفاته ، قال إسحق أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني محمد بن الخطاب قال حدثنا رجل من آل أبي قبيل يقال له مُحرز عن أبي قبيل قال رأيت الغريض وقال إسحق في خبره المذكور حدثني محمد بن سلاّم عن أبي قبيل وهو مولى لآل الغريض قال

(١) طر شاربه أي نبت شعر شاربه .

ـ شهدت مجمعاً لآل الغريض إمّا عُرساً أو ختاناً فقيل له تغنَّ فقال هو ابن زانية إن فعل فقال له بعض مواليه فأَنت والله كذلك قال أوكذلك أنا؟ ! قال نعم قال أنت أعلم بي والله ثم أخذ الدّف فرمى به وتمشى مشية لم أر أحسن منها ثم غنّى

تَشـــرَّب لونَ الرّازقي بيـــاضُـــه أو الزعـفـرانِ خـالط المِسكَ رادِعُـه

فجعل يغنيه مُقبلاً ومُدْبراً حتى التوت عنقه وخرّ صَريعاً وما رفعناه إلاّ ميتاً وظننا أن فالجاً عاجَله

قال إسحق وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال إن الجنّ نهت الغريض أن يتغنى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مواليه تغنّاهُ فقتلته الجنّ في ذلك

وأخبار الغريض كثيرة

فريدة

(القرن الثالث الهجري)

عرف الغناء العربي مغنّيتين محسنتين لهما صنعة جيدة باسم فريدة هما فريدة الكبرى وفريدة المحسنة

فالأولى ، وهي الكبرى ، فمن المولّدات نشأت في الحجاز ، ثمّ آلت إلى آل الربيع فتعلّمت الغناء في دورهم وبعدهم صارت إلى البرامكة وعقب نكبتهم ومقتل جعفر هربت وبحث عنها الرشيد بلا جدوى ثم آلت إلى ابنه محمد الأمين وعلى إثر وفاته تزوجت الهيثم بن مُسلم ، ومن بعد السندي بن الحَرَشي الذي ماتت عنده ولها صنعة جيدة في شعر الوليد بن يزيد

ويح سلمى لو تراني لعناها ما عناني
واقفاً في الدار أبكي عاشقاً حور الغواني

ومن صنعتها كذلك لحنها في أبيات جميل بثينة

ألا أيها الركب النيام ألا هبّوا نسائلكُم هل يقتل الرجلَ الحبُّ
ألا ربَّ ركبٍ قد وقفتُ مطيَّهم عليك ولولا أنت لم يقفِ الركبُ

أما فريدة الأخرى - فريدة المحسنة - فكانت للمغني عمرو بن بانة ، وقد أهداها إلى الواثق وكانت موصوفة ومحسنة ، وقد تربّت مع صاحبة لها تدعى «خلاّ» ، وكانت حسنة الوجه والغناء ، وحادة الفهم والفطنة عند عمرو بن بانة

غنّى عمرو بن بانة يوماً الواثق

قلتُ حِلاً فاقبلي معذرتي ما كذا يُجزي محبٌّ من أحب

فطلب إليه أن يتقدّم إلى الستارة ويلقيه على فريدة ، ففعل ، فقالت له هو حلّ أو خلّ ، كيف هو؟ فعلم أنها سألته عن صاحبتها خفية عن الواثق

وهذا تقويم لبعض المغنيات المحسنات قدمته المغنيتان ريّق وخشف الواضحية في مجلس تذاكرتا فيه أحسن ما سمعتاه من بعضهن فقالت ريّق شارية أحسنهن غناء ومتيّم الهشامية

وقالت خشف عريب وفريدة ثم اتفقتا على تساويهن وتقديم متيَّم في الصنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطيب وإحكام الغناء

روى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر المغنّي ، وكان له نوبة في خدمة الخليفة الواثق في كل يوم جمعة ، أنه كان يذهب في ذلك اليوم من تلقائه غير أنه في ذات يوم ولم يكن يوم نوبته أقبل رسل الخليفة يطلبون إليه مرافقتهم إلى داره فحسب أنهم مخطئون ، فأكدوا له أنهم مأمورون بإحضاره فاعتراه خوف شديد ، لعلّ هناك من سعى به ، أو لعل بليّة ما قد حدثت في رأي الواثق به وذهب مع الرسل فأدخل من غير الباب الذي اعتاد الدخول منه ، الأمر الذي فاقم خوفه ، وخاصة أن الخدم كانوا يُدخلونه في ممرات لا يعرفها ، ويسلّمونه إلى خدم آخرين حتى أفضوا به إلى دار مفروشة الصحن ، ملبّسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ثم أفضيت - على حد وصفه - «إلى رواق أرضه وحيطانه ملبّسة كمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مرصّع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود فلما رآني قال جوَّدت والله ، يا محمد إلينا فقبّلتُ الأرض ثم قلت يا أمير المؤمنين ، خيراً! قال خيراً ، أما ترانا! طلبت والله ثالثاً يؤنس فلم أرَ أحقَّ منك بذلك فبحياتي بادر ، فكل شيئاً وبادر إلينا ، فقلت قد والله ، يا سيدي ، أكلت وشربت قال فاجلس ، فجلست وقال هاتوا لمحمد رطلاً في

قدح ، فأحْضِرتُ ذلك ، واندفعت فريدة تغنّي

أهابك إجـــلالاً ومـــا بكِ قـــدرة عليّ ولكن ملء عين حـبـيـبُـهـا
ومـا هجـرتكِ النفس يا ليلَ أنهـا قلتكِ ولا أن قلّ منكِ نصـيـبُـهـا

فجاءت والله بالسحر ، وجعل الواثق يجاذبها ، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت ، وأغنّي أنا في خلال غنائها فمرَّ لنا أحسن ما مرَّ لأحد .»

غير أن اليوم لم ينقضِ على خير ، إذ رفع الواثق رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة أوقعها أرضاً من أعلى السرير ، فتحطّم عودها وعدت صائحة ، وبقي محمد مذعوراً خشية أن يكون الواثق قد غضب عليه إذ وقعت عينه على تبادله النظر مع فريدة ، وأيقن أنه لا محالة سيأمر بضرب عنقه ولم يهدأ له خاطر إلاّ لما سمع الواثق يقول مبرِّراً فعلته تلك لدى سؤاله عمّا إذا كان ثمة ذنب ارتكبته فريدة لا ، والله ، ولكن فكّرت في أن جعفراً (المتوكل) يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي ، فلم أُطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت فسرّي عني وقلت بل يقتل الله جعفراً ، ويحيا أمير المؤمنين أبداً وقبّلت الأرض ، وقلت يا سيدي ، الله الله ! ارحمها ومر بردّها ولما سأل مَن في الخدم سيأتي بها ، وتأهب محمد للقيام بذلك ، إذا بفريدة تخرج حاملة عودها ومرتدية ثياباً غير تلك التي كانت تلبس فما إن رآها حتى جذبها وعانقها ، فبكت وبكى ، وبكى كذلك محمد وقالت ما ذنبي يا مولاي ، ويا سيدي؟ ! وبأي شيء استوجبت هذا؟ ! فردّد على مسامعها ما قاله لمحمد وهو يبكي وهي تبكي فقالت سألتك بالله يا أمير المؤمنين ، إلاّ ضربت عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي وعاودا البكاء ، ثم جففا دموعهما ، وعادت إلى مكانها وأشار الواثق إلى خدم مضوا وأحضروا أكياساً فيها ذهب مضروب ، أي دنانير ، ودراهم مضروبة من الفضة ، ورزماً فيها ثياب وأقبل خادم بدُرج فتحه فإذا فيه عقد لم يُرَ قط مثل جوهره ، فتناوله وطوّق

به جيدها ، وحُملت إلى محمد صرة فيها عشرة آلاف درهم ، وكذلك خمس خزائن فيها ثياب وعاد الجميع إلى ما كانوا فيه قبل هذا الحدث المشؤوم ، ولم يتفرَّقوا إلاّ بعد أن خيَّم الظلام

وتمرّ الأيام ويحدث ما لم يكن بدّ من حدوثه فقد مات الواثق ، وولي الخلافة جعفر المتوكل على الله وتزوج فريدة وتكرر مع مِحمد بن الحارث ابن بسخُنّر ما سبق أن جرى له مع الواثق (كما ورد معنا في النادرة المذكورة آنفاً) فقد حمله الرسل إلى دار الخلافة ، وأدخل الحجرة نفسها ، فإذا المتوكل في الموقع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة وبادره لحظة رآه بقوله ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه؟ ! أنا منذ غدوت أطالبها بأن تغنّي فتأبى ذلك فقلت لها يا سبحان الله ، أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البرّ؟ بحياته غنّي فعرفت والله ، ثم اندفعت تغنّي

مقيم بالمجازة من قَنَوْنا وأهلك بالأجيفر فالثماد
فلا تبعد فكل فتًى سيأتي عليه الموت يطرُقُ أو يغادي

(قنونا والأجيفر والثماد ، مواضع مختلفة في بلاد العرب)

ثم ضربت بالعود الأرض ، وألقت بنفسها من فوق السرير ، وعدت وهي تصيح واسيّداه ! فسأل المتوكل محمداً عن ذلك ، فلم يحر جواباً وقال له يستحسن أن أنصرف أنا وتُحضر هذه ومعها غيرها ، فإن تلك مشيئة أمير المؤمنين وانصرف محمد دون أن يدري ما كانت القصة وقيل إن ممانعة فريدة في الغناء لما طلب إليها المتوكل ذلك ، وأبت وفاءً منها للواثق ، أقام على رأسها خادماً وأمره بأن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي ، فتغنّت بالبيتين المذكورين

قال محمد بن عبد الملك بن الزيّات : سمعت فريدة تغنّي شعر أبي العتاهية

أخلاَّي بي شجو وليس بكم شجوُ وكل امرئ بما بصاحبه خلْوُ
أذاب الهوى لحمي وجسمي ومفصلي فلم يبقَ إلاّ الروح والجسد النضوُ

فما سمعت قبله ولا بعده غناء أحسن منه

*

فليح بن أبي العوراء
(القرن الثاني الهجري)

كان فليح أحد الموصوفين بجيّد الغناء المسموع في أيامه ، وهو كذلك أحد الذين كانوا يحاكون الأوائل من حيث الإصابة والإحسان

من الأصوات المائة التي اختارها فُليح هذا للرشيد هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم بن هرمة الهذلي (والغناء في اللحن المختار هذا ، على ما ذكره إسحق بن إبراهيم الموصلي ، ليونس الكاتب)

أفاطمَ إن النأي يُسلي ذوي الهوى ونأيكِ عنّي زاد قلبي بكم وجدا
أرى حرجاً ما نلت من ودّ غيركم ونافلةً ما نلت من ودّكم رشدا
وما نلتقي من بعد نأيٍ وفرقة وشحط نوى إلاّ وجدت له بردا
على كبدٍ قد كاد يبدي بها الهوى ندوباً وبعض القوم يحسبني جَلْدا

وهذه شهادة إسحق بن إبراهيم الموصلي في فُليح «ما سمعت أحسن غناء من فُليح بن أبي العوراء وابن جامع» فلما سئل عن ابنه إبراهيم ، قال «كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها»

وقال يزيد بن محمد المهلّبي قال لي إسحق «أحسن من سمعت غناء عَطَرَّد وفُليح»

وكان فُليح لتقدُّمه في الغناء أول مغنٍّ عاين وجه المهدي الخليفة في مجلسه ، وكانت العادة أن يغنّي المغنّون من وراء الستارة ولذلك قصة هي

التالية فقد كان عبدالله بن مصعب الزبيري يرويه شعره ويغنّي فيه في مدائحه المهدي فضمّن في مدائحه بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وطلب إلى فُليح أن يغنّيهما في أضعاف أغانيه وهما

يا أمين الإلـــه في الشـــرق والغـــر ـبِ على الخلق وابن عمّ الرســـولِ
مـــجلســـاً بالعـــشي عندك في الميـ ـدان أبغي والإذن لي في الوصـــولِ

فتغنّى بهما فليح أمام المهدي ، فقال هذا يا فضل ، أجب عبدالله إلى ما سأل ، وزده على ذلك أن ترفع بينه وبين راويته فُليح الستارة

وهذه قصة فُليح بن أبي العوراء التي تبرَّع فيها بمهر لعاشق فقد كان فتى مديني يعشق ابنة عمّ له واعدته على الزيارة ، وقد شكا إلى صديقه محمد بن أحمد بن يحيى المكي المغني الشهير ، أنها تزوره وليس عنده شيء فمنحه ديناراً ليتصرّف فلما أقبلت سألته من يلهّينا؟ قال صديق لي ! ووصف لها فُليح بن أبي العوراء ودعاه فأتى ، وكان أول ما غنّاهما هذا الشعر لسُليك بن السُلَكة السعدي

مِنَ الخـفـرات لم تفـضح أخـاها ولـم تـرفـع لـوالـدهـا شـنـارا
كـأن مـجـامع الأرداف منهـا نقـاً درجتْ عليـه الريحُ هارا
يعـاف وصـال ذات البـذل قلبي واتَّبع المـمنّعـة النّوارا

أمّا الغناء فهو لابن سُريج رَمل

فنهضت وارتدت ثوبها لكي تنصرف فرجاها أن تبقى ، ولكن جهوده كانت دون جدوى فلم تبقَ ، وغادرت الدار فراح العاشق المسكين ينحى باللائمة على فليح لغنائه ذلك الصوت فكان جوابه والله ما هو شيء اعتمدت به مساءتك ، ولكنه شيء اتفق ولكن ، ما عتم أن عاد رسول الفتاة حاملاً صرة فيها ألف دينار ، سلّمها إلى الفتى قائلاً تقول لك ابنة عمّك هذا مهري ادفعه إلى أبي واخطبني ففعل وتزوّجها

كتب جعفر بن يحيى إلى إبراهيم بن المهدي وهو عامل لهارون الرشيد على جند دمشق يقول «قد قدم علينا فُليح بن أبي العوراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله؛ وأنا محتال لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا» وما لبث أن أقبل على إبراهيم بن المهدي فليح حاملاً إليه كتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ويمضي إبراهيم بن المهدي قائلاً متمماً هذه القصة «فورد علي رجل أذكرني لقاؤه الناس، وأخبرني أنه قد ناهز المائة فأقام عندي ثلاث سنوات، فأخذ عنه جواريّ كل ما كان معه من الغناء، وانتشرت أغانيه بدمشق» ثم قدم مونق، وهو شاب من المغنين، مع علي بن زيد الفرج الحرّاني لدى قدوم عنبسة بن إسحق إلى فسطاط مصر، فغنّى الحضور من غناء فُليح

يا قرّة العين اقبلي عذري ضاق بهجرانكم صدري

لو هلك الهجر استراح الهوى ما لقي الوصلُ من الهجرِ

ولحنه خفيف رمل، ولم يكن ثمة فرق بينه وبين ما سُمع في دار إبراهيم بن المهدي، فلمّا سأله من أين أخذه، أجاب من دمشق وتبيّن للجميع أنه مما أخذه أهل دمشق عن فليح بن أبي العوراء

*

بعث يحيى بن خالد البرمكي إلى كل من فُليح وحكَم الوادي وابن جامع أن يأتوه ففعلوا وقال فليح لحكَم إن جلس ابن جامع معنا فعاونّي عليه لنكسره فلما بدأ الغناء غنّى حكَم، فصاح فُليح قائلاً هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّى فُليح، فقام حكم بمثل ما قام هو به تجاهه وغنّى ابن جامع فلم يكونا معه في شيء فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير إن أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟ فخرجت معها وصيفات، فأقبل عليها يظن أننا لا نسمع ليس في القوم أنزه نفساً من فُليح وأشار إلى غلام له أن ائتِ كل إنسان بألفي درهم فحملها، فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كمّه، وفعل بحكَم الوادي مثل ذلك

فطرحها في جيبه ، ودفع إلى فُليح ألفين فقال لدنانير قد بلغ مني النبيذ ، فاحبسيها لي عندك حتى تبعثي بها إلي فأخذت الدراهم منه وبعثت بها إليه من الغد ، وقد زادت عليها ، وأرسلت تقول قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرّقه على أخواتي - تعني جواريه

وكان آخر العهد بفُليح في مجالس الطرب ذاك المجلس الذي عقد في دار الفضل بن الربيع على ما يروي إسحق بن إبراهيم الموصلي فقد قال له الفضل هل لك في فُليح بن أبي العوراء؟ قال نعم ؛ فأرسل إليه ففعل ، ولما عاد الرسول قال هو عليل وأوفد الرسول مجدداً فقال لفُليح لا بد من أن تجيء وجاء به محمولاً في محفّة ، فحدّثهم ساعة ثم غنّى ، وكان في جملة ما غنّى

تقول عرسي إذ نبا المضجع ما بالك الليلة لا تهجع

فاستحسنه منه الجميع ، واستعادوه مراراً ثم إنه انصرف يومها ومات في علته تلك ، وكان ذلك المجلس آخر العهد به

*

مالك بن أبي السمح

(٠٠٠ - نحو ١٤٠هـ)
(٠٠٠ - نحو ٧٥٧م)

كنية مالك بن أبي السمح أبو الوليد وهو من طيّئ، حملته أمه مع إخوته وأخواته الأيتام المعدمين في إحدى سنوات الجدب من موطنهم في الجبلين أجأ وسلمى (جبلي طيّئ) إلى المدينة وراح يسأل الناس على باب حمزة بن عبدالله بن الزبير الذي كان يتردد عليه كل يوم معبد، المغنّي المعروف وكان مالك معجباً بصوته بحيث لم يكن يبتعد عن باب حمزة لكي يسمع الغناء إلى الليل، مستغنياً عن الطواف في المدينة وسؤال المحسنين وكانت أمه تعاقبه بالضرب لدى عودته صفر اليدين إلاّ أنه كان يترنم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً بكل تفاصيلها ولكن نغماً من دون لفظ ولا رواية شيء من الشعر ولما تكررت مشاهدة حمزة هذا الغلام الأعرابي ملازماً بابه الأيام بطولها، أمره بأن يدخل، فلمّا مثل بين يديه قال له من أنت، وما سبب ملازمتك بابي؟ فأطلعه مالك على خبره، قائلاً وإني لزمت بابك إذ سمعت من دارك صوتاً أعجبني ولما سأله عما إذا كان يعرف منه شيئاً، قال أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر فقال حمزة إن كنت صادقاً إنك لفَهِم! واستدعى معبداً وأمره بأن يغنّي صوتاً ففعل، فقال إذ ذاك لمالك هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم قال هاته فغنّاه مؤدياً نغمته من دون الشعر، فكان يؤدي مدّاته وليّاته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفاً واحداً فالتفت حمزة إلى معبد قائلاً خذ هذا الغلام إليك وعلّمه، فسيكون له شأن ولما استغرب معبد لماذا يفعل ذلك، قال حمزة لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلاّ عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة

إليه فوافق معبد مردداً صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتني به وقال حمزة لمالك كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك؟ قال لا قال وكذلك لا يسرّك أن تحمد بما لم تفعل قال لا قال فوالله ما شبعت على بابك مشبعة قط ، ولا انقلبت منه إلى أهلي بخير فأمر حمزة عندها له ولأمه ولأخوته بمنزل ، وأجرى لهم رزقاً وكسوة ، كما أمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء وكان يُجلس مالكاً معه في مجالسه ، ويأمر معبداً أن يطارحه الغناء ، وسرعان ما مهر فيه

سأل الوليد بن يزيد يوماً مالك بن أبي السمح عمّا إذا كان يصنع الغناء ، فقال لا ، ولكني أزيد فيه وأنقص منه ؛ فقال الوليد فأنت المَحَلّي إذاً !

وسأل أبو الفضل الهاشمي الحارثي الذي خرج يوماً قاصداً أمير المؤمنين أبا العباس مصطحباً معه من المدينة مالكاً هذا عن بعض ما يُنسب إليه من الغناء ، فقال يا أبا الفضل ، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قط ، ولكني آخذه وأحسنه وأهيّئه وأطيّبه ، فأصيب ويخطئون فيُنسب إليَّ

أما إسحق بن إبراهيم الموصلي فيرى غير هذا الرأي حيث يقول

ـ وليس الأمر هكذا ؛ لمالك صنعة كثيرة حسنة ، وصنعته تجري في أسلوب واحد ، ويشبه بعضها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه

وقيل إن مالك بن أبي السمح كان ينتفي عن الصنعة لأن أكثر الأشراف كانوا يُنكرون عليه ، فكان يتبذّل به عند من يراه ، ويُنكره عند من يذمّه نظراً لمحله في بني هاشم

عقب مقتل هُدبة بن خَشْرَم سمع مالك يوماً امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بشعر من نظم أخي زيادة هو هذا

أبعد الذي بالنصف نصف كويكب رهينة رمسٍ ذي تراب وجندلِ

أُذَكِّـرُ بالبُـقـيـا على من أصـابني وبُقـيـاي أني جـاهدٌ غـيـر مـؤتلي
فـلا يَدْعُني قـومي لـزيد بن مـالكٍ لئن لـم أعـجِّل ضـربةً أو أعـجَّلِ
وإلاّ أنلْ ثاري من اليـوم أو غـدٍ بني عـمّنا فـالدهر ذو مـتطوَّلِ
أنخـتُمْ علينا كلكل الحـرب مـرّةً فنحن مُنيـخـوها عليكم بكلكلِ

فغنّى مالك في هذا الشعر لحنين اثنين ، لحناً نسج فيه على منوال المرأة النائحة ، وبعد أن رقّقه وأصلحه وزاد فيه ، واللحن الآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ودخل بعدها على حمزة مستأذناً في غنائه لحناً في شعر أعجبه سمع بعض أهل المدينة ينشدونه فأذن له ، فغنّاه أولاً اللحن الذي نسج فيه على منوال معبد ، فأطرب حمزة الذي قال له أحسنتَ ، يا غلام ، هذا الغناء غناء معبد وطريقته فقال أيها الأمير ، لا تعجل ، واسمع مني الآن شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقته وغنّاه لحنه الذي يشبه نوح المرأة ، فطرب حمزة وخلع عليه الحلّة التي كان يرتديها وقيمتها مائتا دينار فلمّا دخل معبد المجلس وشاهد حلّة حمزة على مالك ، أنكر ذلك وأخبره حمزة بالسبب ، وأمر مالكاً بغناء الصوتين فلمّا غنّى الصوت الأول اغتاظ معبد وقال قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلّم غنائي فيدّعيه لنفسه عندها استمهله حمزة حتى يسمع غناء صنعه مالك ليس من غنائه ولا من شأنه البتة وأصغى معبد ، ثم أطرق ، فبادره حمزة بالقول والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام وكلما كبر وزاد شخت أنت ونقصت ، فلأن يكون منسوباً إليك أجمل فقال له معبد منكسراً صدق الأمير

وأمر حمزة لمعبد بثياب وجائزة لكي يطيّب نفسه ، وقام مالك فقبّل رأس معبد ، قائلاً يا أبا عبّاد ، أساءَك ما سمعت مني؟ والله لا أغنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حيّاً ، وإن غلبتني نفسي فغنّيت في شعر أستحسنه لا نسبته إلاّ إليك ، فطب نفساً وارض عني فقال له معبد أوَتفعل ذلك وتفي به؟ قال إي والله ، وأزيد وكان مالك عند وعده ، كلما غنّى صوتاً وسئل عنه قال هذا لمعبد ، ما غنَّيت لنفسي قط شيئاً ، وإنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى

الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقص منه

سئل مالك بن أبي السمح عن صنعته في هذا الشعر للأحوص

لاح بالدير من أمـــامـــة نارُ لمحبّ لـه بيـــثـــربَ دارُ
قـــد تراها ولو تشـــاء من القـــر ب لأغناك عن نداها الســـرارُ

فقال أخذته والله من مكاري في الشام يسوق أحمرة (حميراً) فكان يترنّم بهذا اللحن بلا كلام ، فأخذته فكسوته هذا الشعر

ونزل في مكة عند رجل مخزومي ، له غلام حائك ، فجاءَه امرؤ يسأله عمّا إذا كان يسمع غناء غلامه الحائك فلمّا دهش وسأل هل هو يغنّي حقاً ، قال له نعم ، بشعر لأبي دَهْبل الجمحي فدعا بالغلام وأمره أن يغنّي فقال له الغلام ما أحسن ذلك إلاّ على المنوال والمنسج وخرج الجميع إلى بيت الغلام ، فلمّا جلس وراء آلة الحياكة تغنّى

تطاول هذا الليل مـــا يتـــبلّجُ وأعيتْ غواشي سكرتي ما تفرّجُ
أبيتُ بهمٍّ مـــا أنام كـــأنما خلال ضلوعي جمـرةٌ تتـوهّجُ
فطَوْراً أمنّي النفس من تُكْتَمَ المنى وطوراً إذا مـــا لجَّ بي الحبُّ أنشِجُ

روى ابن عائشة أنه يوم قُتل الوليد بن يزيد ، وكان معه مالك بن أبي السمح (ووصفه بأنه من أحمق الناس) قال له مالك اهرب بنا فقلت له وما يريدون منا؟ قال وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسّنوا أمرهم بذلك! وعلّق ابن عائشة على ذلك بقوله فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذلك اليوم!

وقد عمّر مالك بن أبي السمح حتى أدرك دولة بني العبّاس

*

مُتَيَّم الهِشاميّة

(٠٠٠ ـ ٢٢٤هـ)
(٠٠٠ ـ ٨٣٨ م)

مُتَيَّم ، مولاة لُبانة بنت عبدالله بن إسماعيل المواكبي شاعرة عارفة بالأدب أحسنت صناعة الغناء ولدت ونشأت وتأدّبت في البصرة اشتراها علي بن هشام أحد القوّاد في جيش الخليفة المأمون بعشرين ألف درهم فنُسبت إليه وولدت منه ثلاثة أولاد ولما مات عُتقت اتّصلت بالمأمون العباسي فكان يبعث إليها كثيراً فتغنّيه وتسامره ثم اختص بها المعتصم في خلافته ، فأشخصها معه إلى سامراء فكانت إذا أرادت زيارة بغداد استأذنته فتقيم أيّاماً وتعود إليه

قال إبراهيم بن رياح سألت عبدالله بن العباس الرّبيعي مَن أحسن من أدركتَ من الغناء قال إسحق الموصلي قلت ثمّ مَن؟ قال علّويَة قلت ثم مَن؟ قال مُتيّم الهشامية ثم قلت ثم من؟ قال ثم أنا فعجبت من تقديمه مُتيّم على نفسه فقال الحقُّ أحقُّ أن يُتّبع

وكانت متيّم جالسة ذات يوم بين يديّ المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر فغنّت

لزينبَ طيف تعتريني طوارقُهْ هُدوّاً إذا ما النجمُ لاحت لواحقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده فقالت للمعتصم يا سيدي إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه فقال لها لا تعيديه فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلس المعتصم ومتيّمُ غائبة فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيّم في منزلها بشارع الميدان ببغداد فمر أمام منزلها

وسمعها تغني الصّوت نفسه وتطرحه على جواري علي بن هشام فاقترب من المنزل وهو على دابّته وأخذ الصوت ثم دق على بابها وقال لمتيّم قد أخذنا الصّوت بلا حمدك

*

حدّثَ الهشاميّ قال كانت متيّمُ تحبّني حُبّاً شديداً يتجاوز محبة الأخت لأخيها وكانت تعلم أني أحب النَّبق[1] فكانت لا تزال تبعث إليّ منه وبعث علي بن هشام إلى إسحق الموصلي فجاء فأخرج متيّم جاريته إليه فغنّت

فلا زِلنَ حسرى ظُلَّعاً لِمْ حَملنهَا إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصـــادِق

فاستعاده إسحق وٱسْتحسنه ثم قال له بكم تشتري منّي هذا الصوت؟ فقال له علي بن هشام جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك! قال لقد أخذته السّاعة وأدّعيه فقولُ من يُصَدِّق، قولي أو قولك! فافتداه منه ببرذون اختارهُ له

وقال ابن المعتز كانت متيّم تحب البنفسج وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب حتى إنها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمّها الريحانُ ولا نراه إلاّ كما قُطف من البستان»

*

أخذت متيّم الغناء عن إبراهيم وإسحق الموصليَّيْن والجارية بذل التي عُرفت بغنائها وصنعتها

وغضبت ذات يوم على علي بن هشام وطال غضبها فلمّا ترضّاها ولم ترضَ كتب إليها يقول

«الإدلال يدعو إلى الإملال ورُبّ هجر دعا إلى صبر، وإنما سُمّي القلب قَلباً لتقلُّبه ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول

(١) النبق دقيق حلو يخرج من لبّ جذع النخلة

مـا أراني إلاّ سـأهجـرُ من لـيـس يراني أقـوى على الهـجـرانِ
قد حـدا بي إلى الجفـاءِ وفائي مـا أضـرَّ الوفـاءَ بالإنسـانِ

فلمّا سمعت متيم ما قاله علي بن هشام رضيت وعاد الوئام بينهما وغضبت منه مرة ثانية وتحاشته عندما مد يده إليها في عتاب ، فكتبَ إليها هذين البيتين

فليتَ يدي بانت غـداة مـددتهـا إليكِ ولم ترجع بكفٍّ وسـاعـدِ
فـإنْ يُرجعِ الرحـمن مـا كـان بيننا فلستُ إلى يوم التنادي بعـائدِ

فصفحت عنه وتناست كل ما جرى

وعُرف عنها أنها شديدة الأناقة وقيل إنها أول مَن عقدت زنّاراً وخيط حرير في طرف الإزار فكانت تضع الإزار على رأسها وتثبته وكانت أيضاً شديدة الولع بالزينة والتَّبرُّج

ولمناسبة ذكر مقتل علي بن هشام طرحت بعض جواري علي على المغنيات أن يَنُحنَ نوحاً كنوح متيّم فإذا هو نَوْحٌ جيد ومن نَوْح متيم على علي بن هشام

لِعلِيٍّ وأحـمـدٍ وحُـسينٍ ثم نَصْـرٍ وقَـبْله للخليلِ

ولما ماتت متيم قالت إحدى الجواري للمعتصم

ـ الآن وقد ماتت متيم ومن قبل إبراهيم بن المهدي الذي اشتهر بالغناء والجارية بَذل أظن يا سيدي أن في الجنّة عرساً إذ طلبوا هؤلاء إليه

فزجرها المعتصم وأنكر ما قالته ولم تمض أيام حتى شبّ حريق في حجرة الجارية فاستفسر المعتصم عن الخبر ، فقيل له إن الحريق أتى على كل ما لدى الجارية من حطام الدنيا فطلب الجارية وسألها وهي تبكي «ما قصّتك»؟ فقالت يا سيدي احترق كل ما أملكه فقال لها «لا تبكي ، لم يحترق هذا بل اقترضه أصحاب ذلك العُرس !»

محبوبة

(٠٠٠ - بعد ٢٤٧هـ)
(٠٠٠ - بعد ٨٦١م)

محبوبة شاعرة ملحّنة موسيقية ، من مولّدات البصرة كانت لرجل من أهل الطائف أدّبها وعلمها ، وأهديت للمتوكل العباسي فحلّت من قلبه محلاً جليلاً واشتهرت بأخبارها في مجالسه

روى سمير الخليفة المتوكل الشاعر علي بن الجهم بعض فصول من علاقة الخليفة القتيل المتوكل بجاريته المفضلة محبوبة ، في سياق ما يتداوله الناس من أخبار الخليفة الذي لقي مصرعه على يد المماليك الأتراك الذين انقلبوا عليه وقد بدأ علي بن الجهم حديثه بإبداء الحسرة على ما حل بالمتوكل وجواريه فقال إن عدداً منهن صار من نصيب قاتل الخليفة وصيف التركي ، وبينهن محبوبة ، جاريته المفضلة ، وهي مولّدة من مولدات البصرة ، حسنة الوجه وشاعرة سريعة مطبوعة ، ومغنية متقدمة على طبقتها كان أهداها إلى المتوكل عبيدالله بن طاهر في جملة ٤٠٠ جارية ، فتقدمتهنّ جميعاً عنده فلما قُتل تسلاّه كل جواريه غيرها ، فقد حزنت عليه حزناً شديداً وهجرت كل لهو ، وأنشدت فيه مراثي كثيرة

وأردف علي بن الجهم قائلاً إنه مرة أمر وصيف بإحضار الجواري إليه ، فحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة ، وقد تزيّن وتعطّرن ، سوى محبوبة ، فإنها جاءت حاسرة من الحلى ، وبثوب الحداد والحزن فغنّت الجواري ، وطرب ثم قال لمحبوبة غنّي فأخذت العود ، وغنّت وهي تبكي ، راثية جعفر المتوكل

أي عيش يطيب لي لا أرى فيه جعفرا ملكاً قد رأته عيني قتيلاً معفّرا

كل من كان ذا سقام وحزن فقد برا غير محبوبة التي لو ترى الموت يُشترى
لاشترته بما حوته يداها لتُقبرا إن موت الحزين أطيب من أن يُعمَّرا

فاشتد ذلك على وصيف التركي ، وهمَّ بقتلها فاستوهبها منه بُغا التركي ، وكان حاضراً ، فوهبها له ، فأعتقها وأمرها بأن تقيم حيث أحبَّت ، فخرجت إلى بغداد لتقيم فيها ، منطوية على نفسها ، حزينة بارة بقسمها ألاّ تفرح أبداً بعد الآن

*

وروى علي بن الجهم نفسه ، قال

كنت مرة بحضرة الخليفة ، فدفع إلى محبوبة تفاحة مغلّفة بغالية (أي بأخلاط من الطيب) فقبّلتها ، وانصرفت من حضرته ثم خرجت جارية لمحبوبة ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكل ، فقرأها وضحك ثم رمى بالرقعة إلى من كان موجوداً في مجلسه ، فإذا فيها الأبيات التالية

يا طيب تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي
أبكي إليها وأشتكي دنفي وما ألاقي من شدة الكمد
لو أن تفاحة بكت لبكت من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنت لا تعلمين ما لقيت نفسي فمصداق ذاك في جسدي
فإن تأملته علمت بأن ليس لخلق عليه من جَلَد

ويقول علي بن الجهم

ـ كنت مرة عند المتوكل فقال لي دخلت إليّ قبيحة الساعة (جارية) فوجدتها قد كتبت اسمي على خدّها بغالية ، فوالله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياضِ ذلك الخد ، فقل في ذلك شيئاً

وكانت محبوبة جالسة وراء الستارة تسمع الحديث فإلى أن دعي بالدواة والقرطاس ، وأخذت أفكر ، فإذا بمحبوبة تقول على البديهة

وكـاتبـة في الخـدّ بالمسك جعـفـرا بنفـسي مـخطّ المسك من حـيث أثّرا
لئن أودعت خطّاً من المسك أسطراً لقـد أودعت قلبي من الوجـد أسطرا
فـــيـــا من لمملوك يظل مليكه مطيـعـاً له فـيـمـا أسـرّ وأجـهـرا
ويا من لعيني من رأى مـثل جعـفـر سقى الله صوب المستهلاّت جعفرا

أما أنا ، يقول علي بن الجهم ، فقد بقيت واجماً ، لم يسعفني شيطان شعري بشيء

ويمضي علي بن الجهم في نوادره عن محبوبة وأخبارها مع المتوكل ، فيقول غضب المتوكل على محبوبة ، فجئته يوماً ، فحدّثني أنه رأى في النوم أنها صالحته ، ودعا بخادم فقال اذهب فاعرف لي خبرها وأي شيء تصنع فذهب ولما رجع أعلمه أنها جالسة تغنّي ، فقال لي أما ترى إلى هذه تغنّي وأنا عليها غضبان؟ ثم قال لي قم معي حتى نسمع بأي شيء تغنّي فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها ، فإذا هي تغنّي

أدور في القـــصـــر لا أرى أحـــداً أشكـو إلـيـــــــه ولا يكـلّـمـني
حـــتى كـــأنّي أتيت مـعـصـيـة ليـــــست لهـــا توبة تخلّصني
فـــمن شـــفـــيع لنا إلى ملكٍ قـــد زارني في الكرى وصـــالحني
حـــتى إذا مـــا الصـــبـــاح لاح لنا عـــاد إلى هجـــره فـــصـــارمني

*

مُخارق

(٠٠٠ ـ ٢٣١هـ)
(٠٠٠ ـ ٨٤٥ م)

مخارق ، أبو المهنّأ ابن يحيى بن ناووس الجزار إمام عصرهِ في الغناء ومن أطيب الناس صوتاً كان الخليفة هارون الرشيد يعجب به حتى أقعده مرّةً على السّرير معه وأعطاهُ ثلاثين ألف درهم ، واتصل بعد ذلك بالخليفة المأمون وزار معه دمشق توفي بسامراء

كان مملوكاً لعاتكة بنت شُهدة بالكوفة وهي التي علّمته الغناء والضرب على العود وباعته فصار إلى الرشيد فسمعه وأعتقه وأغناه وكنّاه بأبي المهنّأ اشتهر بالتلحين والده جزار من المماليك وكان مخارق وهو صبيّ ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم فلمّا بان صوته علّمته مولاته شُهدة طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه

قدمت مولاة مخارق به من الكوفة فنزلت المخرَّم وصار إبراهيم الموصلي إلى جَدّي الأصبغ بن سنان المُقيمَين وسرين بن طَرْخان النّخاس فقالا له إن ههنا امرأة من أهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنّى فأحب أن تنفعها فيه فتوجه ليراه فرآه متمرّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المخرّم وهو يلعب فحمله وأتى به إلى إبراهيم فتغنّى بين يديه فقال لمولاته كم أمَلَكِ فيه؟ قالت عشرة آلاف درهم قال قد أخذته بها وهو خيرٌ منها فقالت أقلّني قال قد فعلت فكم أمَلُكِ فيه؟ قالت عشرون ألفاً قال أخذته بها وهو خير منها ، فقالت

ـ والله ما تطيب نفسي أن أمتنع من عشرين ألف درهم بكبد رطبة

فهل لك في خصلة؟ تعطيني به ثلاثين ألف درهم ولا أستقيلك بعدها فقال لها

ـ قد فعلت وهو خيرٌ منها

فصفقت على يده وباعته وأمر بالمال فأحضر وأمر بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه وقال

ـ قد تكون هذه لهدية تُهدينها أو كسوةٍ تكتسينها ولا تَثْلمين المال

*

حدّث حمّاد بن إسحق عن أبيه قال «كان مُخارق بن ناووس الجزار، وإنّما لُقِّب بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تنضج فطرح رهنه بذلك فدسّ الرجل الذي رهنه رجلاً فألقى نفسه في الناووس بين الموتى فلمّا فرغ من الطبيخ مدّ الرجل يده بين الموتى وقال له أطعمني فغرف ملء المغرفة وقال له

ـ اصبر حتى نطعم الأحياء أولاً ثم نتفرّغ للموتى

فلُقِّبَ بناووس لذلك ثم اشتراه أبي وأهداه إلى الرشيد فأمره بتعليمه فعلّمه حتى بلغ الشهرة التي بلغها وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغنّي وهو واقف

سأل الخليفة المأمون يوماً إسحق الموصلي عن إبراهيم بن المهدي ومخارق، فقال يا أمير المؤمنين إذا تغنّى إبراهيم بعلمه فضَل مُخارِقاً، وإذا تغنى مُخارق بطبعه وفضلِ صوته فَضَل إبراهيم فقال له صدقت

*

قال هارون بن محمد بن عبدالله الزيات، قال أبي «قال الواثق أمير المؤمنين خطأ مُخارق كصواب عَلُّوية، وخطأ إسحق الموصلي كصواب مُخارق وما غنّاني مُخارق قطُّ إلاّ قَدّرت أنه من قلبي خلق، ولا غنّاني إسحق إلاّ ظننت أنه قد زيد في مُلكي مُلكٌ آخر»

«أتريدون أن تنظروا فضل مُخارق على جميع أصحابه انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه فإذا تغنّى مُخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرّكت أرجُلهم ومناكبهم وبانت أسبابُ الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه»

وقال رجل للشاعر أبي العتاهية وقد حضرته الوفاة

ـ هل في نفسك شيءٌ تشتهيه؟

قال

ـ أن يحضر مُخارق السّاعة فيغنيني

سَيُعرضُ عَن ذكري وتُنسى مودَّتي ويحدث بعدي للخليلِ خليلُ
إذا ما انقضت عني من الدَّهرِ مُدّتي فإنَّ غناءَ الباكياتِ قليلُ

ولقي مُخارق أبا العتاهية فقال له يا أبا إسحق أأنت القائل

اصْرِف بِطَرْفِكَ حيثُ شئت فلن ترى إلاّ بخيلا

فقال له نعم قال بَخَّلتَ الناس جميعاً قال نعم، فاصْرِف بطرفك يا مخارق فإنك لن ترى إلاّ بخيلاً، وإلاّ فأكذبني بكريم واحد

فالتفت مخارق يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه، فقال

ـ صدقت يا أبا إسحق

فقال له أبو العتاهية

ـ لو كنت مما يُشرب لذُرِرْتَ على الماء وشُرِبتَ

مَعْبَد

(٠٠٠ ـ ١٢٦هـ)
(٠٠٠ ـ ٧٤٣ م)

معبد بن وهب ، أبو عبّاد المدني نابغة الغناء العربي في العصر الأموي كان مولى لبني مخزوم (أو لأبي قطن مولى معاوية) نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه ، وربما اشتغل في التجارة ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه وكان أديباً فصيحاً عاش طويلاً إلى أن انقطع صوته ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده كان أبوه أسود اللون فجاء خلاسيّاً وكان أحول مديد القامة ، وقد لُقِّبَ بإمام المغنين لتفوقه على جميع أهل المدينة في الغناء والصنعة

غنّى في أول دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس ، قيل أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته

قال إسحق الموصلي «كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقاً وهو فحل المغنّين وإمام أهل المدينة في الغناء أخذ عن سائب خاثر المغنّي»

قيل لمعبد كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء؟ قال أرتحلُ قَعودي وأوقع بالقضيب على رحلي وأترنّم عليه بالشّعر حتى يستوي لي الصوت

قال حماد بن إسحق عن أبيه عن الزّبير عن جرير قال

كان معبد خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره ، فسمع في طريقه غناء في بَطن مَرٍّ من نواحي مكة ويقال له أيضاً «مرّ الظهران» فقصد الموضع فإذا رجل جالس على حَرف بركة فارقٌ شعره ، حسن الوجه عليه جبّة مشقوقة

المقدم ، قد صبغها بزعفران ، وإذا هو يتغنّى بأبيات لعمر بن أبي ربيعة

حَنّ قلبي مِن بعد ما قد أنابا ودعا الهَمَّ شجوُهُ فأجابا
ذاكَ مِن منزلٍ لسَلْمى خلاء لابسٍ من خلائه جلبابا
عُجتُ فيه وقلتُ للرّكبِ عوجوا طَمعاً أن يَرُدَّ ربعٌ جوابا
فاستثار المنسيَّ مِن لوعة الـ ـحُبِّ وأبدى الهمومَ والأوصابا

فما كان مِن معبد إلاّ أن قرع بعصاه وتغنّى بأبيات الفرزدق

منع الحياة من الرّجالِ ونفعها حَدَقٌ تُقَلِّبُها النّساءُ مراضُ
وكأنَّ أفئدة الرّجالِ إذا رأوا حَدَقَ النّساءِ لِنَبْلِها أغراضُ

فقال له ابن سُريج بالله أنت معبد؟ قال نعم ، وبالله أنت ابن سُريج؟ قال نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنيت بين يديك

*

كان معبد قد عَلّم جارية من جواري الحجاز الغناء تدعى «ظبية» وعُني بتخريجها فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كلّ مذهب وغلبت عليه ثم ماتت بعد أن أقامت عنده زمناً طويلاً وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها فكان لمحبّته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وبلغ معبد خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة فلما وصلها صادفَ الرجلَ قد خرج عنها إلى الأهواز فاكترى سفينة وجاء معبد يلتمس سفينة إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ولم يعرف أحد منهما صاحبه فأمر الرجل الملاّح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا فلمّا صاروا في فم نهر الأُبلّة (الأبلة بلدة على شاطئ دجلة البصرة) تغدّوا وشربوا وأمر جواريه فغنّين ومعبد ساكت وهو في ثياب السّفر وعليه فروٌ وخفّانِ غليظان وزِيٌّ جافٍ من زي أهل الحجاز ، إلى أن غنت إحدى الجواري ببيتين من شعر النابغة الذبياني والغناء لمعبد

بانت سعادُ وأمسى حبلها انْصَرما وأحْتَلَّت الغَوْرَ[1] والأجراعَ[2] من إضَما[3]
إحدى «بَلِيٍّ»[4] وما هامَ الفؤاد بها إلاّ السّفاهَ[5] وإلاّ ذكرة[6] حُلُما

لكن الجارية لم تجد أداء اللحن فصاح بها معبد يا جارية، إن غناءَك هذا ليس بمستقيم فقال له مولاها وقد غضب وأنتَ ما يدريكَ الغناء ما هو؟ لم لا تمسك وتلزم شأنك؟ فأمسك ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم إلى أن غنت من شعر عبد الرحمن بن أبي بكر والغناء لمعبد

بـآبنة الأزديّ قلبي كئيبُ مُستهامٌ عندها ما يُنيبُ
ولقد لاموا فقلتُ دعوني إن مَن تنهَوْن عنه حبيبُ
إنما أبلى عظامي وجسمي حُبُّها والحبُّ شيء عجيبُ
أيها العائبُ عندي هواها أنت تفدي مَن أراك تعيبُ

فأخلّت ببعضه، فقال لها معبد يا جارية، لقد أخللت بهذا البيت إخلالاً شديداً فغضب الرجل وقال له ويلك! ما أنت والغناء! ألا تكفّ عن هذا الفضول؟ فأمسك ثم غنت جارية أخرى أبياتاً من قصيدة لكثير والغناء لمعبد فلم تصنع فيه شيئاً فقال لها معبد يا هذه، أما تقومين على أداء صوت واحد؟ فغضب الرجل وقال له ما أراك تدعُ هذا الفضول بوجه ولاً حيلة! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنّك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجواري اندفع يغنّي الصوت الأول حتى فرغ منه فصاح الجواري أحسنت والله يا رجل، فأعده فقال لا والله ولا كرامة ثم اندفع يغني الصوت الثاني فقلن لسيدهن ويحك! هذا والله أحسن الناس غناءً ثم غنى صوتاً ثالثاً كانت إحدى الجواري قد غنته فزلزل عليهم الأرض فوثب الرجل وخرج إليه وقبّل رأسه وقال له يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك فقال له فهبك لم تعرف موضعي، قد كان

(١) الغور المطمئن من الأرض (٢) الأجراع جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت
(٣) إضَم واد بجبل بتهامة (٤) بلي اسم قبيلة
(٥) السّفاه الطيش وخفة الحلم (٦) الذكرة: نقيض النسيان

ينبغي لك أن تتثبَّت ولا تُسرع إليَّ بسوء العشرة وجفاء القول فقال له لقد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي فقال أمّا الآن فلا فلم يزل يُرفق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل ممن أخذت هذا الغناء؟ قال من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخذه جواريك؟ فقال من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة وكانت قد أخذت عن أبي عبّاد معبد وعُني بتخريجها ، فكانت تحل منّي محل الروح من الجسد ثم استأثر الله عزّ وجلّ بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهنّ من تعليمها فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضّل صنعته على كل صنعة فقال له معبد أوَإنَّك لأنت هو؟ أتعرفني؟ قال لا قال فضرب معبد بيده صلعته ثم قال فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز لأقصدك بالأهواز فأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون كتمت نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك بالمخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيّدنا

وخلع عليه الرجل عدة خلع وأعطاه ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده أياماً ثم ودعه وعاد إلى الحجاز

*

قال الوليد بن يزيد يوماً لقد اشتقت إلى معبد فوجه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد وأمر الوليد ببركة قد هُيِّئت له فملئت بالخمر والماء وأتي بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما وبينها سترٌ قد أرخي فقال له غنّني يا معبد فغنّى

لهفي على فتيَةٍ ذَلَّ الزّمانُ لهم ... فما أصابَهم إلاّ بما شاؤوا
ما زال يعدو عليهم ريبُ دهرهمُ ... حتى تفانَوْا وريبُ الدّهرِ عَدّاءُ
أبكى فراقُهم عيني وأرَّقَها ... إنّ التفرّقَ للأحباب بكّاءُ

فلمّا سمع الوليد غناءَه رفع الستّر ونزع مُلاءةً مطيَّبة كانت عليه وقذف نفسه في البركة ، فنهل فيها نهلةً ثم أتي بأثواب غيرها وتلقّوه بالطيب

والمباخر ثم أمر له بخمسة عشر ألف دينار، وقال له «انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت»

قيل للمغني ابن عائشة وقد غنّى صوتاً أحسنتَ فيه فقال أصبحتُ أحسن الناس غناءً فقيل له كيف؟ قال وما يمنعني وقد أخذت من معبد أحد عشر صوتاً!

وكان المغني غريض شديد الإعجاب بمعبد ولا يكتمه ذلك وقد قال أحد الشعراء

أجاد طُويسٌ والسُّريجي بعده وما قصبات السّبق إلاّ لمعبد

*

ومعبد أخذ الغناء عن المغني سائب خاثر ونشيط الفارسي وجميلة وإسحق بن إبراهيم الموصلي وابن جامع

وذات يوم توجه معبد إلى مكة للقاء المغنين فيها ليغنيهم ويأخذ منهم فلمّا وصلها سأل أين يجتمع المغنون؟ فقيل له في منزل مغنٍ في قرية تبعد حوالى اثني عشر ميلاً من مكة فتوجه والوقت عند الغلس إلى المنزل الذي ذكروه له ففتح صاحبه له الباب ولما عرف أنه من المدينة ويريد الاجتماع بالمغنين عنده لأنه لا يعرف شيئاً من الغناء، رحّب به وأنزله إلى جانب حجرته

وحضر المغنون صباحاً ومعهم المغني ابن سُريج فعجبوا لوجود غريب عنهم، وهم وصاحب البيت لا يعرفونه وتبادل الجميع الأحاديث وشربوا وغنوا فجعل معبد يظهر لهم إعجابه بغنائهم وأقاموا على ذلك أياماً حتى حذق معبد الكثير من أصواتهم دون أن يشكّوا في أمره وذات يوم غنى معبد صوت ابن سُريج والشعر لعمر بن أبي ربيعة

قل لهندٍ وتربِها قبل شَحطِ النَّوى غدا
إن تجودي فطالما بتُّ ليلي مُسهّدا

فلمّا سمعوا غناءه صاحوا أحسنتَ قاتلك الله وقال معبد «غنّيت من أصواتهم فصاحوا لأنتَ أحسنُ بأداء غنائنا عنا منّا ثم غنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنّيت أصواتاً أخرى فوثبوا إلي وقالوا نحلف الله بأن لك صيتاً واسماً وذكراً فمن أنت؟» فأخبرهم باسمه وأقام عندهم شهراً يأخذ منهم ويأخذون منه ثم انصرف عائداً إلى المدينة .

وكان لمعبد أصوات سبعة شهيرة تعرف بمدن معبد أو حصون معبد أسوة بالحصون السّبعة في المدن السبع بخراسان اتي فتحها القائد العربي مسلم بن قُتيبة ، وكانت صعبة المسالك لم يصل إليها أحد قبله قط ، فشبه معبد أصواته بها قائلاً «لقد صنعت سبعة ألحان كل لحن منها أشد من فتح تلك الحصون ولما سئل عن ألحانه السبعة قال إنها

- لعمري لئن شطت بعثمة دارها
- هُريرة ودّعها وإنْ لام لائمُ
- رأيت عرابة الأوسي يسمو
- كم بذاك الحجون من حيٍّ صدق
- لو تعلمينَ الغيبَ أيقنت أنني
- يا دار عبلة بالجواء تكلّمي
- ودّع هُرَيرةَ إن الرَّكَبَ مُرتَحِلُ

وأخبار معبد كثيرة مع المغنين منهم الغريض وحكم الوادي وحبابة وسلاّمة ومحمد ابن عائشة وابن سُريج وغيرهم

الواثق بالله

(٢٠٠ ـ ٢٣٢هـ)
(٨١٥ ـ ٨٤٧ م)

هارون (الواثق بالله) ابن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد العباسي ، أبو جعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق عالم بالموسيقى وله أصوات ولد ببغداد ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ فامتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي بيده سنة ٢٣١هـ

شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم قال ابن دحية كان مسرفاً في حب النساء ووصف له دواء لتقويته جنسياً فمرض منه وعولج بالنار فمات محترقاً في سامراء دامت خلافته خمس سنين وتسعة أو ستة أيام

قال أبو الفرج «صنع الواثق بالله مائة صوت ما فيها صوت ساقط» وكان وافر الأدب مليح الشعر كما قال عنه السيوطي كان يحب خادماً له اسمه «مُهَج» وفيه يقول

مُـــــــهَجٌ يملك المُهَجْ بـــــــجي اللحظ والدّعجْ
حَـــــنُ القَـــدِّ مـــخطفٌ ذو دلالٍ وذو غَـــــنَـــــجْ

والواثق بالله هو من الخلفاء الذين شغفوا بالغناء وكان أكثر صنعة للغناء من الوليد بن يزيد الذي كان يضرب بالعود ويوقع الطبل ويمشي بالدّف على مذهب أهل الحجاز

حَدّث حمّاد بن إسحق الموصلي عن أبيه قال

«دخلت يوماً دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً فسمعت صوت عود من بيت وترنُّماً لم أسمع أحسن منه قط فأطلع خادمٌ رأسه ثم ردّه وصاح بي فدخلت فإذا بي أمام الواثق فقال أيّ شيء سمعت؟ فقلت الطّلاق لازمٌ لي وكل مملوك لي حُرّ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قطّ حَسَناً فضحك وقال وما هو؟ إنما هذه فضلة أدب وعلمٍ مدحه واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون بعدهم وكُثُر في حَرَمَ الله ومُهاجر رسول الله أتحب أن تسمعه مني؟ قلت أي والذي شرّفني بخطابك وجميل رأيك فقال يا غلام، هات العود وأعط إسحق رطلاً فدفع الرِّطل إلي وشربت وطرب وغنّى في شعر لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه

أضحت قبورهمُ من بعد عزّهمُ تسفي عليها الصَّبا والحرجَفُ الشَّمَلُ[1]
لا يدفعون هواماً عن وجوههم كأنها خشبٌ بالقاع مُنجَدِلُ

فشربت الرِّطلَ ثم قمت فدعوت له، فأجلسني وقال أتشتهي أن تسمعه ثانية؟ فقلت إي والله فغنانيه ودعا لي برِطل وقال إلى بعض خدمه احمل إلى إسحق ثلثمائة ألف درهم وعدت إلى منزلي شاكراً

*

كان الواثق بالله إذا أراد أن يعرض صنعته على إسحق الموصلي نسبها إلى غيره، وقال وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ ويأمر من يغنّيه إيّاه وكان إسحق يأخذ نفسَهُ في ذلك بقول الحق فإن كان جيّداً من صناعته قرّظه ووصفه واستحسنه، وإن كان فاسداً أو متوسّطاً ذكر ما فيه وما كان اللحن القديم الذي أتى الواثق على ذكره إلاّ من صنعته ولحنه وكثيراً ما كان الواثق إذا صنع لحناً جديداً أخبر إسحق به وعرضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهرَهُ

(١) لم أعثر على هذين البيتين في ديوان أبي العتاهية. الحَرْجَف الريح الباردة، والشَّمَل هي الشَّمال أي الريح الآتية من الشأم

غنّى الواثق بالله الكثير من الأبيات لعدد من الشعراء منهم حسان بن ثابت وذو الرّمة والعباس بن الأحنف ومجنون ليلى وعليّ بن الجهم وأبو العتاهية وغيرهم .

من شعر العباس بن الأحنف غنى الواثق بالله بعد أن ضرب بالعود

يفرحُ الناسُ بالسَّماعِ وأبكي أنا حُزناً إذا سمعت السَّماعا
ولها في الفؤادِ صَدْعٌ مُقيمٌ مثلُ صَدع الزُّجاج أعيا الصَّناعا

*

لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر منه من أبياته في خادمه مُهَج عندما ناوله ورداً ونرجساً

حيّاك بالنّرجسِ والوردِ معتدلُ القامة والقَدِّ
فألهبت عيناه نار الهوى وزاد في اللّوعة والوَجْد
ورَنَّحَتْهُ سَكراتُ الهوى فمال بالوصلِ إلى الصّدِّ
إن سُئلَ البذلَ ثنى عَطفَهُ وأسبلَ الدَّمعَ على الخَدِّ
مولىً تشكّى الظُّلمَ مِن عبده فأنصفوا المولى من العَبْدِ

ولما احتضر الواثق قبل موته بسامراء ردّد هذين البيتين

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مُشتَركٌ لا سوقةٌ منهمُ يبقى ولا مَلِكُ
ما ضَرّ أهلَ قليلٍ في تَفارُقهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ورد البيت الأخير كما يلي

ما ضَرّ أهلَ قليلٍ في منابرهم وليس يُغني عن المُلاّك ما ملكوا

يحيى المكّي

(٠٠٠ ـ نحو ٢٢٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٨٣٥ م)

يحيى بن مرزوق المكّي ، من الموالي ، أبو عثمان أديب ، من المغنّين المشهورين نشأ بمكة في العصر الأموي ، وعاش طويلاً كان له في العصر العباسي شأن أقام ببغداد ، فاتصل بالخليفة المهدي وغيره من الخلفاء صنّف كتاباً في «الأغاني» جمع فيه نحو ثلاثة آلاف صوت ، أهداه إلى عبدالله بن طاهر توفي ببغداد قيل إنه عاش حوالى المائة والعشرين عاماً ، وكان سليم العقل والبصر عندما توفي

كان يغني مرتجلاً ويضرب بقضيب على دواة وهو يغنّي وكان قد قدِم مع الحجازيين هو وَوُلْده يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكّي

قال محمد بن أحمد بن يحيى المكّي «عمل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبدالله بن طاهر وهو يومئذ شاب حديث السِّن فاستحسنه وسُرَّ به ثم عرضه على إسحق الموصلي فأظهر فيه عيباً كثيراً في نسَبِه لأن جدّي لا يصحِّح لأحد نسبة صوت البتّة وينسب صنعته إلى الأقدمين ، وينحل بعضهم صنعة بعض ضنّاً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبدالله وبقي في خزانته ثم وقع إلى محمد بن عبدالله ، فدعا أبي وكان إليه محسناً وعليه مُفضلاً فعرضه عليه فقال له «إن في هذه النِّسب تخليطاً كثيراً خلطها أبي لظنّه بهذا الشأن على الناس ولكني أعمل لك كتاباً أصحِّح هذا وغيره فيه فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه فوصله محمد بثلاثين ألف درهم وصحّح له الكتاب الأول أيضاً»

وحَدّث أحمد بن يحيى المكّي عن أبيه قال «أرسل إلي هارون الرشيد فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتلّ دارا[1] فقال يا يحيى، غَنِّني فغنّيته

متى تلتقي الألاف والعيش كُلّما تصعّدنَ من وادٍ هبطنَ إلى واد

فلم أزل أغنيه إياها ويتناول قدحاً ويشرب إلى أن أمْسى فعددتُ عشر مرات استعاد فيها الصوت وشرب عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف دهم

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكي حَدّثني أبي أحمد قال «قال لي إسحق الموصلي يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتاً من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرّابح فقلت لأبي أي شيء تعرف منها؟ قال لحنه في شعر الأخطل

خَفّ القطين فراحوا منكَ وٱبتكروا[2] وأزعجتْهم نوىً في صرفها غِيَرُ
كأنني شاربٌ يوم استبَدَّ بهم مِن قهوةٍ[3] عتّقتها حِمْصُ أو جَدَرُ[4]

*

أخذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي وفليح وغيرهم الغناء القديم عن دحمان وكانوا كلما نالتهم الجوائز أخذوا قسماً منها ودفعوه إلى أستاذهم يحيى المكي

وغنّى يحيى صوتاً أتى فيه على ذكر زينب، وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً لكنه لم يحفظ الأبيات لكثرة ما شرب، وحاول أن يستعيده، فأبى فأرسل إبراهيم غلام المارقي إلى يحيى عله ينجح في الاحتيال عليه ويأخذ منه الصوت الذي فيه ذكر زينب على أنّه إذا نجح فله جائزة قيّمة وزار الغلام يحيى ودعاه إلى الغداء عند سيده المارقي، فلبّى الدعوة

---

(١) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين وهي من بلاد الجزيرة ذات بساتين ومياه جارية
(٢) في ديوان الأخطل أو بكروا
(٣) القهوة الخمر
(٤) جَدَر: قرية بين حمص والسلمية تنسب إليها الخمر

وفيما كانا يشربان ويأكلان المآكل الشهية انتشى يحيى وبعد الغداء سأله المارقي أن يسمعه الصوت ، فقد سمعه ابنه عند أمير المؤمنين ولكنه نسيه ، ويشتهي أن يسمعه وبعد أن وهَبَه البُسط الفارسية والظّباء المكية ونقده خمسين درهماً وكان يحيى لا يغني إلاّ بعد أن يأخذ الخمسين درهماً ، وغنّى يحيى البيت

بزينبَ ألّمِمْ قبل أن يرحلَ الرّكبُ وقلْ إن تَملّينا فما ملّك القلبُ

فضحك المارقي وقال لقد والله أخذت عنه هذا الصوت الذي يشتهيه إبراهيم بن المهدي فذهب إلى الخليفة وأسمعه الصوت فقال لا يا مارقي ليس هذا هو الصوت فعاد المارقي إلى يحيى ونقده خمسين درهماً وقال له ليس هذا الصوت الذي سمعه المهدي فغناه

ألّممْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا قلَّ الثواءُ[1] لئن كان الرحيل غدا

فحفظه المارقي وأسمعه إلى الخليفة فقال له إن يحيى خدعك فعليك أن تحتال عليه من جديد وزار المارقي يحيى وقال له ليس هذا هو الصوت الذي سمعه المهدي ونقده خمسين درهماً ، ثم غنّى :

لزينب طيف تعتريني طوارقُهْ هدوّاً إذا النّجم أرْجَحنّت[2] لواحقُه

وأسمع المارقي الصوت إلى إبراهيم بن المهدي فقال له ليس هذا هو الصوت الذي سمعته وقال له عد إليه وزار المارقي يحيى فقال له أما زلت تسأل عن زينبك؟ إنني أريد أن أساومك على الصوت ما دام إبراهيم يلحّ على سماعه وتم الاتفاق بينهما على ألف درهمٍ ، فغنّاه

طرقتك زينبُ والمزارُ بعيدُ بِمنى ونحنُ معرّسون[3] هجودُ

فكأنما طرقت بريّا روضةً أنف تَسَحْسَحَ[4] مُزنُها وتجودُ

وهرع المارقي إلى إبراهيم وأسمعه الصوت فقال «هذا هو والله مبتغاي» ومنح المارقي كل ما أخذه منه يحيى إضافة إلى خمسة آلاف درهم

(١) الثواء الإقامة بالمكان (٢) ارجحنت مالت

(٣) معرّسون من عَرَس أي نزل من السفر للاستراحة ثم رحل.

(٤) تسحسح مزنها أي انصبّ المطر غزيراً

يونس الكاتب

(٠٠٠ ـ نحو ١٣٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ٧٥٢ م)

يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من وُلد هُرْمُز، وقيل إنه مولىً لعمرو بن الزُّبَيْر كاتب، شاعر، بارع في صناعة الغناء منشؤه ومنزله بالمدينة سافر في تجارة إلى الشام، فاستدعاه الوليد بن يزيد قبل أن يلي الخلافة فأكرمه وسُرَّ به

ولما وليَ الوليد الخلافة بعثَ إليه فجاءَه من المدينة، فلم يزل معه حتى قتل، فعاد يونس إلى المدينة وتوفي بها

أخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض وهو أولُ من دوَّن الغناء في العرب صَنّف كتاباً في الأغاني ونسبتها إلى مَن غنّى بها

قال فيه الأصفهاني «إنه هو الأصل الذي يُعمل عليه ويرجع إليه» له غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد

حَدّث حمّاد بن إسحق قال، حدّثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياني (نسبة إلى موريان وهي قرية بخوزستان) لنفسه في يونس

يا يونُسُ الكاتبُ يا يونُسُ طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إن المغَنّينَ إذا ما هُمُ جاروكَ أخنى بِهِمُ المقبسُ
تنشر ديباجاً وأشباهَهُ وهمُ إذا ما نشروا كَرْبَسوا[1]

وذكر إبراهيم بن قُدامة الجمحيّ قال

(١) كربسوا أتوا بالكرابيس وهي الثياب الخشنة من القطن.

«اجتمع فتيان من فتيان أهل المدينة فيهم يونُس الكاتب وجماعة من المغنّين ، فخرجوا إلى واد يقال له دُومة من بطن العقيق في أصحاب لهم فتغنّوا واجْتمع إليهم نساء أهل الوادي فقال بعض من كان معهم فرأيت مثلَ مُراح الضأن وأقبل محمد ابن عائشة ومعه صاحب له فلما رأى النسوة عندهم حَسَدهم فالتفت إلى صاحبه فقال أما والله لأفرِّقَنَّ هذه الجماعة فأتى قصراً من قصور العقيق فَعَلا سطحه وألقى رداءَه واتَّكَأ عليه وتغنّى

هذا مُـــقـــامُ مُطَرَّد هُـدمـتْ مـنـازلُـه ودُورُهْ
رَقَى[1] عليـــه عُـــداتُهُ ظُلْماً فـعـاقـبَـهُ أميـرُهْ

فهرعت النساء إلى تحت القصر وتفرق عامة أصحابهم فقال يونُس الكاتب «هَذا عملُ ابن عائشة» وحَسَده

*

خرج يونُس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فلم يشعر يونس إلاّ برُسُله قد دخلوا عليه الخانَ فقالوا له

ـ أجب الأمير الوليد بن يزيد

قال فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير وكنت لا أدري من هو إلاّ أنه بدا من أحسن الناس وجهاً وأنبلهم فسلّمت عليه فأمرني بالجلوس ثم دعا بالشراب والجواري فكان يومُنا وليلَتنا في أمر عجيب ، وغنّيتُهُ فأعجبَ بغنائي إلى أن غنَّيتُه

إنْ يَعِشْ مُـصْـعَبٌ فنحنُ بخيرٍ قـد أتانا مِن عـيْـشِنا مـا نُرَجّي

ثم تنبَّهت فقطعت الصوت فقال ما لَكَ؟ فأخذت أعتذر مِن غنائي بشعر مُصعب ، فضحك وقال لي

---

(١) رَقَى عليه عداته تقوّلوا عليه ما لم يَقُل

«إن مُصعباً قد مضى وانقطع أثرهُ ولا عداوة بيني وبينه وإنما أريد الغناء فأمضِ بالصّوت» فعدت فيه وغنَّيتُه فلم يزل يستعيدُنيه حتى أصبح فشرب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوتَ ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام ثم قلت له

«جعلني الله فداء الأمير! أنا رجل تاجر خرجتُ مع تُجّار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي»

فقال لي «أنت تغدو غداً»

وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُملت إلي وغدوت إلى أصحابي

*

غنى يونُس الكاتب من شعر لابن رُهَيْمة المدني الذي تشبب بزينب ومن بين تلك القصائد

أقصدت زينبُ قلبي ... وسَبَتْ عقلي ولُبّي
تركتني مُستهاماً ... أستغيث الله ربّي
ليس لي ذَنْبٌ إليها ... فَتُجازيني بِذَنْبي
ولها عندي ذنوبٌ ... في تَنائيها وقربي

وله أيضاً غناءٌ في زينب من شعر ابن رهيمة

يا زينب الحسناء يا زينبُ ... يا أكرمَ الناسِ إذ تُنسَبُ
تقيك نفسي حادثات الرّدى ... والأمُّ تفديك معاً والأبُ
هل لَكِ في وُدِّ أمْرِئٍ صادق ... لا يمذق[1] الوُدَّ ولا يكذبُ
لا يبتغي في وُدِّه مَحْرَماً ... هيهات منكِ العملُ الأرْيَبُ[2]

(١) مذقَ الوُدّ لم يخلص
(٢) الأريب ذو الرِّيب

ناظمو الموشحات في الأندلس

ناظمو الموشحات

من أشهر ناظمي الموشحات بالأندلس ابن باجّهْ ، والحفيد بن زُهْر ، وأبو بكر الصابوني ، وابن عبد ربّه ، وابن خفاجة ، وابن بَقّي القرطبي ، وعُبادة القزاز ، وعُبادة بن ماء السماء ، ولسان الدين بن الخطيب ، وابن زَمرك ، وأثير الدين بن حيان ، وابن مجير الإشبيلي ، ومحيي الدين بن العربي

ومن المشارقة الذين اشتهروا في تلحين الموشحات العفيف التلمساني وابنه شمس الدين المعروف بالشاب الظريف ، وابن سناء المُلك ، وشهاب الدين العَزازي ، وصفي الدين الحلّي ، وصلاح الدين الصفدي وغيرهم

ومن الملحِّنين المشارقة الشيخ زكريا أحمد ، والشيخ حسن المملوك ، وسليم الحلو ، وسيّد درويش ، وداود حسني ، وتوفيق الباشا ، والشيخ أمين الجندي وغيرهم

ومن شعراء القرن العشرين الذين نظموا الموشحات رشيد نخلة ، ووديع عقل ، ورشيد أيوب ، وسليمان البستاني ، ونزار الحر ، وخازن عبود

ابن باجَهْ

(٠٠٠ - ٥٣٣هـ)
(٠٠٠ - ١١٣٩م)

محمد بن يحيى بن باجَهْ، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي من فلاسفة الإسلام يُنسب إلى التعطيل ومذهب الحكماء وُلد في سرقسطة واستوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غرناطة ثم سرقسطة ذهب إلى فاس فاتُّهم بالإلحاد، ومات فيها، قيل مسموماً قبل سنّ الكهولة حمل عليه الفتح بن خاقان حملة شديدة وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات والفلك والطب والموسيقى شاعراً مجيداً عارفاً بالأنساب

شرح كثيراً من كتب أرسطاطاليس وألّف كُتباً ذكرها ابن أبي أصيبعة في «طبقات الأطباء» ضاع أكثرها وبقي ما ترجم منها إلى اللاتينية والعبريّة ومما بقي من كتبه «مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات» و«رسالة الوداع»

من موشحاته موشحة مطلعها

جَـــرِّ الذّيلَ أيمـــا جَـــر ... وَصِلِ الـــسُّكر منك بالسُّكْرِ

من جيد شعره

قـــومٌ إذا آنْتَـــقَـــبـــوا رأيتَ أهلَّةً ... وإذا هُمُ ســـفـــروا رأيتَ بدورا
لا يســـألونَ عن النّوالِ عُـــفـــاتَهُمْ ... شُكراً ولا يحـــمـــونَ منه نقـــيـــرا
لو أنّهم مســحـوا على جَـدْبِ الرُّبى ... بأكُـــفِّـــهم نبَتَ الأقـــاحُ نضـــيـــرا

ابن بَقّي

(٠٠٠ ـ ٥٤٠هـ)
(٠٠٠ ـ ١١٤٥م)

يحيى بن عبد الرحمن بن بقّي الأندلسي القرطبي، أبو بكر شاعر اشتهر بنظم الموشحات من أهل قرطبة تنقّلَ كثيراً في عدد من مدن الأندلس التماساً للرّزق وهو صورة للأدب الأندلسي في عصره وهو صاحب الموشح الذي أوّله

عبثَ الشّوق بقلبي فاشتكى ألمَ الوَجْدِ فَلبَّتْ أدمعي

أيُّها النّاسُ فؤادي شَغفُ
وهو من بغي الهوى لا يُنْصَفُ
كم أداريه ودمعي يَكفُ

أيها الشادن من عَلّمكا بسهامِ اللّحظ قَتْلَ السَّبُعِ

بَدْرُ تِمٍّ تحت ليلٍ أغطَشِ
طالعٌ في غُصْنِ بانٍ مُنتشِ
أهيفُ القَدِّ بِخَدٍّ أرقشِ

ساحر الطّرْفِ وكم ذا فَتَكا بقلوب الأسْد بين الأضلُعِ

ذاب قلبي في هوى ظبيٍ غريرْ
وجهه في الدَّجْنِ صُبْحٌ مستنيرْ
وفؤادي بين كفَّيْهِ أسيرْ

لم أجد للصَبرِ عنه مَسْلَكا فانتصاري بانسكابِ الأدْمُعِ

● من جيد شعره

يا أقْـتَلَ النّاسِ ألحـاظاً وأطيـبـهم
ريقـاً متى كـانَ فـيكَ الصـابُ والعَـسَلُ
في صـحن خَـدِّكَ وهو الشَّـمسُ طالعـةٌ
وَرْدٌ يزيـدُكَ فـيـه الرّاحُ والخـجَلُ
إيمـانُ حُـبِّـكَ في قلبي تُجَـدِّدُه
مِن خَـدِّكَ الكُتْبُ أو مِن لحظِكَ الرُّسُلُ

ابن حَمْديس

(٠٠٠ ـ ٥٢٧هـ)
(٠٠٠ ـ ١١٣٣م)

عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصِّقلّي ، أبو محمد شاعر مبدع وُلد وتعلم في جزيرة صقلية ، ورحل عنها إلى الأندلس سنة ٤٧١هـ فمدح المعتمد بن عباد ، فأجزل له عطاياه ، وانتقل إلى إفريقية فمدح صاحبها يحيى بن تميم الصنهاجي ثم ابنه علياً فابنه الحَسن سنة ٥١٦هـ .

توفي بجزيرة ميورقة عن نحو ثمانين عاماً له ديوان شعر وموشحات

● من موشحاته

عـــذّبتِ رِقَّـــةُ قلبي ظُلْمـــاً بِقَـــسْـــوَةِ قَلبكْ
وَسُمْت جسمي سُقماً ومـــا شَـــفَـــيْتِ بِطبِّكْ
فـــيـــا تَشَـــوُّقَ بُعـــدي إلى تَنَسُّمِ قُـــــرْبِكْ
أمـــــا ومُـــرْسِل زحفٍ يغري بتقبيلِ كُعْبِكْ[1]
ووجنةٍ غَـــمَّـــســـتـــهـــا في الوردِ صنعـــــةُ رَبِّكْ
لقـــــد جَنحت لسلمي كـــمـــا جنحتُ لحَـــرْبِكْ
فـــبـــالدّلالِ الذي زا دَ في مـــلاحـــة عُـــجْـــبِكْ
وَنَعِّـــمـــيني بِعُـــتـــبي فـــقـــد شـــقـــيتُ بِعَـــتْـــبِكْ

---

(١) الكُعب الثَّدي

● وحَنَّ وهو مقيم بالأندلس إلى مسقط رأسه فقال

أحنُّ إلى أرضي التي في تُرابها ... مفاصِلُ من أهلي بَلِينَ وأعظُمُ

كما حَنَّ في قيد الدّجى بمضَلَّةٍ ... إلى وطنٍ عَوذٌ[1] من الشّوقِ يرزمُ[2]

وقد صَفِرَتْ كَفّاي مِن رَيِّقِ الصِّبا ... ومِنِّيَ مِلآنٌ بِذكْرِ الصِّبا فَمُ

---

(١) العَوْذ الجَمل

(٢) يرزم من رزم صَوَّت

ابن خَفاجة

(٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ)
(١٠٥٨ ـ ١١٣٨م)

إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله بن خفاجة الهواري الأندلسي شاعر غزل ، من الكتاب البلغاء غلبه على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة من أهل جزيرة شقر (Alcira) من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس لم يتعرض لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله له ديوان شعر وموشحات

● من جيّد موشحاته

إنّ لـلـجَـنَّـةِ بـالأنـدلُـسِ مُـجـتَلى حُـسْنٍ وريّا نَفَسِ
فَسَنا ضَحْوتها من شنبٍ[١] ودُجى ليلتِـهـا من لَعَسِ[٢]
فـإذا مـا هَبَّتِ الرّيحُ صَـبـا صِحتُ · واشوقي إلى الأندلُسِ

● ويستحسن له قوله

أيُّ عَـيْشٍ أو غـذاء أو سِنَهْ[٣] لابنِ إحـدى وثمـانين سَنَهْ؟
قَلَّصَ الشَّيْبُ بها ظِلّ آمرئٍ طالما جَـرّ صِـبـاهُ رَسَنَهْ
تارة تـسطو به سَـيِّـئـةٌ تُسْخِنُ[٤] العينَ وأخرى حَسَنَهْ

ومن موشحاته التي اشتهرت في عصره

قُلْ للقبيح الفعال يا حَسَنا مـلأتَ جَـفْنَيَّ ظُلْمَـةً وسنا
قـاسـمني طرفُكَ الضّنى أفـلا قـاسَمَ عَـيْنَيَّ ذلك الوَسَنا
لستُ أحبُّ الجمودَ في رَجُلٍ تحـسَـبُـهُ مِن جـمـودِه وَثَنا

(١) الشنب : بياض الأسنان (٢) اللّعَس : سمرة الشفاه
(٣) سنَه نوم (٤) تُسخن العين : تُبكيها

ابن زَمْرَك

(٧٣٣ - ٧٩٣هـ)
(١٣٣٣ - ١٣٩٠م)

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصَّريحي ، أبو عبدالله المعروف بابن زَمْرك وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس مولده بروض البيازين (بغرناطة) تتلمذ للسان الدين بن الخطيب وغيره ترقّى في الأعمال الكتابية إلى أن جعله صاحب غرناطة (الغني بالله) كاتم سِرّه سنة ٧٧٣هـ ثم المتصرِّف برسالته وحجابته

نُكبَ مُدّة وأعيد إلى مكانته فأساء إلى بعض رجال الدولة ، فختمت حياته بأَن بعث إليه وليّ أمره من قتله في داره وهو رافع يديه بالمصحف ، وقتل من وُجد معه من خدّامه وبنيه .

جمع السلطان ابن الأحمر شعر ابن زمرك وموشحاته في مجلد ضخم سمّاه «البقية والمدرك من كلام ابن زمْرَك»

● من موشحاته

أبلغ لغـــرناطة السّـــلامْ وصِف لهـا عـهـديَ السّليمْ
فلو رعى طيـفُـهـا ذمـامْ مـــا بِتُّ في ليلةِ السليمْ

*

كم بتّ فـيـهـا على اقـتـراحْ أعَلُّ مِن حُـمـرةِ الرّضـابْ
أدير فـيـهـا كـؤوس راحْ قـد زانهـا الثـغـر بالحـبـابْ
أختـالُ كـالمهـرِ في الجـمـاحْ نشـوان في روضـة الشـبـابْ
أضـاحكُ الزّهر في الكِمـامْ مـبـاهيـاً روضَـهُ الوسـيمْ

وأفـضحُ الغُـصن في القـوامْ إن هبَّ مِن جَـوِّها النسـيمْ

*

لو ترجعُ الأيامُ بعـد الذهابْ لم تقدحِ الأيام ذكرى حبيبْ
وكلُّ مَن نامَ بليل الشبـابْ يوقظه الدَّهرُ بصبحِ المشيبْ
فكل من يرجو سوى الله خابْ وإنّما الفـوزُ لعبـدٍ مُنيبْ
يستقبلُ الرّجعى بصدقِ المتابْ ويرقبُ الله الشهيد الرقيبْ
والعمر قد مَرّ كمرِّ السّحابْ والملتقى بالله عمّا قريبْ
وأنت مخدوعٌ بلمعِ السّرابْ تحسبُهُ ماءً ولا تَسْتَريبْ

ابن زُهْر

(٥٠٧ - ٥٩٥هـ)
(١١١٣ - ١١٩٩م)

محمد بن عبد الملك بن زهر الأيادي ، أبو بكر ، عُرف بالحفيد بن زُهر من نوابغ الطب والأدب في الأندلس وُلد بإشبيلية وخدم دولتي الملثّمين والموحّدين لم يكن في زمنه أعلم منه بصناعة الطّب ، أخذها عن أبيه

من مؤلفاته في الطّب «الترياق الخمسيني» ورسالة في «طب العيون»

له شعر رقيق ، وموشحات انفرد في عصره بإجادة نظمها من أشهر موشحاته «ما للمُوَلّه من سكره لا يفيق» و«أيها السّاقي إليك المشتكى»

● من موشح أيها الساقي اخترت

أيهـا السّـاقي إليكَ المُشـتكى قـد دعـوناكَ وإن لم تسـمَعِ
ونـديمٍ همْـتُ في غُـرَّتِـه
وَبِشُـرْب الرّاحِ من راحَـتِـه
كُلّمـا اسْـتيـقظَ من غَـفْـوَتِه

جـذبَ الزِّقَّ إليـه وانّكى وسـقـاني أربعـاً في أربعِ

*

مـا لعـيني عَـشِـيَتْ بالنَّظَرِ
أنكرَتْ بعـدكَ ضـوء القَـمَـرِ
فـإذا مـا شـئت فاسـمع خبـري

عَـشِيَتْ عـيناي مِن طول البُكا وبكى بعضي على بعضي معي

غُضْنُ بانٍ مالَ مِن حيثُ ٱلْتَوى
باتَ من يهواهُ مِن فرط الجوى
خَفِقَ الأحشاء موهون القوى
كُلّمـــا فكَّرَ بالبَـــيْنِ بكى وَيْحَـــــهُ يبكي لما لَمْ يَقَعِ

● ومن موشح «ما للمُوَلَّه» اخترت

مـــا للمُـــوَلَّهْ من سُكرِه لا يفـــــيقْ يـا لَـهُ سكـرانْ
مِن غيـر خمـرِ مـــا للكَئـيب المشـــوقْ ينـدب الأوطـانْ

هل تُستـعـاد أيـامُـنـا بـالخـلـيـجْ ولـيـــــالـينـا
أو يُسْـتَـــفـادْ مِن النّســـــيمِ الأريجْ مِـــسك دارينا
وإذ يـــكـــادْ حُـسن المكان البـهـيجْ أن يُحـيِّـــينا

ابن زيدون

(٣٩٤ - ٤٦٣هـ)
(١٠٠٤ - ١٠٧١م)

أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي ، أبو الوليد وزير ، شاعر وكاتب من أهل قرطبة انقطع إلى ابن جَهْوَر من ملوك الطوائف بالأندلس ، فكان السّفير بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجبوا به وسخط عليه ابن جهور لأمر فحبسه ، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف ، فهرب واتّصل بالمعتضد صاحب إشبيلية فولاّه وزارته ، وفوّض إليه أمر مملكته فأقام مُبجّلاً مقرباً إلى أن توفي بإشبيلية في أيام المعتمد على الله ابن المعتضد

لُقّب بـ«بحتريّ المغرب» وهو صاحب القصيدة المشهورة «أضحى التّنائي بديلاً من تدانينا» أحب الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي وكان يزاحمه على حبها ابن عبدوس

له موشحات وقصائد رائعة وقد هجته ولاّدة عندما علمت أنه يغازل خادمتها

● من موشحاته التي تغزّل فيها بولاّدة وقد نظم الموشح بعد انتهاء زيارته لها

ودّعَ الصَّبـــرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ذائعٌ مِن سِرِّهِ ما اسْتَوْدَعكْ
يقـــرعُ السِّنَّ على أن لم يكن زادَ في تلكَ الخُطى إذ شَيَّعكْ
يا أخا البدر سناءً وسَناً حَفِظَ اللهُ زماناً أطْلَعَكْ
إن يَطُلْ بعدَكَ ليلي فَلَكمْ بِتُّ أشكو قِصَرَ اللّيْلِ مَعَكْ

● وله أيضاً

لم يَكُنْ هجرُ حبيبي عَن قِلىً ... لا ولا ذاك التَّجنّي مَلَلا
أنا راضٍ بالّذي يرضى بِهِ ... ليَ مَن لو قال مُتْ ما قُلت لا
يا فتيتَ المسْك يا شمسَ الضُّحى ... يا قضيبَ البانِ يا ظبيَ الفَلا
إن يكن لي أملٌ غير الرّضى ... منك ، لا بُلِّغْتُ ذاك الأملا

● ومن جيد شعره قصيدته «أضحى التنائي» وقد نظمها بعد ن هجرته ولأدة

أضْحى التَّنائي بديلاً من تَدانينا ... ونابَ عن طيب لُقيانا تجافينا
بِنْتُمْ وَبِنّا فما ابْتَلَّت جوانحُنا ... شوقاً إليكم ولا جَفّت مآقينا
إنَّ الزّمانَ الذي ما زال يُضحكُنا ... أنساً بِقُربِهِمُ قد عادَ يُبْكينا
غيظَ العدى مِنْ تساقينا الهوى فَدَعَوْا ... بأن نَغُضَّ فقالَ الدَّهرُ آمينا
لا تحسبوا نأيَكُمْ عنّا يُغيِّرُنا ... إذْ طال ما غيَّرَ النَّأيُ المُحبّينا

والقصيدة طويلة ينهيها الشاعر بقوله

دومي على العهد ما دُمنا مُحافظةً ... فالحرُّ مَن دان إنصافاً كما دينا
عليكِ مني سلامُ الله ما بَقِيَتْ ... صبابَةٌ منكِ نُخفيها فَتُخفينا

ابن سهل

(٦٠٥ ـ ٦٤٩هـ)
(١٢٠٨ ـ ١٢٥١م)

إبراهيم بن سهل الإشبيلي ، أبو إسحق شاعر غزل له موشحات كان يهودياً وأسْلَم تلقّى الأدب وقال الشعر فأجاده أصله من إشبيلية وسكن سبتة بالمغرب الأقصى كان مع ابن خلاص والي سبتة في زورق فانقلب بهما فغرقا له ديوان شعر

● من موشحاته التي اشتهرت

هل درى ظبيُ الحِمى أن قد حمى
قلبَ صَبٍّ حَلَّهُ من مكنِسِ[1]
فَهْوَ في حَرٍّ وخفقٍ مثل ما
لعَبت ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ
يا بدوراً أشرقت يومَ النّوى
غُرَراً[2] تَسْلُكُ بي نهجَ الغَرَرْ[3]
ما لنفسي في الهوى ذنبٌ سوى
منكُمُ الحُسنى ومِن عيني النَّظَرْ
أجْتَني اللّذاتِ مكلَومَ الجوى
والْتذاذي من حبيبي بالفكَرْ
كُلّما أشكوه وجدي بَسما
كالرُّبى بالعارض المُنْبَجِسِ

(١) المكنس ملتفّ من الأشجار تأوي إليه الغزلان .
(٢) الغُرَرُ : جمع غُرَّة أي الشَّعر في مقدمة الرأس
(٣) نهج الغَرَر طريق الضّلال

إذ يُقـــيم القَطرُ فـــيـــهـــا مـــأتماً
وهي مِن بهـجـتـــهـــا في عُـرُسِ

* * *

أيُّهـــا الســّـــائلُ عن جُـــرمي لدَيهْ
لـي جـــــزاء الذنّبِ وهـو المذنـبُ
أخـذت شـمسُ الضحى من وجنَتَـيْـهْ
مَـشْـرِقـاً للصَّبِّ فـيـه مَـغْـرِبُ
ذهَّبَ الـدّمع بأشـــواقي إلَيـــهْ
وله خَـــدٌّ بلحظي مُـــذْهَبُ[1]
ينبِتُ الوردُ بلحظي كُلّمـــــا
لاحظتْـــهُ مـــقلتي في الخُلَسِ[2]
ليتَ شِـــعـــري أيُّ شيء حـــرّمـــا
ذلكَ الورد على المُغْـــتَـــرِسِ

(١) مُذهب محمَرّ خجلاً
(٢) الخُلس أي خلسَة

ابن شُهَيْد

(٣٢٣ - ٣٩٣هـ)
(٩٣٥ - ١٠٠٣م)

عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شُهيد القرطبي، أبو مروان وزير، شاعر، من أعلام الأندلس ومؤرّخيها وندماء ملوكها وُلِد ومات في قرطبة له «تاريخ» كبير يزيد على مائة جزء مُرتباً على السنين

● من جيّد موشحاته

هاك شيخاً قادَه السُكْرُ لكا ... قام في رَقْصته مستهلكا
لم يَطق يَرْقُصها مُسْتَثبتاً ... فأنثنى يرقصها مُسْتمسكا
من وزير فيهمُ رقّاصَةٍ ... قام للسُكْرِ يناغي مَلِكا
أنا لو كنتُ كما تعرفني ... قمت إجلالاً على رأسي لكا
قَهْقَهَ الإبريقُ منّي ضاحكاً ... ورأى رَعْشَةَ رِجْلي فبكا

ابن عبد رَبِّه

(٢٤٦ - ٣٢٨هـ)
(٨٦٠ - ٩٤٠م)

أحمد بن محمد بن عبد رَبِّه ، ابن حبيب بن حُدَير بن سالم : شاعر من كبار الأدباء ، صاحب «العقد الفريد» ، له شعر كثير وموشحات وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر له ديوان «الممحّصات» وهي قصائد ومقاطيع في المواعظ والزهد نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب

أصيب بالفالج قبل وفاته بأيام

● من جيد موشحاته

هَيَّجَ البَيْنُ دواعي سقمي ... وكسا جسميَ ثوبَ الألمِ
أيُّها البَيْنُ أقلني مَرَّةً ... فإذا عُدْتُ فقد حلَّ دمي
يا خَلِيَّ الذَرعِ نَمْ في غِبْطَةٍ ... إنَّ مَن فارَقْتَهُ لم يَنَمِ
ولقد هاجَ لقلبي سقَما ... ذكْرُ مَن لو شاءَ داوى سقَمي

● ويستحسن له

يا مُجيلَ الرّوحِ في جسدي ... والذي يَفتَرُّ عن بَرَدِ
وفَريدَ الحُسنِ واحدَهُ ... مُنتهاهُ مُنتهى العَدَدِ
خُذْ بِكفّي إنني غَرِقٌ ... في بحارٍ جَمَّةِ المَدَدِ
ورياحُ الهجرِ قد هَدَمَت ... ما أقامَ الصَّبرُ من أوَدي

● ومن موشحاته التي اشتهر بها

يا لؤلؤاً يسبي العقولَ أنيقا
ورشأً بتقطيعِ القلوبِ رفيقا

مـــا إن رأيتُ ولا ســـمـــعتُ بمثله
درآ يعـــودُ من الحـــيَـــاءِ عـــقـــيـــقـــا
وإذا نظرتَ إلى مـــحـــاسنِ وجـــهـــه
أبصـــرتَ وجـــهكَ فَي سناه غَـــريقـــا
يا مَنْ تقطَّعَ خَـــصْـــرُهُ من رقَّـــة
مـــا بالُ قلبِكَ لا يكوّنُ رقـــيَـــقـــا؟!

● وله أيضاً

أعطيـــتُـــه مـــا ســـألا حَكَّمـــتُـــهُ لو عَـــدلا
وهبـــتُـــهُ روحي فـــمـــا أدري به مـــا فـــعـــلا
أسلمـــتـــه في يدهِ عَـــيَّـــشَـــهُ أم قـــتـــلا؟
قلبي له في شَـــغَـــلٍ لا مَلَّ ذاك الشَّـــغَـــلا

ابن العربي

(٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ)
(١١٦٥ ـ ١٢٤٠م)

محمد بن علي بن محمد بن العربي ، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي ، الملقب بالشيخ الأكبر شاعر ، فيلسوف ، من أئمّة المتكلمين في كل علم ولد بمرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية زار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز وأنكر عليه أهل الديار المصرية «شطحات» صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كما أريق دم الحلاّج وغيره

حُبس فسعى إلى خلاصه علي بن فتح البجائي من أهل بجاية ، فنجا واستقر بدمشق فتوفي فيها يقول الذّهبي «كان ابن العربي قدوة القائلين بوجود الوجود له نحو أربعمائة كتاب منها «الفتوحات المكية» عشرة أجزاء في التّصوُّف وعلم النفس و«تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان» و«مرآة العارفين» و«دُرر السر الخفي»

له موشحات جيدة ، منها

يا خليليَّ ألمّا بالحمى ... وٱطْلُبا نَجداً وذاك العلَما
فإذا ما جئتما وادي منىً ... فالذي قلبي به قد خَيَّما
أبلغا عني تحيات الهوى ... كلَّ مَن حَلَّ به أو سَلَّما
وٱسْمَعا ماذا يجيبونَ به ... وٱخْبِرا عن دَنف القلبِ بما
يشتيكه من صباباتِ الهوى ... مُعْلِناً مُسْتَخبِراً مُسْتَفهِما

● ومن جيد موشحاته

بأبي مَن ذُبتُ فيه كمَدا بأبي مَن مُتُّ فيه فَرَقا
حُمرَةُ الخَجْلَةِ في وَجْنَتِهِ وَضَحُ الصُّبحِ يُناغي الشَّفَقا
كُلّما ضَنَّتْ تباريح الهوى فضحَ الدَمعُ الجوى والأرقا

● وله

ليتَ شعري هل دروا أيّ قلبٍ ملكوا
وفؤادي لو درى أيّ شعبٍ سلكوا
أتراهُمْ سلموا أمْ تراهم هلكوا
حارَ أربابُ الهوى في الهوى وارتبكوا

● من أبياته التي اشتهرت

لقد صار قلبي قابلاً كُلَّ صورةٍ فمرعى لغزلانٍ ودِيرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ وألواح توراة ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحُبِّ أنّى توجَّهَتْ ركائبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني

ابن القزّاز

(٠٠٠ ـ ٥٢٧هـ)
(٠٠٠ ـ ١١٣٣م)

أبو عبدالله محمد بن عبادة القزاز ، من إقليم ألبيرة شاعر المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية وهو من ملوك الطوائف وذلك في القرن الخامس الهجري

اشتهر ابن القزّاز بنظم الموشّحات حتى بَزّ فيها موشحات ابن عبد ربّه

من أشهر موشحاته «بَدرُ تم»

● من موشح بدر تم

بـــدرُ تَـــمْ شمس ضحى غـصنُ نقـا مـــنْكُ شَمْ
مـــا أتَمْ مـا أوضحا مـا أورقـا مـــا أنَمْ
لا جَـــرَمْ مَن لَمحا قد عَشقَا قـد حُـرِمْ

● من جيد موشحاته أيضاً

بـــأبـــي ظبي حـمى تكتنفـــهُ أسْـدُ غـيلْ
مـــذهبي رشفُ لَمَى قـرقـفُـهُ سلسـبيلْ
يســـتـبي قـلـبي بما يعطفُـــهُ إذ يميـلْ

● وله أيضاً

وأغْـيـد طافَ بالكؤوسِ ضُحى وحَثَّـها والصّباحُ قد وَضَحا
والرّوض أهدى لنا شـقـائقَـهُ وآسُـهُ العَنْبَـريُّ قـد نفحا
قلنا وأينَ الأقـاحُ ، قـال لنا أوْدَعْتُهُ ثغر مَن سقى القَدَحا
فظلَّ سـاقي المُدام يجحَدُ ما قـالَ ، فَلمّا تَبسَّمَ ٱفْتَضَحا

ابن قَزْمان

(٠٠٠ ـ ٥٥٥هـ)
(٠٠٠ ـ ١١٦٠م)

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى، أبو بكر، ابن قزمان إمام الزّجالين بالأندلس له موشحات وشعر جيد وقد يُلَقّب بابن قزمان الأصغر تمييزاً له عن عمه محمد بن عبد الملك من أهل قرطبة، تناقل الناس أشعاره حتى قيل روي له ببغداد أكثر مما يُروى له بالأندلس له مؤلفات منها «إصابة الأغراض في ذكر الأعراض»

● من أزجاله الأكثر شبهاً بالموشح

صُدْ عنّي وملْني لما كان لقلبي حبيبْ
عَجَّلَ الله عليَّ في صَدّي بوصالٍ قريبْ

● وله أيضاً

لا نَسيتْ إذ زارني حبّي
وانجلى همّي وزاد كربي
قلتُ لَهْ وقتاً أخَذْ قلبي
قلْ متى تجبني، قال غداً «وغداً لناظِرِهِ قريب»

● من جيّد شعره

كثيرُ المالِ يَبذلُهُ فيفنى وقد يبقى مِنَ الذِّكرِ القليلُ
ومن غرست يداه ثمارَ جودٍ ففي ظلِّ الثناء له مَقيلُ

● ويستحسنُ له

يُمْسكُ الفارسُ رُمْحاً بيَدٍ وأنا أمْسكُ فيها قَصَبَهْ
فكلانا بَطَلٌ في حَرْبِهِ إذِ الأقْلامُ رِماحُ الكَتَبَهْ

ابن ماء السّماء

(٠٠٠ ـ ٤٢٢هـ)
(٠٠٠ ـ ١٠٣٠م)

عُبادة بن عبدالله الأنصاري ، أبو بكر ، المعروف بابن ماء السّماء رأس الشعراء في الدّولة العامرية بالأندلس ، وشاعر عصره وهو الذي أقام عماد الموشّحات وهذّب ألفاظها وأوضاعها ، واشتهر بها اشتهاراً غلب عليه له كتاب في «أخبار شعراء الأندلس» توفي بمالقة

قال ابن بسّام «كان في ذلك العصر شيخ الصناعة ، وأحكم الجماعة سلك إلى الشّعر مسلكاً سهلاً كانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ووضحوا حقيقتها غير مرموقة البرود ولا منظومة العقود فقوّم عُبادة هذا منآدها ، وقوَّم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلاّ منه ، ولا أخذت إلاّ عنه»

● من موشحات عُبادة

حبُّ المها عبادَهْ من كلِّ بسّام السِّوارِ
قمرٌ يطلع من حُسن آفاق الكمال حُسنه الإبداع

لله ذات حُسنٍ مليحةُ المُحيا
لها قوامُ غُصنٍ وشنفها[1] الثُّريا
والثغرُ حَبٌّ مُزنٍ رُضابُهُ الحُميّا
من رشفهِ سعادَهْ كأنه صرفُ العقارِ

● من جيد شعرِه

---

(١) الشنف ما علق بالأذن من الحَلي

لا تَشْكُوَنّ إذا عثَرتَ إلى صديقكَ سوءَ حالِكْ
فَيريكَ أنواعاً مِن الإذلالِ لم تخطر ببالِكْ
إياك أن تدري يمينكَ ما يدور على شمالِكْ
وآصْبر على نُوَبِ الزمانِ وإن رَمَتْ بك في المهالِكْ
وإلى الذي أغنى وأفنى اضرع وسَلْهُ صلاحَ حالِكْ

ابن مُجير

(٥٣٥ ـ ٥٨٨هـ)
(١١٤٠ ـ ١١٩٢م)

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهري، أبو بكر شاعر المغرب في وقته عالي الطبقة من أهل بَلّش بمالقة بالأندلس (تُسمّى اليوم Velez Malaga) نزل بمراكش واتصل بالملوك والأمراء، وله فيهم شعر كثير قال الضبي رأيت شعرَه مجموعاً في سفْرَيْنِ ضخمين له موشحات

● من موشحاته

أتراهُ يتـــــركُ الغَـــــزَلا ... وعليــه شَبَّ وأكْـتَـهـلا
كَلِفٌ بالغـيـد مـا عـقلت ... نفـسـه السلوانَ مُـذ عَـقَـلا
غـيـر راضٍ عن سجـيّـة مَن ... ذاق طعـمَ الحُبِّ ثم سـلا
أيُّهـا اللّوام ويحكـمُ ... إنّ لي عن لومِكُمْ شُـغُـلا
غـادة لما مـثلتُ لهـا ... تركـتني في الهـوى مَـثَـلا
أعـرضت دلاً فـإذ فطنت ... بلوعـتي أعـرضت خـجَـلا

● من جيّد شعره

بي رَشَـأٌ وَسْنانُ مـهـمـا ... آنثنى حـارَ قـضـيبُ البـانِ في قَـدِّه
مُـذْ وليَ الحُـسنَ وسلطانَهُ ... صـارت قلوبُ الناسِ من جُنده
أودعَ فـي وجـنـتـيـه زهـرةً ... كـأنهـا تجـزعُ من صَـدّه
وقـد تفـاءلتُ على فِـعْلِه ... أنّي أرى خـدي على خـدّه

أبو بكر الأبيض

(٠٠٠ ـ نحو ٥٢٥ - ٥٣٠ هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ١١٣١ - ١١٣٦م)

أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي الأبيض شاعر أندلسي كان معاصراً لابن باجّه اشتهر بنظم الموشحات من أشهر موشحاته

مـــا لَذَّ لي شُـــرْبُ راحِ علـى رِياض الأقـــــاحِ
لولا هضِـــيمُ الوشـــاحِ إذا انثنى في الصّـــبـــاحِ
أو في الأصـيلْ
أضـحى يقـولْ
مـا للشّـمـول لطمتُ خـدي وللشَّـمـالْ
هَـــبَّـــتْ فـــمـــالْ غصن اعتدالْ
ضـمَّـهُ بُردي
صَبٌّ عـليـل لا يـسـتـحـيل فـيـه عـهـدي
ولا يـــزال في كل حـال يرجـو الوِصـالْ
وهو في الصَّـدِّ

أبو حيّان الغرناطي

(٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ)
(١٢٥٦ ـ ١٣٤٤م)

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الأندلسي الجياني النِّفزي ، أثير الدين ، أبو حيّان من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات وُلد في إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة ، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة ، وتوفي فيها بعد أن كُفّ بصره

له عشرات المصنّفات منها «البحر المحيط» في تفسير القرآن (ثمانية أجزاء) و«مجاني العصر» في تراجم رجال عصره ، و«عقد اللآلي» في القراءات

له شعر جيد وموشحات

● من موشحاته التي اشتهرت

إن كـــان لـيـلٌ داجْ وخـاننا الإصـبـاحْ
فـنـورهـا الـوهّـاجْ يُغني عن المصباحْ
سـلافـةٌ تـبـدو كـالكوكبِ الأزْهَرْ
مـزاجـهـا شـهـدُ وعَـرْفُـهـا عَنْبَـرْ
يا حـبـذا الـوِردُ منهـا وإن أسْكَرْ

● وله موشح عارض فيه ابن العفيف التلمساني ومطلعه

عـاذلي في الأهيفِ الأنسِ لو رآهُ كـان قـد عـذرا
رشـأٌ قـد زانَهُ الحَـوَرُ غُـصُنٌ من فـوقِـه قَـمَـرُ
قـمـرٌ في سُـحْـبِـه الشَّـعَـرُ ثَغَـرٌ في فـيـه أم دُرَرُ
جـالَ بينَ الدُّرِّ واللَّعَسِ خـمـرةٌ مَن ذاقـهـا سكِرا

أبو الصَّلْت الدّاني

(٤٦٠ ـ ٥٢٩هـ)
(١٠٦٨ ـ ١١٣٥م)

أميّة بن عبد العزيز الأندلسي الداني ، أبو الصّلت شاعر ، أديب ، اشتهر بالطّب من أهل دانية بالأندلس وُلد فيها ، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاماً ، سجن في خلالها ، ونفاه الأفضل شاهنشاه منها فرحل إلى الإسكندرية ثم انتقل إلى المهدية (من أعمال المغرب) فاتصل بأميرها يحيى بن تميم الصنهاجي وابنه علي فالحسن بن يحيى آخر ملوك الصّنهاجيّين بها ومات فيها

من مؤلفاته «الحديقة» على أسلوب يتيمة الدهر و«رسالة العمل بالأسطرلاب» و«الوجيز» في علم الهيئة و«الأدوية المفردَة» و«تقويم الذهن» في علم المنطق له شعر فيه رقة وجودة وموشحات

● من موشحاته

نفسي الفداء لمُطمعٍ لي مؤنسِ ... غَرِيت لواحظُه بقتلِ الأنفُسِ
ما ضَرَّ مَن كَمُلَتْ محاسنُ وجهه ... لو كان يُحسِنُ في الصَّنيع كما يُسي
رشأٌ جعلتُ له ضلوعي مرتَعاً ... ومدامعي ورداً فلمْ يتأنَّسِ
وكتمتُ سر هواه خيفةَ كاشحٍ ... مُتَرَقِّبٍ لحديثنا مُتجَسِّسِ
فوشى به دمعي ولم أرَ واشياً ... كالدّمعِ يُعْرِبُ عن لسانٍ أخرسِ

● وله في الغزل

جَدّ بقلبي وعبثْ ... ثم مضى وما اكْتَرثْ
واحزني من شادنٍ ... في عُقَد الصَّبر نَفَثْ
يقتُلُ مَن شاء بعَينيه وَمَنْ شاءَ بَعَثْ
فأيّ وُدٍّ لم يخنْ ... وأيّ عهدٍ ما نَكَثْ؟!

الرُّصافي الرَّفّاء

(٠٠٠ ـ ٥٧٢ هـ)
(٠٠٠ ـ١١٧٧م)

محمد بن غالب الرّفاء الرّصافي ، أبو عبدالله شاعر وقته في الأندلس أصله من رصافة بلنسية وإليها نسبته كان يرفأ الثياب ترفّعاً من التّكَسُّب بشعره

عَرّفه صاحب «المعجب» بالوزير الكاتب أقام مدّة بغرناطة وسكن مالقة وتوفي بها له ديوان شعر اشتهر بالموشحات

● من جيد موشحاته

قيلَ لي قد تَبَدَّلا فاسْلُ عنهُ كما سلا
لكَ سمعٌ ونَاظرٌ وفؤادٌ ، فقلتُ : لا
قيلَ غالٍ وصالُهُ قلتُ لمّا غلا حلا
أيها العاذلُ الذي بعذابي تَوكّلا
عُدْ صحيحاً مُسَلّماً لا تُعَيِّرْ فَتُبتَلى

● ويستحسن له

شَكَوْتُ إليه بِفَرْط الدَّنفْ فأنكَرَ من قِصّتي ما عَرَفْ
فجئنا إلى الحاكمِ الأَلْمَعي قاضي المجونِ وشيخِ الظَّرَفْ
وكان بصيراً بشرعِ الهوى ويعلم من أينَ أكْلُ الكَتِفْ
فقلتُ له أقْضِ ما بيننا فقال «الشّهود على ما تَصِفْ»
فقلت له «شهدتْ أدمعي» فقال «إذا شَهِدَتْ تَتَصَفْ»

إلى أن يقول :

فلمّـــا رآه حـــبـــيـــبي مـــعي[1] ولم يخـــتلفْ بيننا مـــخـــتلفْ
أزالَ العنادَ فـــعـــانقـــتُـــهُ كـــأنّيَ لامٌ وَحـــبّي[2] ألفْ
وظِلتُ أعـــاتِبُـــهُ في الجـــفـــا فـقـال «عـفـا اللهُ عـمّـا سَلَفْ»[3]

(١) يعني فلما رأى القاضي حبيبي معي وقف بجانبي ولم يردّ شهودي
(٢) الحبّ الحبيب
(٣) عفَا الله عما سلف من القرآن الكريم سورة المائدة ٥ ٩٥

الطُّرْطوشي

(٤٥١ ـ ٥٢٠هـ)
(١٠٥٩ ـ ١٢٢٦م)

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أبو بكر ، ويقال له ابن أبي رندقة أديب ، شاعر ، من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشه (Tortosa) بشرقي الأندلس تفقَّه ببلاده رحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ فحجّ وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان وأقام مدة بالشام وسكن الإسكندرية فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن مات

كان زاهداً لم يتشبَّث من الدُّنيا بشيء له مؤلفات منها «سراج الملوك» و«التعليقة» في الخلافيات ، خمسة أجزاء ، و«برّ الوالدين»

● من موشحاته

إنّ لله عـــبـــاداً فُطُنـا طَلّقوا الدُّنيا وخافوا الفتَنا
فكّروا فيها فلمّا علموا أنها ليستْ لحَيٍّ وَطَنا
جعلوها لُجَّةً واتَّخذوا صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

● ويستحسن له

يقولون «ثكْلى» ومَن لم يَذُقْ فراقَ الأحبَّة لم يَثْكَلِ
لقد جَرّعتني ليالي الفرا قِ كؤوساً أمَرَّ من الحنظَلِ

الطُّليق المرواني

(٠٠٠ ـ نحو ٤٠٠هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ١٠١٠م)

مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، الأموي من أمراء بني أميّة بالأندلس شاعر نظم أكثر شعره في السجن عندما سجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر وهو في السادسة عشرة من عمره ومكث سجيناً ست عشرة سنة وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة عُرف بالطّليق بعد خروجه من السجن قال ابن حزم له شعر وتشبيه حسن وله موشحات

قيل إن سبب سجنه أنه كان يعشق جارية ربّاها أبوه معه ثم استأثر بها أبوه ، فاشتدت غيرته وقَتَل أباه

● من جيد موشحاته

رُبَّ كأس قد كَسَت جنحَ الدّجى ثوبَ نورٍ من سناها أشْرَقا
بتُّ أسقيها رشاً في طرفه سِنَةٌ[1] تورِثُ عيني أرَقا
خَفيتْ للعين حتى خلتُها تَتَّقي من لحظه ما يُتَّقى
أشرقتْ في ناصعٍ من كَفِّه كشعاعِ الشّمسِ لاقى الفَلَقا[2]
وكأنّ الكأسَ في أنمُلِه صفرةُ النَّرجسِ تعلو الوَرِقا[3]
وإذا ما غَربَتْ في فَمِهِ تركت في الخَدّ منْهُ شَفَقا

(١) سِنَة النعاس ، النوم
(٢) الفَلق الصبح
(٣) الوَرِق الفضة

● ويستحسن له :

ودَّعتُ مَن أهوى أصـــيـــلاً ليـــتني
ذُقتُ الحـــمـــامَ ولا أذوقُ نـواهُ
فـوجـدتُ حـتى الشـّمسَ تشكو وَجـدَهُ
والوُرْق[1] تندبُ شـــجـــوَها بـهـــواهُ
مـــا الرّوضُ قـــد مُـــزِجت به أنداؤهُ
سَـــحَـــراً بأطيبَ من شـــذا ذكـــراهُ
الزّهرُ مـبـسِـمُـهُ ونكْهَـتُـهُ الصّـبـا
والوردُ أخـــضَلهُ الـندى خَـــدّاهُ
فـلـذاك أولَعُ بـالـريّـاضِ لأنّـهـــا
أبـداً تـذكّـــرنـي بمـن أهـواهُ

(١) الوُرْق الحَمام

عبد العزيز بن أرْقَم

(٠٠٠ ـ نحو ٤٨٥هـ)
(٠٠٠ ـ نحو ١٠٩٢م)

عبد العزيز بن محمد بن أرقم ، أبو الأصبغ النميري وزير ، أديب ، شاعر أندلسي من أهل وادي آش (Guadix) سكن ألمرية ، وتأدّب في غرناطة وقرطبة استوزره الخليفة المعتصم

توفي في إمارة المعتمد من مؤلفاته «عقاب المتسوّر» ، و«الأنوار في ضروب من الأشعار» له موشحات

● من موشحاته

نَشَـــرت عليك مِن النّعـــيمِ جَناحـــا
خـضـــراءُ صَيَّـرَت الصّبـــاحَ وِشـــاحـــا
تحكي بخـــفقِ قلب مَن عـــادَيتَـــهُ
مـهـمـا تصـافَحَ صـفـحُـهـا الأرواحـا
ضَـــمِنَت لك النعـــمى برأي ظافـــر
فَـتَـــرقَّبِ الفـــألَ المُشـــيـــرَ نجـــاحـــا

● وله أيضاً موشح مطلعه

مَبْسِمُ البهرمانْ في المُحيّا الدُّري
صـــادَ قلبي وبان
وأنـــا لـــم أدرِ

لسان الدين بن الخطيب

(٧١٣ ـ ٧٧٦هـ)
(١٣١٣ ـ ١٣٧٤م)

محمد بن عبدالله بن سعيد السّلماني اللّوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي أبو عبدالله ، الشهير بلسان الدين بن الخطيب شاعر ، وزير ، مؤرخ وأديب نبيل كان أسلافه يُعرفون ببني الوزير وُلد ونشأ بغرناطة واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٣٣هـ ثم ابنه «الغني بالله» محمد من بعده

شَعَر بسعي حاسديه في الوشاية به ، فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي المريني برغبته في الرّحلة إليه وترك الأندلس خلسةً إلى جبل طارق ومنه إلى سبتة فتلمسان سنة ٧٧٣هـ وكان السلطان عبد العزيز بها فبالغ في إكرامه وأرسل سفيراً من لدنه إلى غرناطة بطلب أهله وَوُلده فجاؤوا مُكرهين واستقر بفاس القديمة واشترى ضياعاً وحُفظت عليه رسومه السلطانية

ومات عبد العزيز ، وخلفه ابنه السّعيد بالله لكنه خُلِع فتولى المغرب السلطان «المستنصر» أحمد بن إبراهيم وساعده «الغني بالله» صاحب غرناطة مشترطاً عليه شروطاً منها تسليم ابن الخطيب فقبض عليه المستنصر وكتب بذلك إلى «الغنّي بالله» فأرسل وزيره ابن زمرك إلى فاس فعقد فيها مجلس الشورى ، وأحضر ابن الخطيب ووُجّهت إليه تهمة «الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة» فأفتى بعض الفقهاء بقتله فأعيد إلى السجن

وَدَسَّ له رئيس الشورى سليمان بن داود بعض الأوغاد من حاشيته

(كما يقول المؤرخ السلاوي) فدخلوا عليه السّجن ليلاً وخنقوه ثم دفن في مقبرة «باب المحروق» بفاس

كان يُلَقّب بذي الوزارتين القلم والسّيف، ويقال له «ذو العُمرين» لانشغاله بالتصنيف ليلاً، وبتدبير المملكة نهاراً له من المؤلفات حوالى ستين كتاباً

● من أشهر موشحاته

جادَك الغيثُ إذا الغيثُ همى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلُسِ
لم يكن وصلكَ إلا حُلُما ... في الكرى أو خِلسَةَ المُختَلِسِ

* * *

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى ... بالدُّجى لولا شموسُ الغُرَرِ
مالَ نجمُ الكأسِ فيها وهوى ... مستقيمَ السَّيرِ سعد الأثرِ
وَطَرٌ ما فيه من عيبٍ سوى ... أنه مَرَّ كلَمْحِ البَصَرِ
غارت الشُّهبُ بنا أو ربّما ... أثَّرت فينا عيون النّرجسِ

إلى أن يقول

وبقلبي منكُمُ مُقتربُ ... بأحاديث المُنى وهو بعيدْ
قمرٌ أطلع منه المغربُ ... شقوة المُغْرى به وهو سعيدْ
قد تساوى مُحسِنٌ أو مُذنبُ ... في هواهُ بين وعْدٍ ووعيدْ
ساحر المقلَة معسول اللّمى ... جالَ في النّفس مجالَ النَّفَسِ
سدَّدَ السَّهْمَ فأصمى إذ رمى ... ففؤادي نُهبةُ المُفترِسِ

من شعراء الموشحات بصقلّية
في أثناء الفتح العربي

عيسى بن عبد المنعم

(٠٠٠ - ٠٠٠)
(٠٠٠ - ٠٠٠)

عيسى بن عبد المنعم الصّقلي الفقيه ، أبو موسى شاعر من أهل صقلية فقيه له شعر وموشحات وهو والد الشاعر محمد بن عيسى

● من موشحاته

يا بني الأصْـــفَـــرِ أنتمْ بدمي ... منكمُ القــاتلُ لي والمُســتَـبـيحْ
أمليحٌ هجـــرُ مَن يهـــواكُمُ ... وحـــلالٌ ذاك في دينِ المســيحْ؟
يا عليلَ الطَّرْف من غـــير ضَنى ... وإذا لاحظ قلبــاً فــصــحــيحْ
كُلُّ شيءٍ بعـــدمـــا أبصـــرتكم ... من صنوف الحُسنِ في عيني قبيحْ

● وله في الغزل

يا أملحَ النّاسِ وجـــهــاً ... جــاوزت في الحُـــسنِ حــدَّكْ
للغُـــصْنِ منك انعطافٌ ... يكادُ يشـــبِـــهُ قَـــدَّكْ
قـــد كـــان قلبي عندي ... والآن أصـــبحَ عـنْدَكْ
وكنتُ من قـــبلُ حُـــرّاً ... فـهـا أنا صـرتُ عَـبْـدَكْ

محمد بن عيسى

(٠٠٠ - ٠٠٠)
(٠٠٠ - ٠٠٠)

محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصِّقلّي الفقيه شاعر مبدع مهندسٌ منجّم له شعر وموشحات جيدة من الشعراء العرب في صقلية

● من جيد موشحاته

بأبي ظَبْيٍ مليحٍ فائقِ ... بابِليّ اللّحظِ غُصْنيّ القوامْ
عسليّ الرّيقِ خمري الهوى ... لؤلؤي الثّغرِ درّي الكلامْ
إنْ تثنّى ماسَ غُصناً في نَقا ... أو تبدّى لاح بدراً في تمامْ
حرتُ إذ نادمني من وجهه ... دعوة تَمّت بروضٍ ومُدامْ
وخشيتُ البَيْن إذ ودّعني ... فانثنى يومُ وداعي بالسَّلامْ

● وله في الغزل

مولايَ يا نورَ قلبي ... ونورَ كلِّ القلوبِ
أما ترى ما بجسمي ... مِن رقّةٍ وشحوبِ
وما بداخلِ قلبي ... مِن لوْعةٍ ووجيبِ
فَلِمْ بخلتَ بوصلي ... ولَيس لي من ذنوبِ
مولايَ إن ذبتُ عشقاً ... فليس ذا بعجيبِ

محمد بن قاسم اللّخمي

(٠٠٠ - ٠٠٠)
(٠٠٠ - ٠٠٠)

محمد بن قاسم بن زيد اللّخمي ، أبو عبدالله قاض ، كاتب ، شاعر من أهل صقليّة له شعر وموشحات جيدة اشتهر بنزاهته

● من جيد موشحاته

أيُّهـا المُهـدي لِعَـيْني السَّـهَـرا ... كـانَ وجـدي بك مـقـدوراً جـرى
لـم أكنْ أعلـمُ مـا عُلِّمْـتـهُ ... مِن هواكَ اليـوم إلاّ خَـبَـرا
رَبِّ لا حـولَ ولا قـوةَ لي ... صِـرتُ بعـدَ البينِ أقـفـو الأثرا
عـاذلي مـهـلاً فـمـا العُـذْرُ على ... عـاشقٍ مـثلي حـديث يُفـتَـرى
أنت لا تـأسى فـدعني والأسى ... أشـتـفي منه وأقـضي الوَطَرا
إنّ أوفى النّاسِ حُـبّـاً كَلِفٌ ... ظَلَّ فـيـه بالأسى مُـشـتَـهِـرا
فـعـصى العـاذلَ فـيـمـا قـد نهى ... وأطاعَ الشّـوقَ فـيـمـا أمـرا

● ويستحسن له في النسيب

يا عـذبةَ الرّيق عـودي بعضَ مـرضـاكِ
وعَـلِّـلـيـه بـرشـفٍ من ثـنـايـاكِ
قـد حـاربتـهُ اللّيـالي فـيك جـاهِدة
فـصـارَ من حـيث مـا يرجـوك يخـشـاكِ

الموشحات في المشرق العربي

الوشّاحون المشارقة

قال الدكتور جودت الركابي إن ابن سناء المُلك هو «أول من أدخل فن الموشحات الأندلسية إلى المشرق» ويقول ابن سناء المُلك في كتابه «دار الطّراز» كنت في طليعة العمر وفي رعيل السّن عندما همت بالموشحات عشقاً وشغفاً»

لكن الدكتور شوقي ضيف يقول ربما كان أول من نقل الموشحات إلى المصريين أبو الصَّلت أميّة بن عبد العزيز

ومن قُدامى الوشّاحين المشارقة أبو الفتح عثمان بن عيسى البُلَيْطي المتوفى سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وله موشح ، مطلعه

ويـــــلاهُ مـــــن روّاغْ بِجَـــــوْره يقـــــضي
ظـــبـــيُ بـــنـــي يـــزدادْ مـنه الجـــفـــا حَظّي
قـــــد زادَ وســـــواسي مُـــذ زادَ في الـتّـــيـــه
لـــم يـــلـــقَ فـــي الـــنـــاسِ مـــا أنـا لاقـــيـــه
مـن قـــيّمٍ قـــاسي بالـهـــجـــر يغـــريه
أرومُ إيـــنـــاســـي بـه ويـثـنـيـــــه

ابن سناء المُلك

(٥٤٥ ـ ٦٠٨هـ)
(١١٥٠ ـ ١٢١٢م)

هبة الله بن جعفر بن سناء المُلك أبي عبدالله محمد بن هبة الله السَّعْدي ، أبو القاسم ، القاضي السّعيد شاعر من النبلاء مصري المولد والوفاة كان وافر الفضل رحب النادي جيد الشِّعر بديع الإنشاد

كتب في ديوان الإنشاء بمصر مُدّة من مؤلفاته «دار الطّراز» في عمل الموشحات و«ديوان شعر» و«روح الحيوان» اختصر به كتاب الحيوان للجاحظ

● من موشّحاته

الراحُ في الزجاجة أعارها خدّ النَّديم حمرةَ الورد
واستوهب نسيمه فهيّجت نشر العبير مع شذا الندِّ

ما همتُ بالحُميّا إلاّ وقد سقتني
مليحة المُحيّا مليحة التثنّي
والحسنُ قد تهيّا فيها بلا تأنٍّ

أذكى بها سراجه رأيت في الليل البهيم شعلة الزّند
لو أنها عليمة تاهت على البدر المنير وهو في السَّعدِ

إنّ الي أُلام فيها على غرامي
لِقدِّها قوام كالغصن في القوامِ
لِثغرها نظام كالعقد في النظامِ

*

● من جيّد شعره

سـواي يخاف الدّهرَ أو يَرهَبُ الرّدى ... وغـيـريَ يهـوى أن يكون مُـخلّدا
ولـكـنـني لا أرهـبُ الدّهـر إن سطـا ... ولا أحـــذر الموتَ الزُّؤامَ إذا عـــدا
وأظـمـــــأ إن أبـدى لي المـاءُ مِنَّةً ... ولو كـــان لي نهـرُ المجـرّةِ مـوردِا

ابن المَغْرِبي

(٠٠٠ ـ ٦٨٤هـ)
(٠٠٠ ـ ١٢٨٥م)

علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر المَغربي البغدادي ، تقي الدين شاعر مغربي الأصل نشأ وتوفي ببغداد كان من أظرف الناس وأخفهم روحاً له ديوان شعر

● من موشحاته

الـوقـتُ يـا نـديمـي قـد طاب وٱعْـتَـدَلْ
والشّـمسُ مـذ ليـالي قـد حَلَّت الحَـمَلْ
فـٱنهض إلى الحُـمـيّـا واستنهض الصحابْ
فـالبـدرُ والثـريا الكاس والحـبـابْ
والوقتُ قـد تهـيّـا ومـجلس الشـرابْ

● اشتهر بقصيدته «الدَّبدبيّة» وهي طويلة ذكر فيها الفنون ومطلعها

أي دَبْـدَبَـهْ تَـدَبـدَبـي أنـا عـلي بـنُ المغـربي
تـأدّبـي ويـحـك فـي حَقِّ أمـيـرِ الأدبِ
وأنـت يـا سـناجـقي يـوم الـوغـى تـرتّـبـي
وأنت يا عـاكـري يـومَ الـلّـقـا تـأهَّـبـي
أنـا الـذي كـل المـلـو ك ليس تخـشى غـضـبي
وأشـربُ الماء ولا أرَدّ مـاءَ الـعـنَـبِ

ابن الوَكيل

(٦٦٥ ـ ٧١٦هـ)
(١٢٦٧ ـ ١٣١٧م)

محمد بن عمر بن مكّي ، أبو عبدالله (ابن المرحل) المعروف بابن الوكيل شاعر ، له موشحات ، من العلماء بالفقه ولد بدمياط (مصر) وانتقل مع أبيه إلى دمشق فنشأ فيها وأقام مدة في حلب توفي بالقاهرة كانت له ذاكرة عجيبة حفظ المقامات للحريري في خمسين يوماً ، وديوان المتنبيّ في أسبوع ولي مشيخة «دار الحديث الأشرفية» بدمشق سبع سنين صنّف عدة كتب منها «الأشباه والنظائر» في فقه الشافعية وديوان شعر «طراز الدار»

● من أشهر موشّحاته

ما أخجلَ قدُّه غصون البانْ بين الورق
إلا سلب المها مع الغزلانْ حُسنَ الحدقِ
قاسوا غلطاً مَن حازَ حُسنَ البَشَرِ
بالبدرِ يلوح في دياجي الشَّعَرِ
لا كيدٌ ولا كرامةٌ للقَمَرِ

الحبُّ جمالُهُ مدى الأزمانْ معناه بقي
وازداد سناً وخُص بالنقصانْ بدرُ الأُفُقِ
الصِّحةُ والسِّقامُ في مُقلَتِه
والجنّةُ والجحيمُ في وَجْنَتِه
مَن شاهدَه يقولُ من دَهْشَتِه

هذا وأبيك فر منْ رضوان تحتَ الغَسَقِ
للأرض يعيذهُ منَ الشيطانِ ربُّ الفَلَقِ

● ويستحسن له موشح

صـــاحِ صـــاحَ الهَـــزارْ قُـــمْ نَـحُـــثّ الـكـؤوسْ
قـــد تجلّى النـهـــارْ فـأجْلُ بنتَ القـــوس
مـــا علـينـا جُنـاحْ إنَّ فـــصلَ المصـــيفْ
قـــد تـولّـى وراحْ وتـولّـى الخـــريفْ
قُـمْ فـــذاتُ الجَـناحْ ذاتُ رمـــزٍ لـطـيفْ

جمال الدين الشاعر

(٦٩٣ ـ ٧٥٠هـ)
(١٢٩٤ ـ ١٣٤٩م)

يوسف بن سليمان بن أبي الحسين بن إبراهيم، جمال الدين فقيه، أديب، شاعر، صوفي شافعي ولد بنابلس (فلسطين) ونشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين اليمني، والنحو على الشيخ نجم الدين القحفازي أدى فريضة الحج سنة ٧٢٣ و٧٤٧هـ. له موشحات

● من جيد موشحاته

أسَرَ الفؤادَ ودمعَ عيني أطلقا
والوجدُ جَدَّدَهَ وصبري مَزَّقا
كملت محاسنُهُ فلو أهدى السّنا
للبدْر عندَ كماله ما أشْرَقا
يا فاتِر الأجفان أحْرَقتَ الحشا
منّي فمُتُّ صَبابَةً وتَشَوُّقا
يمضي الزمانُ وما أزور دياركمْ
من خشية الرُّقباء عند المُلتقى
وأريدُ أسبَحُ في الدموعِ عَليكُمُ
فأخافُ مِن صلفِ الهوى أن أغْرَقا

● من موشحاته

زائرٌ بالخيالْ زائلٌ عن قربي
باهرٌ بالجمال ناهرٌ بالعَجَبِ
أي غُصْنٍ نضيرْ نزهةٌ للنَّظَرِ
لحظ عيني خفيرْ منهُ وردُ الخَفَرِ
ساحرٌ بالدلالْ ساخرٌ بالصَّبِّ
فائق بالكمالْ لائقٌ بالحُبِّ

خليل مردم بك

(١٣١٦ ـ ١٣٧٩هـ)
(١٨٩٥ ـ ١٩٥٩م)

خليل أحمد مختار مردم بك وزير، شاعر سوري نشأ في بيت كريم قرأ التفسير والحديث وأصول الفقه على كبار علماء دمشق، له شعر جيد في الغزل ووصف الطبيعة خلا شعره من الهجاء والمجون والعبث واللهو ووصف اللّذات الحسّية عُيّن وزيراً للمعارف سنة ١٩٤٢م، انتخب أميناً للمجمع العلمي العربي بدمشق وعام ١٩٥٣ اختير وزيراً للخارجية، وفي العام نفسه انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي نظم النشيد الوطني السوري «حماة الديار عليكم سلام» له موشحات

● من موشحاته موشح «الرّقص»

نُفخَ الصّورُ فهبوا مُسرعين مثلَما نَفَّرتَ طيراً بالصَّفيرِ
وعلى الصّهباء كانوا عاكفين من رأى سربَ مها حول غديرِ

***

كُلُّ إلْفَيْنِ انضوى شملهما أقبلا فاعتنقا أيّ ٱعْتناقْ
لو صبَبْتَ الماءَ ما بينهما لم يكدْ يَخْلُصُ من فضلِ ٱعْتلاقْ
ودنا الخدّانِ من بعضهما حينما الجيدانِ همّا بالتّلاقْ
رقصا شتى ضُروب وفنون من دبيب خَافتَ أو ذي صريرِ
بينما عَوْمُهما عَوْمُ السَّفين إذ هما بالحَجْلِ كالطَّيرِ الكسيرِ

● وله أيضاً موشح «سكران وسكرى» ومطلعه

لو رأيتَ الكأس والوجْهَ الصّبيحا
لم تلمْ في الرّاحِ من يعصى النّصيحا

تركت في كأسها لي قبلَةً
طابتِ الرّاحُ بها طَعْماً وريحا

الشَّطّي

(١٢٥٦ ـ ١٢٩٥هـ)
(١٨٤٠ ـ ١٨٧٨م)

عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشّطي الحنبلي الدمشقي البغدادي الأصل الكرخيّ النّسب دمشقي المولد والوفاة كان إمام الحنابلة في الجامع الأموي له ديوان شعر وموشحات ورسائل

● من موشحاته موشح في دمشق

كم غـياضٍ[١] مَعْ رياضٍ حَوْلها ... وبساتين زَهَت بالنَّيربَيْنْ[٢]
وقصورٍ عاليات كم لها ... وعيون[٣] فائقات كل عَيْنْ
وسرورٍ وحبورٍ حولها ... تجمع الشَّملَ الذي من بَعْدِ بَيْنْ[٤]
طالما قَضَّيتُ عمري سلفاً ... بين أحباب وشهمٍ فَطِنِ
حينما قد كنتُ صَبّاً دَنِفاً ... خالِيَ الأفكارِ في عيشٍ هَنِي

---

(١) الغياض جمع غيضة أرض كثيرة الأشجار
(٢) النيربين متنزّه قرب ربوة دمشق
(٣) عيون جمع عين نبع الماء
(٤) البين الفراق والبعاد

شمس الدين التِّلْمِساني

(٦٦١ ـ ٦٨٨هـ)
(١٢٦٣ ـ ١٢٨٩م)

محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله التّلمساني ، شمس الدين ، المعروف بالشاب الظريف ، ويقال له ابن العفيف شاعر مترقق ، مقبول الشعر وهو ابن الشاعر عفيف الدين التلمساني وُلد بالقاهرة لما كان أبوه صوفياً فيها ولي عمالة الخزانة بدمشق ، وتوفي بها

له ديوان شعر و«مقامات العشاق»

● من جيد موشحاته

بدرٌ عن الوصل في الهوى عَدَلا ما لي عنه إن جارَ أو عَدَلا
مُتَرّك اللّحظ لفظُهُ خَنِثُ
إليه تصبو الحشا وتنبعثُ
أشكو إليه وليس يكترِثُ
لا تعجبوا أن غدوتُ محتملا لكنّ قلبيَ إن كان عنه سلا
بالحُسنِ كُلَّ النفوسِ قد نَهَبا
والحزنِ كلَّ القلوبِ قد وَهَبا
شمسٌ ولكنّني لديه هَبا
فانظروا لذاك القوامِ كيف جلا غُصْنٌ وكم بالجمالِ عنهُ جَلا

الشهاب العَزازي

(٦٢٧ ـ ٧١٠هـ)
(١٢٣٠ ـ ١٣١٠م)

أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع ، شهاب الدين العزازي شاعر مصري كان بزازاً في القاهرة بقيسارية جركس له موشحات وألغاز وديوان شعر غير كامل مدح النبي (ﷺ) بعدة قصائد

● من موشحاته

كأس رويّهْ جلا علينا النّديمُ أمْ سنا مصْباحْ
أم شمسُ حُسْنٍ قد توّجتها النجومُ في سما الأفراحْ
هات الكؤوسا ممزوجة بالرّضاب من ثناياكا
واخطَب عروسا تروقُ تحت الحباب كَسجاياكا
وآدْعُ الجليسا لمجلسٍ وشراب مثل ريّاكا

● ويستجاد له

يا راشقَ القلب منّي أصبْتَ فاكفف سهامَكْ
ويا كثير التَّجَنّي منعتَ عني سلامَكْ
وخُنتَ ذمّةَ صَبٍّ ما خان قطّ ذمامَكْ
فأرْدُدْ علي منامي فلا عدمتَ منامَكْ
يا خدَّه ما أُحَيْلى للعاشقين ألْتثامَكْ

صَفِيُّ الدين الحِلّي

(٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ)
(١٢٧٨ ـ ١٣٤٩م)

عبد العزيز بن سرايا بن عليّ بن أبي القاسم السّنبسي الطائي شاعر عصره وُلد ونشأ في الحلة بين الكوفة وبغداد ، واشتغل بالتجارة كان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق تقرّب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له العطاء

رحل إلى القاهرة سنة ٧٢٦هـ فمدح السلطان الملك الناصر توفي ببغداد له ديوان شعر وموشحات

من مؤلفاته «العاطل الحالي» رسالة في الزجل والموالي و«الأغلاطي» معم للأغلاط اللغوية و«صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء»

● من موشحاته

أهوى قمراً هويتُ عينيه وفاهْ ما أكثر حسنه وإن قَلَّ وفاهْ
والعاذل يغري فيه إن لامَ وفاهْ
أمسى في ضرام من نارِ الغرامْ

إن كان عذولي الذي أغراني رآني
في حَرٍّ نيرانِ لمْ ذا يلوم

● من جيد شعره

أسْبَلْنَ من فوق النُّهود ذوائبا فجعلنَ حبّات القلوب ذوائبا
بيضٌ دعاهُنَّ الغَبيُّ كواعباً ولَو اسْتَبانَ الرّشدَ قال كواكبا
وسَفَرْنَ لي فَرآين شخصاً حاضراً شدهت بصيرتهُ وقلباً غائبا
عاتبتُهُ فتضَرَّجت وجنانُهُ وازْوَرَّ ألحاظاً وقطَّبَ حاجِبا

باختصار

□ **ابن مِشْعَب** من أهل الطائف مولىً لثقيف وقيل إنه من أنفُسهم انتقل إلى مَكّة فكان بها حسنُ الصوت وكان في زمن ابن سُرَيْج وعامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له

□ **أبو زكّا الأعمى** من أهل بغداد ومن قدامى المغنّين كان منقطعاً إلى آل برمك

□ **أبو سعيد مولى فائد** وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفّان كان شاعراً ومغنّياً وناسكاً بعد ذلك عمّر إلى خلافة الرشيد ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحق الموصلي كان حسن الغناء

□ **أحمد النَّصْبي** صاحب الأنصاب (لم أجد نسبه فأذكره) وأول من غنّى النَّصب (وهو ضرب من الغناء أرَقّ من الحداء) كان يغنّي بالطنبور في الإسلام وكان فيما يُقال ينادمُ عبيد الله بن زياد سِرّاً ويغنّيه

□ **إسماعيل بن الهِرْبِذ** غنّى الرشيد وأطربه فكاد يرقص واستخف الخليفة الطرب فضرب بيديه ورجليه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وهو مكّي مولىً لآل الزُّبيْر بن العوّام وقيل مولى بني كنانة غنى الوليد بن يزيد

*

□ **خديجة الرحابية** ومنهن «خديجة الرحابية» وفي «ابن إياس» ج١ ص٧٦ - ٧٧ قبض يشبك بن حيدر والي القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحابية، وكانت من أعيان مغنّيات مصر، ولها إنشاد لطيف، وكان أصلها من مغنّيات العرب، ثم عظم أمرها جداً وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر وكانت جميلة حسنة الغناء، فافتتنَ بها الناس وقد قال فيها بعض الشعراء

رحابيةُ يخفي الشموسَ جمالُها لها حُسنُ إنشادٍ يَزيد مقالها
وقد خايلت بالبدر ليله تمِّه فما زال من عينيَ وقلبي خيالها

وكانت في بعض الأفراح ، فبعث يشبك من قبض عليها ، وقال لها أنت التي أفسدت عقول الناس؟ ثم أمر بضربها نحواً من خمسين عصاً ، وقرر لها مبلغاً ، وكتب عليها قسامة بأنها لا تغني ولا تحضر في مقام ، فلما خلصت من ذلك أقامت مدة مريضة من الرجفة التي وقعت لها ، ثم ماتت عقب ذلك ، وكان لها من العمر نحو الثلاثين سنة ، فتأسف عليها الكثير من الناس

□ **خليدة المكية** ومنهن «خليدة المكية» وهي مولاة لابن شماس ، كانت هي ، وعقيلة ورُبَيْحة ، يُعْرفن بالشماسيات ، وقد أخذت الغناء عن ابن سريج ومالك ومعبد

وروى أبو الفرج بسنده إلى الفضل بن الربيع أنه قال ما رأيت ابن جامع يطرب للغناء كما يطرب لغناء «خليْدَة المكية» وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر

فتنتْ كاتبَ الأمير رُبَاح يا لقومي خُليَدةُ المكيَّهْ

*

□ **دقّاق** كانت دقّاق مغنية محسنة جميلة الوجه متقنة الأداء والصنعة في الغناء اشتهرت بالظرف والمجون والفُتوّة

*

□ **ساجي** ومنهنَّ «ساجي» مولاة عبيدالله ، قال أبو الفرج كانت ساجي إحدى المحسنات المبرزات المتقدمات ، وهي تخريج مولاها عبيدالله ، وكان مهما صنع من الغناء نسبه إليها ، وكان قد بلغ من ذلك الغاية ، لكنه كان يترفع عن ذكره ويكره أن ينسب إليه

□ **سُلَيْم بن سلاّم الكوفي** كان حسن الصوت جميل الوجه وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي فعلّمهُ وناصحه فبرع وصنع وأجاد

*

□ **شارية** من مُوَلّدات البصرة اشترتها امرأة من بني هاشم فأدّبتها وعلمتها الغناء ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءَه كله أو أكثره لم تضرب بالعود إلاّ في أيام المتوكل لما وقع شَرٌّ بينها وبين عَريب

*

□ **عاتكة بنت شُهْدَة** أمُّها المغنية شهدة جارية الوليد بن يزيد اشتهرت بالضرب على العود كانت حسنة الغناء

□ **عَتْعث الأسْوَد** كان مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذ وأداء فعلّمه الغناء وخرّجه وأدبه فبرع في صناعته كنّاه مُخارق بأبي دليجةَ

□ **عجيبة** ومنهنَّ «عجيبة» وكان غناؤها بالجنك على الدفّ وفي «طبقات السبكي» ذكر عجيبة وقصَّتها مع الكامل والقاضي عين الدولة ، قال كانت عجيبة مغنية بمصر على عهد السلطان الملك الكامل ابن أيوب ، وكان الكامل مع تصميمه بالنسبة إلى أبناء جنسه تحضر إليه وتغنّيه بالجنك على الدف في مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ وغيره ، وأولع الكامل بها جداً ، ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة ، وهو في مملكته فقال ابن عين الدولة السلطان يأمر ولا يشهد فأعاد عليه السلطان الشهادة ، فأعاد القاضي القول فلمّا زاد الأمر وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته قال أنا أشهد تقبلني أم لا؟ فقال القاضي لا ما أقبلك ، وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم بكرة وهي تتمايل سكراً على أيدي الجواري وينزل ابن الشيخ من عندك ، أنجس مما نزلت فقال له السلطان يا كنواخ وهي كلمة شتم بالفارسية ، فقال ما في الشرع يا كنواخ اشهدوا عليَّ أني قد عزلت

نفسي ونهض فجاء ابن الشيخ وقال للملك الكامل المصلحة إعادته لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه ، وتطير الأخبار إلى بغداد ، ويشيع أمر «عجيبة» فقال له قم إليه ، فنهض إلى القاضي وترضّاه وعاد إلى القضاء

□ **عمر الوادي** هو عمر بن داود بن زاذان حذق الغناء وصناعته فأجاد كان طيب الصوت شجاعاً قُتِل الوليد بن يزيد وهو يُغنّيه

□ **عمرو بن عثمان بن أبي الكنّات** مولى بني جُمَح مُغنٍّ مكّي ومُحسن وصف بطيب الصوت ، من طبقة ابن جامع وأصحابه قيل إن غناءَه يخرق السّقف وتجيبه الحيطان

□ **عمرو بن محمد بن راشد** مولى ثقيف ويعرف بعمرو بن عانة شاعر ومغَنٍّ وصنعته متوسطة كان يقعده عن اللّحاق بالمتقدمين بالصنعة أنه كان مرتجلاً والمرتجل من المُحْدَثين لا يلحق بالضراب كان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء والتجنيس هو معدود من ندماء الخلفاء ومغنّييهم

*

□ **الغُزَيّل** مولى الوليد بن يزيد كان مغنّياً حسناً وطيّباً وقد غنى الوليد

نام مَن كان خَليّاً من ألمْ وبدائي بِتُّ ليلي لم أنمْ

فطرب الوليد وخلع عليه قُلنْسية مذهبة كانت على رأسه

*

□ **محمد بن عبّاد** مولى بني مخزوم وقيل مولى بني جُمَح أبو جعفر من الطبقة الثانية من المغنين أخذ الغناء عن يونُس الكاتب

□ **المَسدود** اسمه الحَسَن وكنيته أبو علي من أهل بغداد ولد في موضع يعرف بخراب المسدود فنسب إليه قيل إنه كان مسدود فرد الأنف ومفتوح الآخر وكان يقول لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي

الناس لم يكسب أحد من المغنين بالطنبور ما كسبه وكانت له صنعة عجيبة أكثرها الأهزاج

*

□ **نبيه المغنّي** من بني تميم أصله من الكوفة كان في مستهل حياته شاعراً، ثم احترف الغناء له شعر وغناء حسن تعلّم الغناء من قينة في بغداد فأحبها وتعلم الغناء من أجلها

*

□ **هاشم بن سليمان** مولى بني أميّة، أبو العباس كان موسى الهادي يسميه أبا الغريض وهو حَسَنُ الصنعة غزيرها غنى من شعر طُرَيْح بن إسماعيل الثقفي وغيره

الموسيقى والغناء
في مصر

أسمهان

أمال الأطرش هو اسمها الأصلي ، وهي شقيقة فؤاد وفريد الأطرش والدهم الأمير فهد الأطرش ووالدتهم الأميرة علياء المنذر

بعد النجاح الذي حققه فريد كمطرب اكتشفها محمد القصبجي وأعجبه صوتها فلحن لها أغنيات ، كما لحن لها الملحن داود حسني الذي تولى تدريبها وأطلق عليها اسم أسمهان

ولدت أسمهان عام ١٩١٨ وقيل عام ١٩١٢ وعاشت في لبنان إلى عام ١٩٢٠ توفي والدها وهي في السادسة من عمرها ، فانتقلت أسرتها للإقامة في القاهرة عام ١٩٢٣ واضطرت والدتها إلى الغناء في حفلات خاصة لإعانة أبنائها وهم ثلاثة صبيان وبنت

كل فرد في أسرة الأميرة علياء كان يتقن الغناء ، لكن النجاح حالف فريداً وأسمهان ولمع اسماهما في عالم الطرب الأصيل لحّن لها الملحن مدحت عاصم أغنية «دخلت مرة بجنينة» ولحن لها القصبجي أغنية «يا طيور»

وذاعت شهرة أسمهان عندما شدت بأغنية ، «عليك صلاة الله وسلامه» من ألحان شقيقها فريد وتوجتها هذه الأغنية مطربة أصيلة

واشتركت في تمثيل فيلمي لفريد هما «انتصار الشباب» إخراج أحمد بدرخان و«غرام وانتقام» إخراج يوسف وهبي وألحان شقيقها وأصرت على غناء أغنيات من ألحان ملحنين غير شقيقها فتعاونت مع القصبجي ورياض السنباطي وعبد الوهاب ، حيث شدت بصوتها في الفصل الذي لحنه عبد الوهاب من مجنون ليلى في فيلم «يوم سعيد» دون أن تظهر في الفيلم

من ألحان رياض السنباطي غنت أسمان أغنية «أيها النائم» في فيلم

توفيت أسمهان في حادث سيارة عام ١٩٤٤ قيل إن رأسها كان مطلوباً من أكثر من جهاز مخابرات واحد وقيل إنها ساعدت القوات البريطانية في الحصول على السماح بعبور تلك القوات المِناطق الدرزية في جنوبي سورية خلال توجهها إلى دمشق

لكن شقيقها الأكبر فؤاد الأطرش نفى هذه المزاعم وقال في مقابلة جرت معه «أنا أصرح الآن أمامك وأمام ضميري ، وأمام الله أنا قتلت شقيقتي أمال الأطرش المشهورة باسم أسمهان ولو كنت أخاً حازماً وتصرفت بشكل جيد لكانت حتى الآن لا تزال تعيش بيننا وتغرد وتملأ الدنيا طرباً فهي أصغر سناً من فريد وكانت تحب الحياة رغم ما روي عن أنها كانت ترغب في الموت»

إن حياة أسمهان الشخصية تضم أحداثاً صالحة لعدة أفلام تدخل في قالب أفلام الفن والمغامرات والجاسوسية فقد كانت صديقة أو إحدى صديقات رئيس الديوان الملكي المصري أحمد حسنين الذي كانت تحبه الملكة الوالدة نازلي والدة الملك فاروق ، والذي ذكر أنه أطلق النار على المخرج السينمائي أحمد سالم من أجل أسمهان ثم قيل إن نازلي اشتركت مع ابنها فاروق في ترتيب مؤامرة للقضاء على أسمهان

وقيل في سبب موتها إن المخابرات البريطانية دفعت مبلغاً كبيراً لقتل أسمهان ، ثم قيل إن المخابرات الفرنسية هي التي فعلت ذلك لأن أسمهان قامت بمهمة لها بين مصر والأردن وجبل الدروز

*

هل كانت أسمهان تؤمن بالحُب؟

يقول الصحافي والكاتب المصري الكبير محمد التابعي الذي اشتهر بحبه الشديد لأسمهان إن «أسمهان لم تكن تؤمن بالحب ، وتعتقد بأنه لا يوجد عندها وقت له ولذلك فأنا أشك أنها أحبّت أحداً حتى نفسها

فكانت تؤمن في قرارة نفسها بأن حياتها قصيرة الأجل وأن نصيبها من الحياة أقل من القليل ، وكانت تقول لي استحملني سنة أو سنتين وسترتاح منّي فأنا أعرف أني سأموت بسرعة»

وأسمهان بعد أن طلقت زوجها الأمير حسن الأطرش لم تتزوج ، لكنها اضطرت إلى الزواج بعقد عرفي من المخرج أحمد بدرخان ولم يكن الهدف من ذلك الزواج الاستقرار بقدر ما كان أن تحصل على الإقامة في مصر لأنها متزوجة من مصري لكن التفاهم لم يحصل بينهما فتم الطلاق ثم تزوجت من النجم والمخرج السينمائي أحمد سالم للغرض نفسه وكان سالم من جملة الذين اتّهموا باغتيالها

من أغاني أسمهان التي انتشرت

- «أنا أهوى» ألحان فريد الأطرش
- «عليك صلاة الله وسلامه» ألحان فريد الأطرش
- «اسقنيها» شعر أمير الشعراء الأخطل الصغير ألحان محمد القصبجي
- «أيها النائم» شعر أحمد رامي ألحان رياض السنباطي
- «دخلت مرة بجنينه» ألحان مدحت عاصم
- «ايمتى حاتعرف» ألحان القصبجي
- «يا حبيبي تعال الحقني» ألحان مدحت عاصم
- «ليالي الأنس» ألحان فريد الأطرش
- موّال «يا ديرتي» ألحان فريد الأطرش
- «يا طيور» ألحان القصبجي

أم كلثوم
سيّدة الغناء العربي

ولدت سيدة الغناء العربي أم كلثوم في قرية ريفية صغيرة من قرى محافظة الدقهلية لم يعرف بالضبط تاريخ ولادتها بعض المصادر الوثيقة الاطلاع ذكر أنها ولدت في الرابع من أيار عام ١٩٠٤ ، في حين جاء في قاموس «المنجد» أنها ولدت عام ١٨٩٨

والدها الشيخ إبراهيم السيد البلطجي كان إمام مسجد القرية ، ووالدتها فاطمة كانت ربة بيت فاضلة وكان والدها يتقاضى راتباً زهيداً لكونه إمام المسجد ، وحتى يزيد مدخوله بدأ يغني الأغاني الدينية في الأعراس والاحتفالات في القرى المجاورة لمسقط رأسه وكانت والدتها تهتم بشؤون أولادها أم كلثوم وشقيقتها سَيِّدة التي تكبرها بحوالى عشر سنين وبشقيقها الأكبر خالد وكانت أم كلثوم أصغر أبنائها سنّاً

عندما بلغت أم كلثوم الخامسة من عمرها دخلت مدرسة «الكُتّاب» التي تعرف بمدرسة القرآن في قريتها وعندما توفي شيخ مدرسة الكتّاب الذي كان يتولى تدريس الطلاب ، أرسل الطلاب إلى مدرسة في قرية مجاورة تبعد عدة أميال عن مسقط رأس أم كلثوم وتابعت أم كلثوم دراستها في مدرسة تلك القرية على مدى ثلاث سنوات ، حفظت خلالها عدة سُوَر صغيرة من القرآن الكريم

تعلمت أم كلثوم الغناء من والدها كثيرون شجعوا أم كلثوم ووالدها على الذهاب إلى القاهرة بعد أن استمعوا إلى صوتها الرخيم وحسن أدائها ، لكن أسرتها كانت مترددة لأنها تجهل كل شيء عن القاهرة ولا يوجد أقرباء لهم فيها ، ولعدم وجود أي ضمان عمل لها وظل موضوع السفر إلى القاهرة مدار بحث على مدى عدة سنوات

ولعب الموسيقار الكبير زكريا أحمد دوراً كبيراً في اكتشاف ورعاية أم كلثوم واستطاع إقناعها ووالدها بمغادرة القرية والإقامة بالقاهرة مركز الفن والشهرة ، وظل إلى جانبها ملحّناً لها أغانيها

وانتقلت الأسرة إلى القاهرة حوالى عام ١٩٢٣ واشتهرت أم كلثوم بصوتها الرخيم العذب وأغانيها الطويلة وحبها للشعر والأدب ، حتى قيل إنها تحفظ الكثير من قصائد الشعراء العرب القدامى والمعاصرين وصوتها كان عالي الطبقات ولم يعرف عنها اقترابها من الميكروفون وهي تصدح بأغانيها حتى لا يصاب بالعطب

وفي القاهرة تعاقد والدها مع عدد من كبار معلمي الموسيقى لتحسين غنائها وأدائها من بينهم الشيخ أبو العلاء محمد الذي تولّى تعريفها إلى الشاعر أحمد رامي الذي علّمها الشعر والأدب وعندما بدأت أم كلثوم بالغناء في القاهرة كانت تشدو بالأغاني التي كان يغنيها والدها وبعض الأغاني الشعبية ، ثم تحولت إلى غناء التواشيح الدينية وبعض القصائد

خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين بدأت أم كلثوم تسجيل أغانيها على أسطوانات ، وأقامت علاقات مع وسائل الإعلام بما في ذلك الإذاعة المصرية التي بدأت البث عام ١٩٣٤ ومحطة التلفزيون خلال عام ١٩٦٠

وقد ساهم نجاحها وشهرتها في أغانيها في توفير مدخول مالي جيد وبث أغانيها بوساطة الإذاعة المصرية جعل مئات الألوف من المصريين يتحلقون حول أجهزة الراديو للاستماع إلى صوتها العذب

*

تعاونت أم كلثوم مع شاعر الشباب أحمد رامي والموسيقار محمد القصبجي وتعاونها مع رامي فجّر شاعريته فنظم لها أجمل القصائد وأعذبها وأرقها وكان يختار لها الكتب الأدبية ودواوين الشعراء إضافة إلى مجلدات «الأغاني» فأصبح لها معرفة تامة بالعربية والشعر العربي

وأحب رامي أم كلثوم حُبّاً مَلَك عليه شغاف قلبه وكرّت سبحة

الأغاني التي نظمها بالعامية والفصحى ومعظمها كان صدى لما يشعر به نحوها من حب جارف من بين تلك الأغاني «أيقظت فيَّ عواطفي وخيالي» و«قصة حُبّي» و«يا ظالمني» و«عودت عيني على رؤياك» و«الصَّبّ تفضحه عيونه»

*

وتعاونت مع عدد من كبار الموسيقيين منهم رياض السنباطي والقصبجي وزكريا أحمد وسيد مكاوي وبليغ حمدي ومحمد الموجي فلقاء القمة الذي جمع بينها وبين موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وقد تم اللقاء بناء لرغبة الرئيس المصري جمال عبد الناصر وقد أدخل لقاء القمة الفرح في قلوب الملايين من الشعب العربي من المحيط إلى الخليج ، وأول قصيدة شدت بها أم كلثوم من ألحان عبد الوهاب قصيدة «أنت عمري» وبلغ عدد الأغنيات التي لحنها عبد الوهاب لها عشر أغنيات

*

تعترف أم كلثوم في لقاء أجراه معها الأستاذ حسن صبرا صاحب ورئيس تحرير مجلة «الشراع» اللبنانية بأنه كان لها أمنية أن تغني من ألحان الموسيقار فريد الأطرش ، وطلبت منه ذلك ، فغمر الفرح قلبه ، ومن شدة فرحه لم يترك صحافياً في مصر إلاّ وقال له ستغني أم كلثوم قصيدة من ألحاني ولما انتشر النبأ وعرفت به أم كلثوم امتنعت عن غناء أغنية من تلحين فريد لأنها كانت لا تغني لأي شخص يعلن لها عن عملها مسبقاً قبل أن يتم

كما اعترفت للأستاذ صبرا بأنها نادمة جداً لأنها لم تغنِّ لحناً من ألحان سيد درويش وكان سيد درويش قد أرسل لها الشيخ يونس القاضي الذي كان يؤلف له الأغاني فالتقى والدها الشيخ إبراهيم وقال له إن سيد درويش أرسلني إليكم لأنه يرغب في تلحين أغنية لأم كلثوم فأجابه ألحان حب وغيره ! وطرد الشيخ إبراهيم الشيخ يونس ولكي تكَفِّر أم كلثوم عن ذمّتها حفظت ألحان سيد درويش

*

رحبت سيدة الغناء العربي بالثورة المصرية عام ١٩٥٢ التي أنهت النظام الملكي في مصر وعندما حدثت النكسة عام ١٩٦٧ وهزم الجيش المصري قامت بجولة في أنحاء مصر والدول العربية لجمع التبرعات وتخصيص ريع حفلاتها للحكومة المصرية

تعرضت أم كلثوم لمشاكل صحية بدأت آثارها على عينيها فاضطرت إلى استخدام نظارات سوداء وبدءاً من عام ١٩٧١ تدهورت حالها الصحية وفي آذار من ذلك العام شعرت بمرض وألم مصدره اضطراب في مرارتها ما اضطرها إلى إلغاء حفلتيها الغنائيتين في شهري آذار ونيسان وفي شتاء العام نفسه تعرضت لمرض في كليتها فاضطرت إلى إلغاء حفلتيها الشهريتين في شباط وآذار في عام ١٩٧٢

في كانون الثاني عام ١٩٧٢ شعرت أم كلثوم بإغماء في أثناء إحيائها حفلتها الغنائية الشهرية وغنت أغنيتها بصعوبة وكانت آخر حفلة شهرية تحييها ومن فصل الشتاء عام ١٩٧٣ إلى فصل الصيف عام ١٩٧٤ سافرت إلى أوروبا وأميركا للمعالجة

أغنيتها «حكم علينا الهوى» التي كانت ستشدو بها في ربيع عام ١٩٧٣ قررت تسجيلها قبل غنائها على المسرح وبالفعل سجلتها في ١٣ آذار من ذلك العام ولكن بصعوبة واستمرت في تسجيلها ١٢ ساعة ولأول مرة غنت أم كلثوم أغنيتها وهي جالسة على كرسي ، ولم تتمكن من إحياء الحفلة في الموعد المحدد

في كانون الثاني عام ١٩٧٥ التهبت كليتها وأدى التهابها إلى وفاتها في الثالث من شباط عام ١٩٧٥ ، رغم خضوعها للمعالجات الطبية على مدى بضع سنوات عرف عنها معارضتها الدخول إلى المستشفى وكانت تقول «إذا ذهبت إلى المستشفى فإنني سأموت»

وفي أثناء وجودها في المستشفى تجمهر المئات حول منزلها في الزمالك ومن ثم حول المستشفى التي كانت تعالج فيه وحضر كثيرون من

الصحافيين من الدول العربية إلى مصر ورابطوا حول المستشفى وبداخله ومعهم عدد من المصورين محطة الإذاعة السورية فتحت خطاً مباشراً ليل نهار مع إدارة المستشفى لتزويد مستمعيها بآخر التطورات حول صحة سيدة الطرب العربي وكانت صحيفة «الأهرام» تنشر يومياً نشرة طبية عن حالتها الصحية

*

صُلِّيَ على جثمانها في جامع عمر مكرم في وسط القاهرة ثم حمل جثمانها على الأيدي من الجامع لمسافة قصيرة وبعدئذ وضع في عربة لنقله إلى المقبرة وعندما علم المشرفون على المأتم بالعدد الغفير من الذين سيشاركون في المأتم من خارج مصر أرجأوا الجنازة يومين خلافاً لما هو معروف لدى المسلمين ولكن نظراً لشهرة أم كلثوم ومكانتها تقرر الإرجاء وبعد مرور يومين غصت شوارع القاهرة بالمشيعين المصريين والعرب ملايين المصريين اشتركوا في التشييع وكثيرون تعاقبوا على حمل النعش واستغرقت الجنازة من جامع السيّد الحُسين إلى المقبرة ثلاث ساعات

*

من أشهر أغاني أم كلثوم

- أنتَ عمري ـ تلحين عبد الوهاب
- أنتَ الحب ـ تلحين عبد الوهاب
- ألف ليلة ـ تلحين بليغ حمدي
- فات الميعاد ـ تلحين محمد الموجي
- الأطلال ـ تلحين رياض السنباطي
- يا مسهّرني ـ تلحين سيد مكاوي

ومن أغانيها القديمة

- على بلدي المحبوب وديني ـ تلحين رياض السنباطي ـ بحبك وأنت مش داري ـ تلحين محمد القصبجي ـ يا ظالمني ـ تلحين السنباطي ـ الهوى غلاب ـ تلحين زكريا أحمد

الموسيقار رياض السنباطي

يعتبر الموسيقار رياض السنباطي من كبار المؤلفين الموسيقيين المصريين ورائداً من رواد الموسيقى العربية ولد عام ١٩٠٦ وعندما بلغ عامه الثامن عشر اكتشف والده محمد السنباطي حب ابنه للموسيقى وكان والده مطرباً وعازفاً على العود له شهرته في مسقط رأسه قرية سنباط

تعلم الابن من والده كيف يشدو بالأغاني وقد قابل رياض وهو صغير السّن أم كلثوم في بعض الأحيان عندما كانت ترافق والدها إلى حفلات عقد القران حيث كان يغني والدها بعض أغانيه

ولمع رياض واشتهر بحبه للموسيقى نتيجة للعلاقات الوطيدة بين والده وسيد درويش تلك العلاقات مهدت الطريق أمامه ومنحته الفرصة لحفظ الكثير من الأغاني ما أهّله إلى دخول المعهد الموسيقي لدراسة الموسيقى وفي المنصورة علّمه أستاذُه محمد شعبان أصول الموسيقى

عندما بلغ رياض عامه العشرين انتقل إلى القاهرة والتحق بالمعهد الموسيقي العربي وبعد أن نجح في الامتحان الشفهي تابع دراسته ودرّس العزف على العود في الوقت نفسه وبعد مرور شهرين عين رئيساً لقسم الموشحات في المعهد

أول أجر تقاضاه في القاهرة كان خمسة جنيهات مصرية لقاء تلحين كل أغنية ثم ألف أول أوبريت موسيقية عنوانها «عروس الشرق» وفي مراحل شهرته التي مر بها في مستهل حياته الفنية كانت عينه دائماً على أم كلثوم ونجاحها المستمر وشهرتها ، وكان يتطلع إلى اليوم الذي يضع فيه لحناً لإحدى أغنياتها

أول مرّة ابتسم له الحظ عندما لحّن لأم كلثوم قصيدة من شعر أحمد رامي ثم قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي

وكان السنباطي يصف الموسيقى المصرية بأنها عربية أكثر منها شرقية

في أوائل السّتينات منحته اللجنة الموسيقية العليا وسام الدولة تقديراً لنتاجه الفني والموسيقي وعام ١٩٧٦ نال وسام الأونيسكو للموسيقى وفي العام نفسه منح دكتوراه شرف

توفي السنباطي في السابع من أيلول عام ١٩٨١

من أشهر الأغاني التي لحنها وصدحت بها المطربة الكبيرة أم كلثوم

- «الأطلال» شعر الدكتور إبراهيم ناجي
- «على بلدي المحبوب وديني» غنتها في فيلم «وداد»
- «يا شباب النيل»
- «قضيت حياتي»
- «إفرح يا قلبي»
- «النوم يداعب عيون حبيبي» وقد اعتبرها عبد الوهاب من بين أهم ألحان السنباطي
- «هَلّت ليالي القمر»
- «يا ظالمني» و«سهران لوحدي» و«دليلي احتار» و«عوّدت عيني على رؤياك» وأغنيات كثيرة أخرى

الموسيقار زكريا أحمد

ولد زكريا أحمد في حي شعبي يعرف بحيّ الحسين (القاهرة) درس القرآن في مدرسة الكُتّاب ، ثم التحق بالأزهر في عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩٠٨ وتعلم أصول الدين الإسلامي وتجويد القرآن الكريم والنحو والصرف العربي ، ثم انضم إلى عدد من مشاهير مجوِّدي القرآن فتعلم كيف ينشد الأناشيد الدينية

عندما بلغ عامه الثامن عشر كان يزور المسارح الليلية فحفظ جميع الأغاني التي كان يشدو بها المطربون والمطربات وبدأ يؤلف الألحان للتواشيح الدينية والقصائد

من عام ١٩١٦ إلى عام ١٩٢٢ عمل مع عدد من كبار المغنّين والمؤلفين منهم سيد درويش ومنيرة المهدية وفي عام ١٩١٧ ألف أول مقطوعة موسيقية له عنوانها «اسدلوا الستّار» وفي عام ١٩١٩ ساهم في قيام الثورة بتأليف موسيقى ثورية وأناشيد وطنية ألهبت مشاعر الشعب المصري

بعد وفاة سيد درويش أصبح زكريا أحمد الموسيقار والملحن الأول ، فألف ألحاناً لمسرحيات نجيب الريحاني وعلي الكسّار وفاطمة رشدي ومن عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٣٠ لحّن أكثر من ٤٦ مسرحية

ويعتبر الشيخ زكريا أحمد عميد المؤلفين الموسيقيين ومن المحافظين على تقاليد وأصول الموسيقى العربية من أشهر المطربات اللواتي شدون بألحانه السيدة أم كلثوم

عام ١٩٢٧ زار تركيا وفلسطين وسوريا ولبنان وفرنسا وعزف على مسارحها الكثير من مؤلفاته الموسيقية الي لاقت الاستسحان وفي عام ١٩٦٠ منحه الرئيس جمال عبد الناصر وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى

*

لعب زكريا أحمد دوراً كبيراً في اكتشاف ورعاية أم كلثوم ، واستطاع إقناعها بمغادرة قريتها والإقامة في القاهرة مركز الفن والشهرة وظل إلى جانبها ملحناً لها أغانيها

من أعماله الفنية

- تلحين أكثر من ثلاثين موشّحاً
- ٥٨٠ مقطوعة موسيقية من بينها ٥٦ أوبريت
- ٢٢٥ لحناً خفيفاً
- تلحين ٩١ أغنية لـ٣٧ فيلماً سينمائيّاً
- تلحين ٤٣ أغنية للإذاعة المصرية
- مجموع الأغاني التي لحنها زكريا أحمد بلغ ١٠٧٠ أغنية من بينها ٤٥ أغنية لأم كلثوم

*

يقول قائد الأوركسترا الشهير الفنان سليم سحّاب[1] «كان زكريا أحمد فناناً صعب المراس ، شديد الاعتزاز والاعتداد بفنّه إلى درجة لا تعرف المساومة ولا حتى التعايش مع الألوان والتيّارات الفنية والألوان الأخرى (خاصة عبد الوهاب) ومع أن موضوع الخلاف الذي فجّر العلاقة بينه وبين أم كلثوم منذ عام ١٩٢٧ حتى وفاته في مطلع عام ١٩٦١ باستثناء اللحن الأخير (الهوى غلاّب) كان يتناول الأجر المادي إلاّ أن مضمون الخلاف كما بدا من تصريحات زكريا أحمد كان يتعلق بإصراره على الندية في التعامل كفنان له بلاطه الخاص به سواء بالنسبة لأم كلثوم أو لزملائه من الملحنين لها»

من الموشحات التي نظمها ولحنّها وشدا بها زكريا أحمد موشح «بنت كرم»

بنتُ كَـرْمٍ يَتَـمـوها أمـهـا ... وأهانوها وديست بالقَـدَمْ
ثم جـاءوا حكمـوها بينهم ... ويلهم من شَـرّ مظلومٍ حكَمْ

ومطلع موشح «ملا الكاسات»

مـلا الكاسـات وسـقـاني ... نحـيل الخـصـرِ والقَـدّ

(١) السفير الثقافي ٩ آذار ٢٠٠١

الموسيقار سلامة حجازي

يعتبر الشيخ سلامة حجازي رائداً في تجديد الموسيقى الدرامية والدينية ولد في الإسكندرية عام ١٨٥٢ ونشأ يتيماً فقد توفيّ والده وكان له من العمر ثلاث سنوات وبعد وفاته تزوجت أمه ، فعامله زوج أمّه معاملة قاسية

كان سلامة يتابع دراسته الابتدائية صباحاً وبعد الظهر يعمل في صالون للحلاقة ليتقن هذه المهنة منذ صباه كان يتمتع بصوت جميل وظهرت عليه دلائل النبوغ وهو يتابع دراسته في مدرسة «الكتّاب» لتعليم القرآن وحفظ سُوَرِه غيباً

في مدرسة الكُتّاب تفوق سلامة حجازي على أستاذه في تجويد القرآن ثم عمل مؤذّناً داعياً إلى الصلاة في مسجد سيدي العبّاس بالإسكندرية تلقى دروسه على أيدي أساتذة منهم كامل الحريري وسلامة الراس وأحمد الياسرجي الذي وجهه نحو الاتجاه الفني الصحيح وبدأ يتحول تدريجاً من إنشاد الأغاني الدينية إلى أغنيات من نوع آخر فشكّل جوقة موسيقية له تعرف بـ«التخت»

وكان صوته الرخيم السبب في تعرّفه إلى كبار الفنانين آنذاك وفي نجاحه على صعيدي الغناء والموسيقى ثم بدأ بتأليف أغنيات وتلحينها لكثير من المسرحيات

وكان سلامة حجازي أول مؤلف موسيقي حرّر الموسيقى العربية من قيود الموسيقى الشرقية ثم تحوّل إلى التمثيل مع قرداحي وحداد في عام ١٨٨٥ إلى عام ١٨٨٩ وفي أثناء تحوّله ظهرت عدة فرق مسرحية منها فرقة نجيب الريحاني ، وفرقة علي الكسّار ، وفرقة عزيز عيد

ويعتبر سلامة حجازي واحداً من أوائل الفنانين الذين سافروا إلى خارج مصر لإحياء حفلات موسيقية وغنائية ولقي ترحيباً كبيراً في سوريا وتونس وإيطاليا ومنح أوسمة من حكوماتها وفي متحف نابولي تمثال له

عام ١٩١٥ أصيب سلامة حجازي بالشلل وتوفي عام ١٩١٧

سَيّد درويش

ولد الشيخ سيد درويش البحر في الإسكندرية في السابع عشر من آذار عام ١٨٩٢ ويعتبر واحداً من روّاد الموسيقى العربية وزعيماً من زعماء المقاومة المصرية الحديثة وقد حرر الموسيقى من أشكالها القديمة

بدأ دراسته عام ١٨٩٩ فشجعه أستاذه في تعليم الموسيقى سامي أفندي على متابعة حبه للموسيقى وفي الثامنة من عمره غنى بنجاح بعض الموشحات والأغاني الدينية وفي عام ١٩٠٥ التحق بالمعهد الديني وأصبح يعرف بالشيخ سيد درويش وبدأ بالبحث عن عمل لإعالة أسرته بعد وفاة والده ، فعمل في صناعة البناء وفي التجارة بالإضافة إلى عمله في فرق موسيقية شعبية

عام ١٩٠٩ انضم إلى فرق موسيقية زارت عدة دول عربية وأحيت فيها حفلات غنائية وفي عام ١٩١٢ أحرزت موسيقاه وأغنياته نجاحاً كبيراً ما شجعه على تشكيل فرقة موسيقية تحمل اسمه ثم زار إيطاليا حيث درس أصول العزف على عدة آلاف موسيقية ، إضافة إلى قواعد الموسيقى الغربية

وبدأ سيد درويش عام ١٩١٥ بتطوير الموسيقى العربية وأقام في القاهرة حيث لمع اسمه وانتشرت أغانيه وموسيقاه وعام ١٩٢١ أسس أول فرقة له للتمثيل من الرجال والنساء ، لكن لسوء الحظ لم تعمر تلك الفرقة نتيجة حبه الشديد لفنه

وفي الأول من شهر آب عام ١٩٢٣ أسس فرقة أطلق عليها اسم «فرقة الأغاني الشعبية» وكانت الأولى من نوعها في الشرق الأوسط وكانت الفرقة تكتب أغانيه بالنوتة كما سجل سيد درويش أغانيه على أسطوانات نالت ازدهاراً وانتشاراً ومبيعاً كثيراً

كانت أغانيه المتطورة تتراوح بين الوطنية والعاطفية والدينية والاجتماعية والانتقادية وكان يُؤمن بأن الموسيقى تعبّر تعبيراً صادقاً عن مشاعر الإنسان وطموحاته وليس فقط للترويح عنه وتسليته

وقد انتشرت أغانيه الوطنية واشتهرت نظراً لعلاقاته الوثيقة مع زعماء وقادة الحركة الوطنية من أجل الاستقلال في أوائل القرن العشرين مثل سعد زغلول ومصطفى كامل والواقع أن كلمات النشيد الوطني المصري قد نظمت من خطابات مصطفى كامل الشهيرة ولحنها سيد درويش

وكان أعدّ أغنيات خاصة لدى عودة الزعيم المصري سعد زغلول من منفاه ، لكن لسوء الحظ توفي سيد درويش في الخامس عشر من أيلول عام ١٩٢٣ قبل عودة سعد زغلول ، لكن أغانيه تلك لم تزل

عام ١٩٢١ أسس سيد درويش فرقته المسرحية وقدمت مسرحيتين هما «شهرزاد» و«المؤيد للإصلاح» أي ما يعرف بالإنكليزية بـ«هويغ» لكن فرقته لم تعمّر طويلاً كما لحن عدة مقطوعات موسيقية ولحن حوالى ٢٦٠ أغنية وفي عام ١٩٤٧ تأسست جمعية اسمها «أصدقاء موسيقى سيد درويش» ، وعام ١٩٥٧ أصدرت الحكومة المصرية طوابع بريدية تخليداً لذكراه وأطلقت اسمه على أحد شوارع القاهرة وخلّدت بلدية الإسكندرية ذكراه بتمثالين له وأطلقت اسمه على أحد شوارع الإسكندرية وعلى أحد المسارح الكبيرة فيها

من أشهر أغانية

- زوروني في السنّة مرة
- بلادي
- وموشح «شادي الألحان» وهو موشح لشاعر عربي قديم مطلعه

يا شـــادي الألحـــانْ أسْـــمِـــعنا رنّات العـــيـــدانْ
وأطرِبْ في الألحـــانْ واحـــسِـــبنا مِن ضِـــمنِ الندمـــانْ
شَـــعْـــرك والجـــبينْ والـوجـنـاتْ كَـــاللّيل والنّهـــارْ

الموسيقار سيّد مكّاوي

وُلِد الموسيقار والمطرب سيد مكاوي في حي الناصرية بالقاهرة بالقرب من ضريح السيّدة زينب في الثامن من أيار عام ١٩٢٦ وقد حظي بشعبية كبيرة في مصر والعالم العربي وفي الواحد والعشرين من عام ١٩٩٧ توفّاه الله مخلّفاً إرثاً موسيقياً قيّماً

خلال حياته الفنية ظل غير هيّاب في ابتكاراته ومحاولاته لخلق لون جديد من الموسيقى تقول والدته إن ابنها كان رقيق المشاعر عاطفياً عندما كان في سن الصبّا ومتعلّقاً بأسرته وعندما توفي والده ظل يبكي أياماً ثم خفّت آلامه لكن الدموع ظلت تنهمر من عينيه وكان الأطباء عاجزين عن تشخيص حالته أو إيقاف الدموع من عينيه إلى أن كف بصره ، لكن عماه لم يمنعه من تعلّم القرآن وأصبح أزهرياً فقيهاً وعالماً في أصول الدين

عندما كان صبياً كانت هوايته ركوب الدراجة الهوائية وقد تمنت والدته منحه إحدى عينيها لكن ابنها كان يرفض دائماً أمنيتها ، كما رفض عرضاً من طبيب روسي لإجراء عملية جراحية ، على أمل إعادة بصره إليه ، فكان ردّه «لقد ألفت العمى الذي لم يعد يؤلمني» وظل مكفوف البصر ولم يشاهد في الأماكن العامة دون نظارته السوداء

وقيل إنه فيما كان يغني أغنيته «يا مسهّرني» لكي تحفظها أم كلثوم قال لها «إنني لا أستطيع النوم بسببك» وكان قد تأخر عن موعده لمقابلة أم كلثوم نصف ساعة وقد عرف عن سيدة الطرب أنها دقيقة بمواعيدها وعندما حضر قالت له «إنني متأسفة» فأجابها «السبب في تأخري هو عرقلة السّير» وضحكت أم كلثوم وسامحته

عرف سيد مكاوي بصوته القوي النبرات لإثارة مستمعيه غنّى كثيراً وهو يعزف على عوده لكن غناءَه لم يجلب له الشهرة لكن الذي شهره دوره كمسحّراتي يقرع الطبلة خلال شهر رمضان لإيقاظ المؤمنين لتناول طعام السحور وقد بدأ عمله هذا مع فؤاد حداد عام ١٩٥١ وكان حداد ينظم ما يردده المسحراتي سيد مكاوي الذي يتولى غناءه على رجع طبلته وتولت إذاعة القاهرة بث ما يقوله المسحّراتي ثم تألقت شهرته عندما غنت له أم كلثوم «يا مسهّرني»

يقول فرج الأنصاري ، الاختصاصي بالموسيقى الشعبية في المعهد الموسيقي وعضو لجنة الفن في المجلس الأعلى للثقافة ، إنّ سيد مكاوي هو من أهم مؤلفي الموسيقى الشعبية في العالم العربي

*

كانت أغنيات سيد مكاوي بمثابة نقد لاذع للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يعاني منها الشعب ، وكان يسخر من البيروقراطيين بأغنيته «الاستمارا راكبا الحمارا» أي الاستفتاء الشعبي راكب حماراً

ومن أغانيه التي عبرت عن حقيقة افتخاره ببلاده «سنحارب» التي غناها عام ١٩٥٦ و«الأرض بتتكلم عربي» التي شدا بها عام ١٩٧٣

وسيذكر الكثيرون دائماً أغنية سيد مكاوي «الليلة الكبيرة» التي نظم كلماتها الشاعر المصري صلاح جاهين وكان يصف علاقته بجاهين بأنها مثل العسل بالطحينة

خلّف سيد مكاوي ١٠٠ لحن لأغانٍ دينية و٣٠ مقطوعة موسيقية تخليداً لذكرى مولد النبي ﷺ وموسيقى لمسلسلات تلفزيونية ، ولحن أغنيات لكثيرين من المطربين ما عدا المطرب عبد الحليم حافظ وظهر في فيلم «العروس الصغيرة» من إخراج علي بدرخان ووضع موسيقى لمسلسل هارون الرشيد التلفزيوني

*

من أهم أغنياته الوطنية التي نالت شهرة كبيرة «المقاومة الشعبية» و«جانا الفجر» و«عمّال حفر القناة»

عام ١٩٩٧ زار سيد مكاوي لبنان لإحياء حفلة غنائية لكنه أدخل المستشفى لإصابته بذات الرئة ، فغادر لبنان عائداً إلى القاهرة لمتابعة العلاج لكن حالته الصحية تدهورت فجأة فلفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه إلى بارئها في الواحد والعشرين من نيسان عام ١٩٩٧

عبد الحليم حافظ

عبد الحليم علي إسماعيل شبّانة هو اسمه الأصلي ، ولد في ٢١ حزيران عام ١٩٢٩ في قرية تبعد ثمانين كيلومتراً عن القاهرة يوم ولادته توفيت والدته ، وبعد مدة قصيرة توفي والده ظهرت موهبته الموسيقية عندما كان طالباً في مدرسة ابتدائية وكان أول من علّمه الموسيقى شقيقه الأكبر إسماعيل ودرّبه على الغناء اشتهر بلقب «العندليب الأسمر»

عام ١٩٤١ درس عبد الحليم الموسيقى في المعهد الموسيقي العربي في القاهرة واشتهر بغناء أغنيات لعبد الوهاب ، ومن ثم انضم إلى جوقة المرتلين (الأوركسترا) في الإذاعة المصرية عام ١٩٥٢ بدأت شهرته في الغناء عندما شدا بأغنيات من تلحين الموسيقار محمد الموجي ، لكنّ شهرته على الصعيد الشعبي في مصر والعالم العربي بدأت عام ١٩٥٤ عندما غنى لمناسبة مرور عام على نجاح الثورة المصرية التي أسفرت عن زوال العهد الملكي

أغاني عبد الحليم الوطنية أحدثت ثورة في الموسيقى العربية فقد أثارت المشاعر الوطنية وأيقظت الحماسة في ضمائر الشعوب العربية كما أن أغانية العاطفية حظيت باستحسان كبير لدى الرجال والنساء في العالم العربي لأنها كانت تتناغم مع أحاسيسهم وعواطفهم

من الموسيقيين الذين شجعوا عبد الحليم على الغناء الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب والموسيقار بليغ حمدي

وقد حظي هذا المطرب الكبير برعاية ودعم الرئيس جمال عبد الناصر كما كان على صداقة مع بعض الرؤساء العرب منهم الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والعاهل المغربي الحسن الثاني

أحيا عبد الحليم حفلات غنائية في معظم الدول العربية وغنى ٣٠٠ قصيدة منها ٥٦ أغنية وطنية ولعب أدواراً رئيسية في ١٦ فيلماً سينمائياً توفي في ٣٠ آذار عام ١٩٧٧

من أغانيه التي اشتهرت

- نحنا بنينا السّد العالي
- في يوم في شهر في سنة
- إن لاقاكم حبيبي سلّمولي عليه
- أهواك
- بتلوموني ليه
- اسمر يا سمراني
- جبّار

فايدة كامل

رن جرس الهاتف في المنزل الذي استأجرته في بحمدون لقضاء فصل الصيف فإذا بصوت كبير المذيعين في إذاعة لبنان الصديق شفيق جدايل يقول لي

ـ المطربة الكبيرة فايدة كامل تود التعرف إليك إنني أصطاف في عاليه وفايدة تنتظرك في منزلي سأحضر إلى بحمدون لاصطحابك ورفيقة عمرك

مساء ذلك اليوم التقيت المطربة فايدة كامل وبعد التحية استهلت فايدة الحديث بقولها

ـ استمعت إلى قصيدتك «من أجل أولادي» التي غنتها المطربة نجاح سلام «وحياة أبوك» تهديني قصيدة عن الأولاد لأغنّيها في مصر! لقد أعجبني مطلع قصيدتك التي غنتها نجاح ولحنها عفيف رضوان، وهو

من أجلهم أشقى وأحْتَمِلُ ولخيرهم أدعو وأبتهلُ
من أجلهم ولأجْلِ راحَتهِمْ مُرُّ الحياة وصابها عَسَلُ
حُبٌّ غريب السِّحر يغمرني فإذا بكَوْا فَفداؤهم قُبَلُ
أزهار حبّي أنتمُ أملي لولاكُمُ ما الحبُّ ما الأملُ

ولبيت طلبها ونظمت لها قصيدة جديدة منها

يا مهجتي يا ولدي يا نعمة الله معي
إذا ضحكتَ زغردَتْ جوارحي وأضلعي
وإن بكيتَ فعلى خَدَّيكَ تجري أدمعي
يا ولدي كن مؤمناً بالله واحرس وطني
دافع عن استقلاله واسحق أفاعي الفتنِ
ناضل وَجِدْ بالرّوحَ لا ترهب صنوف المحنِ

وبعد مرور شهور شدت فايدة كامل بالقصيدة فأبدعت وقد لحنها لها الملحن المصري عبد العظيم محمد

الموسيقار فريد الأطرش
الأمير الحزين

الموسيقار فريد الأطرش من كبار الملحّنين والمطربين اتّخذ مصر وطناً ثانياً له بعد سوريا وكان أول من أشادَ بألحان فريد الموسيقار محمد الموجي فنشأت بينهما صداقة وأُلفة

يقول الموجي «إن الحزن كان مرسوماً على وجه فريد وفي صوته وعندما كان يغني كان يسافر إلى داخل القلب ويخاطب شيئاً دفيناً في داخلي»(١)

بدا الحزن في معظم الأغاني التي صدحت بها حنجرة فريد الذهبية كما ظهر ذلك في غالبية أفلامه، حتى إنَّ كلمات أغانيه فيها الحنين إلى الموت وبدا هذا الحنين جلياً في أغنيته التي اختارها من نظم الشاعر المصري كامل الشناوي «عدت يا يوم مولدي» وكان الشاعر الشّناوي قد نظم القصيدة وسلّمها إلى الموسيقار محمد عبد الوهاب، فاحتفظ بها على مدى خمس سنوات ما اضطر الشاعر إلى تقديمها إلى فريد

ترى هل إن القصيدة لم تنل إعجاب عبد الوهاب؟ لقد عرف عن عبد الوهاب احتفاظه بالقصائد التي تعجبه إلى أن يهبط الوحي عليه لتلحينها أو غنائها بصوته أو اختيار مطربة لكي تغنيها وأعتقد أن سبب احتفاظه بها يعود إلى تشاؤمه من الكثير من كلماتها وهذا ما جعله يعكف عن الشّدو بها إضافة إلى أنه لم يشأ أن يفصح عن عدم رضائه عنها إلى الشاعر وهو الذي سبق أن غنّى له بعض قصائده

*

(١) مقال للأستاذ عماد الحرّ، ملحق النهار: السبت ١٠ تشرين الأول ١٩٨٨

يقال إن مولد فريد كان بين تاريخين لم يحسم بدقّة قيل إنه ولد في الخامس عشر من شهر آب عام ١٩١٥ أو في الواحد والثلاثين من العام نفسه

والده فرحان الأطرش الذي عاش في السّويداء مع زوجته وأولاده الثلاثة فؤاد وفريد وأمال (أسمهان)

وقيل أيضاً إن الموسيقار الأطرش أحب ناريمان قبل أن تصبح ملكة بعد زواجها من الملك فاروق وعندما تقدم إلى خطبتها بعد طلاقها رفضته أمّها على اعتبار أن ملكة مصر السابقة لا يمكن أن تتزوج من مُغَنٍّ

من أشهر أغنيات فريد «أول همسة» و«الربيع» و«سألني الليل» و«عش أنت» و«يا زهرة في خيالي» و«المارد العربي» ومن أفلامه «لحن الخلود» و«رسالة من امرأة مجهولة» و«انتصار الشباب»

توفي فريد في السادس والعشرين من كانون الأول عام ١٩٧٤ ودفن جثمانه في مصر طبقاً لما ورد في وصيته

*

قيل إن فريد الأطرش غنى لأول مرة على المسرح أغنية قومية للشاعر حبيب جاماتي منها

حقُّ الجهاد عن الحرم فرضٌ على كل الأمم

يقول الدكتور محمد سامي حافظ أحد المتخصصين في عالم الموسيقى والحاصل على الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس في إطار سلسلة من الأبحاث عن قمم الغناء العربي في القرن العشرين ما يلي

«إن المرحلة الأولى من حياة فريد الفنية تمثلت في مواويل وأغنيات منها «أحب من غير أمل» و«يا ريتني طير» و«أفوت عليك بعد نص الليل» أما المرحلة الثانية فهي مرحلة السينما المصرية التي استهلها بفيلم «انتصار الشباب» الذي اتسمت الأغنيات فيه ، التي لحنها فريد ، بطابع شعبي شرقي له إيقاعات واضحة وسهلة وقد مهّد هذا الفيلم الطريق أمامه للحصول على مكانة موسيقية كبيرة حيث أصبح الجمهور يعتز به كموسيقي وممثل

وملحن في آن واحد»

وتحدث الدكتور محمد سامي حافظ عن المرحلة الثالثة في حياة فريد الفنية فقال

«انفرد فريد في هذه المرحلة بفيلم «حبيب العمر» الذي صاغ أغانيه بألحان وإيقاعات شرقية أصيلة دون الاستعانة بألحان مستوردة من موسيقى الغير ففي الفيلم افتتاحية موسيقية خلاّبة من أداء أوركسترا جمعت آلات أوروبية وشرقية ثم لا بد من الحديث عن موسيقى «رقصة العبيد» من ألحان فريد وهي ألحان شاعرية وشفّافة بعيداً عن الصخب فقد استهلها فريد بعزف الطبول يعقبه إيقاع شرقي جذّاب يتشابه وإيقاع «ألبوليرو الإسباني»

وعن المرحلة الرابعة من الحياة الموسيقية لفريد يقول الدكتور حافظ

«تأكدت عبقرية فريد الفنية في هذه المرحلة حيث جسّد ألحان الحب والهوى شادياً بأغنيات رائعة «أول همسة» و«الربيع» و«نجوم الليل» و«سألني الليل» و«حكاية غرامي» و«لحن الخلود» وغيرها من الأغاني

إن أغنية «أول همسة» تعتبر ملحمة غنائية تتشابه عباراتها الشعرية وأسلوب ملاحم الحب العذري

أما أوبريت «بساط الريح» فتتّسم بجو شعبي زاهر ، وكذلك أغنية «الربيع» التي اعتبرها النقاد بمثابة سيمفونية غنائية عربية تجمع العناصر الجمالية

من أغانيه التي اشتهرت عدا ما ذكرت وقد بلغ عددها أكثر من ٧٠٠ أغنية عدا المقطوعات الموسيقية

- «يا ريتني طير» من ألحان يحيى اللبابيدي
- كرهت حبك من ألحانه
- من يوم ما حبك فؤادي من ألحانه
- بتسأليني عن حالي من ألحانه وعندما سمعها الموسيقار محمد عبد الوهاب قال «تمنيت أن أكون مُلحّنها»
- يا زهرة في خيالي من ألحان فريد

يحمل عدة أوسمة عربية

ليلى مراد

اعتزلت المطربة ليلى مراد التمثيل والغناء بعد أن غنّت ومثلت على مدى أربعين عاماً لكن الذين عاصروها لم ينسوا نجمتهم وهي في السابعة والسبعين من عمرها وما زالوا يذكرون أغانيها وبطولتها لكثير من الأفلام السينمائية

لقد خلّفت ليلى عند وفاتها في تشرين الثاني عام ١٩٩٥ سبعة وعشرين فيلماً وحوالى ١٢٠٠ أغنية منذ الثلاثينات إلى الخمسينات من القرن العشرين وقد وصف فكتور سحّاب المؤرخ الموسيقي غناءها بأنه العصر الذهبي للأغنية العربية خلال تلك الحقبة

وما قدمته ليلى مراد من تمثيل وغناء دعا الكثيرين إلى وصفها بـ«سيدة السينما العربية» و«ساندريلا الشاشة العربية» وقالوا إنها بغنائها النجمة الثانية بعد سيدة الطرب العربي أم كلثوم

وكان اسمها في الإعلانات عن أفلامها يتصدر أسماء الممثلين معها، ومن بين تلك الأفلام «ليلى بنت الفقراء» و«ليلى بنت الرّيف»

بعد تقاعدها لم تشاهد ليلى مراد في أماكن عامة أو حفلات وظلت تعيش في عزلتها حتى يوم وفاتها وعندما منحت جائزة المهرجان الدولي للأفلام في القاهرة عام ١٩٦٢، تسلّم ابنها الجائزة بدلاً عنها

*

أول أغنية صدحت بها ليلى مراد هي «حيرانة ليه» من ألحان داود حسني وذلك عام ١٩٣٢، وهو العام الذي تحولت فيه الأفلام من صامتة إلى ناطقة لكن ليلى لم تكن معروفة آنذاك، فقد سمع عبد الوهاب صوتها

في أثناء زيارة لوالدها في منزله ، فأعجبه الصوت وطلب منها أمام عدد من الزائرين أن تمثل معه في فيلم سينتجه قريباً

في عام ١٩٣٨ اشتركت ليلى مراد مع عبد الوهاب في بطولة فيلم «يحيا الحب» وتقاضت عن دورها في الفيلم ٢٥٠ جنيهاً مصرياً وشدت ليلى في الفيلم «ياما أرق النسيم» وديالوغ «طال انتظاري لوحدي» غنته مع عبد الوهاب

وغنت ليلى من ألحان عبد الوهاب أغنيتين في فيلم من أفلام نجيب الريحاني هما «أبجد هَوَّز» و«عيني بترفّ»

وكان عبد الوهاب معجباً بلفظ ليلى لحرف «الحاء» في أغانيها ووصفها بـ«الحاء الحلوة»

واشتركت في أفلام من بطولة الموسيقار والمطرب محمد فوزي كما لحن عدد من كبار الموسيقيين أغنيات لها منهم محمد القصبجي ، ورياض السنباطي ، وزكريا أحمد

*

رغم النجاح والشهرة اللذين حققتهما ليلى مراد المولودة في القاهرة ، فقد انتشرت إشاعات بأنها يهودية لأن والدها يهودي مغربي وأمها يهودية بولونية ، وأن أسرتها طلبت منها زيارة إسرائيل ، وأنها زارتها سراً وتبرعت للحكومة الإسرائيلية ما حمل السلطات المصرية على الشك في أنها ربما قد تكون جاسوسة ، ونتيجة لتلك الشائعات منعت الإذاعة السورية بث أغانيها

ومن الشائعات أيضاً أنها تزوجت الملك فاروق سراً ، وبأنها توفيّت في الخمسينات في حادث سيارة بباريس ، إلى شائعة أنها وُلدت رَجُلاً ثم تحولت إلى امرأة بعد عملية جراحية أجريت لها

يقول كُتّاب منهم إبراهيم العريس إن مصدر هذه الشائعات هو زوجها أنور وجدي الذي طلقها وأراد تدمير حياتها

وكان أنور وجدي ، الممثل المعروف ، قد شارك ليلى في بطولة عشرة أفلام وكان تزوّج بها عام ١٩٤٥ ثم طلقها عام ١٩٥٣ وبعد طلاقها تزوجت ليلى مراد مرتين ثم طُلّقت

نفت ليلى مراد التي أسْلَمت عام ١٩٤٦ جميع تلك الشائعات ، وحصلت على وثيقة رسمية من القوات المسلحة المصرية بَرَّأتها من تلك التهم وبعد براءتها رفضت الإقامة في إسرائيل وظلت مقيمة في القاهرة وفي قلوب معجبيها

الموسيقار محمد عبد الوهاب

وُصف الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب بموسيقار الأجيال وأسطورة الغناء العربي وعلى مدى أكثر من نصف قرن شَنّف آذان العرب والمصريين بموسيقاه الرائعة التي كرس حياته لها

ولد عبد الوهاب في القاهرة في الثالث عشر من آذار عام ١٩١٠ ، ودرس في مستهل حياته الفنية في المعهد العربي للموسيقى في القاهرة وبعد تخرجه درس مبادئ ونظريات الموسيقى الغربية في «معهد بيرغرن» بالقاهرة أيضاً

عام ١٩١٧ بدأ عبد الوهاب الغناء على المسارح في مصر وفي عام ١٩٢٢ رغم صغر سنه بدأ نجمه يلمع كمطرب محترف وانضم إلى فرقة نجيب الريحاني المسرحية ، ورافقها في رحلاتها الناجحة إلى الدول العربية

عام ١٩٣٣ اتجه نحو السينما دون أن يتخلى عن الموسيقى والغناء واشترك وغنّى ولحن جميع الأفلام التي أسندت إليه البطولة فيها وهي

ـ «الوردة البيضاء» عام ١٩٣١ و«يحيا الحب» عام ١٩٣٣ و«دموع الحب» عام ١٩٣٥ و«يوم سعيد» عام ١٩٤٠ و«ممنوع الحب» عام ١٩٤٢ و«رصاصة في القلب» عام ١٩٤٤ و«لست ملاكاً» عام ١٩٤٨

وتربّع عبد الوهاب على عرش الغناء والتأليف الموسيقي ، وبلغ عدد الأغاني التي لحنها بما في ذلك المقطوعات الموسيقية حوالى ١٨٠٠

وأنعش موسيقار الأجيال الموسيقى الشرقية بمزجها بالموسيقى الغربية بحيث يستسيغها محبّو الطرب في العالم العربي

*

تعلم عبد الوهاب العزف على العود على يد الموسيقار محمد

القصبجي وتأثر بالفولكلور المصري ، كما تأثر بفنان الشعب سيد درويش

وفي أثناء دراسته تولى رعايته أمير الشعراء أحمد شوقي الذي وصفه عبد الوهاب بأنه والده الروحي ونظم شوقي الكثير من القصائد التي غناها عبد الوهاب في مستهل حياته الفنية ونظراً لإعجاب شوقي بصوت عبد الوهاب كان يصطحبه معه في رحلاته إلى أوروبا والدول العربية وفي أثناء رحلات عبد الوهاب الخاصة إلى أوروبا وباريس بنوع خاص واستماعه إلى الموسيقى والغناء الغربي ابتكر الكثير من الألحان التي أبدع فيها

ولمع نجم مطرب المطربين في الواحد والثلاثين من أيار عام ١٩٣٤ عند تدشين الإذاعة المصرية وغنى بالمناسبة إحدى أغانيه الرائعة

ألف عبد الوهاب أكثر من خمسين مقطوعة موسيقية منها «حياتي» و«عزيزة» و«النهر الخالد» ولحّن ٢٥٧ أغنية منها ١٦٣ أغنية شدا بها بصوته الرخيم وكانت آخر أغنية شدا بها قبل وفاته هي «من غير ليه» ومن أشهر أغانيه «الجندول» و«كليوباترا» و«النهر الخالد» و«حياتي أنت»

*

الكثير من الأغاني التي لحنها شدا بها عدد من مشاهير المطربين والمطربات منهم عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وفيروز وفايزة أحمد وصباح ونور الهدى ومن أغانيه الوطنية «صوت الجماهير» و«فلسطين»

وكان لقاء القمة بينه وبين سيدة الطرب العربي أم كلثوم علامة بارزة وتطوراً في التلحين والغناء ودشن اللقاء ، الذي تم برعاية الرئيس جمال عبد الناصر ودعمه ، بتلحين قصيدة «أنت عمري» التي شدت بها أم كلثوم وكرت سبحة الأغاني التي لحنها لها منها «فكّروني» و«أنت الحُبّ» و«غداً ألقاك» و«هذه ليلتي»

في الثاني من شهر شباط عام ١٩٧٨ منح المعهد المصري للموسيقى الأسطوانة البلاتينية إلى عبد الوهاب تقديراً لعبقريته الفنية ، وكان الفنان العربي الوحيد الذي يحظى بمثل هذه الجائزة والفنان الثالث بعد المغني الفرنسي موريس شيفالييه

*

تميّز عبد الوهاب عن غيره من كبار الملحنين بأنه كان يلحّن كل بيت أو بيتين من القصيدة ، عاميّة كانت أو فصحى ، بلحن جديد فيما درج كثيرون على تلحين الأغاني بلحن واحد يشمل جميع أبيات القصيدة وكان يختار قصائده بدقّة ثم يلحّنها ولا يشدو بها أو لا تشدو بها مطربة أو مطرب إلاّ بعد أشهر وربما بعد مرور سنة على تلحينها

وكان يحب لبنان ويزوره كلما سنحت له الفرصة ، لكنه لا يستقل إلاّ الباخرة لأنه يرهب ركوب الطائرة وكان حريصاً لدى وصوله إلى بيروت على زيارة أمير الشعراء بشارة الخوري «الأخطل الصغير» ، والصحافي الكبير الأستاذ سعيد فريحة صاحب «دار الصياد» ، والأستاذ جورج إبراهيم الخوري رئيس تحرير الشبكة ، والسيد تيودور خياط صاحب شركة «صوت لبنان» لتسجيل الأسطوانات وكان تيودور قد ساعد خاله ميشال بيضا في إدارة شركة «بيضافون» لتسجيل الأسطوانات .

*

تكرّم موسيقار الأجيال واتصل بي هاتفياً في مركز عملي في وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء ، بعد أن اتصل برفيقة عمري هاتفياً وزوّدته برقم هاتفي في الوكالة

تكلم معي عبد الوهاب كعادته بأناة وصوت رخيم وقال لي «إن سمحت فأنا بانتظارك في أحد أجنحة فندق البريستول ببيروت الساعة الرابعة بعد الظهر»

في الموعد المحدد كنت أمام الجناح فتحت لي الباب المطربة نجاح سلام فوجئت بوجودها وقالت لي

ـ لقد طلبت من عبد الوهاب لحناً وقلت له إنني غنيّت مِن شعرك قصائد عدة فقال لي

ـ لقد سمعت مطربتنا نجاة الصغيرة تشدو بقصيدة «أنا ما زلت أهواه» للأستاذ عبود ولا مانع لديّ من تلحين قصيدة له لكي تغنيها

بعد مرور دقائق أطل الموسيقار الكبير فحياني بلطفه وأدبه المعروفين وقال لي بالحرف الواحد

ـ لقد أعجبت بقصيدتك «أنا ما زلت أهواهُ» التي شدت بها نجاة ، فهل تتكرم بأن تتلو قصيدة من قصائدك لكي ألحنها لمطربتنا نجاح؟»

قلت له إن أحدث قصيدة عنوانها «لا تسل عنه إن جفا» لقد أنجزت المقطع الأول منها

فقال لي كلّنا آذان لنسمع المقطع

فأنشدت

لا تسل عنه إن جفا هو لا يعرفُ الوفا
كنتُ بالأمسِ حُبَّهُ قبل أن كان مُترفا
كنتُ عينيه قلبَهُ شفتيه وما اكتفى
أيها الظالَم الذي ملكَ القلبَ واختفى

كان عبد الوهاب يستمع ويردد «يا سلام آه بحياة أبوك أعد لنا المطلع فأعدته بناء لطلبه ثلاث مرات

وتهلل وجه نجاح بشراً لإعجاب عبد الوهاب بالمطلع لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فقد احتفظ عبد الوهاب بالقصيدة بعد أن أنجزت المقطع الثاني وهو

لا تسل عنه إن جفا نالني منه ما كفى
غاب عن قلبه الوفاءُ وبالهجرِ أسْرَفا
حُلُمٌ مَرّ وانقضى وسِراجُ الهوى غفا
جَفّ يا ليل زيتُهُ منَ فؤادي وما انطفى
لا تسل عنه إن جفا وأخْلق الحُبَّ والصَّفا
مَن يخن عهد حبه فقد الحسّ والوفا

حتى الآن أجهل مصير القصيدة كما أجهل لماذا لم يلحّنها لنجاح التي ثارت لاحتفاظه بها

*

في الرابع من أيار عام ١٩٩١ لفظ الموسيقار الكبير روحه إلى بارئها مخلّفاً إرثاً موسيقياً وغناء خالداً

محمد فوزي

محمد فوزي مغنٍّ وملحن مصري ولد في طنطا عام ١٩١٨ كان والده مزارعاً في قرية (كفر أبو جنيدي) شقيقتاه بهيجة الممثلة التي اشتهرت باسم هدى سلطان، وزوزو المعروفة بهند علاّم اشتهر الإخوة الثلاثة بالصوت الجميل الذي ورثوه عن والدهم الذي كان يجوِّد القرآن في المناسبات الشعبية في القرية

منذ سنوات طفولته عُرف محمد فوزي بحبه للغناء وفي الثانية عشرة من عمره كان يغني كل يوم جمعة في حديقة ««المنتزه» أغنيات لكل من محمد عبد الوهاب وأم كلثوم، وهذا جعل كثيرين من المواطنين يدعونه إلى الغناء في أفراحهم وذلك قبل أن يتعلم أصول الغناء والعزف على النّاي

وذات يوم زار محمد العقّاد مدينة طنطا واستمع إلى غنائه وشجعه على الذهاب إلى القاهرة ودراسة الموسيقى في معهد فؤاد للموسيقى العربية وقبل محمد فوزي نصيحة العقاد، ودرس الموسيقى وأصول الغناء وبدأ يغني في فرقة بديعة مصابني لقاء راتب شهري

وفي أثناء عمله في فرقة بديعة مصابني أحب إحدى الراقصات في الفرقة ما اضطر بديعة إلى إنهاء عملها في الفرقة وفي الحال قدم محمد فوزي استقالته من الغناء في الفرقة، والتحق بفرقة فاطمة رشدي التي شجعته على التأليف الموسيقي، وبعد مرور بضع سنوات بدأ يؤلف الموسيقى ويلحن لفرقتها في الاستعراضات والاسكتشات الغنائية

وبدأت شهرة محمد فوزي وعين مغنّياً للفرقة المصرية الوطنية خلفاً لإبراهيم حمودة لكنّه رغم شهرته قدم طلباً ليصبح مغنياً في إذاعة القاهرة

فوافقت إدارة الإذاعة على تعيينه كمؤلف موسيقي وملحن وليس مغنياً وظل يشغل هذا المنصب حتى قيام الثورة المصرية في تموز عام ١٩٥٢

نجاح محمد فوزي شجّع الممثّل الشهير يوسف وهبي على التعاقد معه عام ١٩٤٤ للتمثيل في فيلم «سيف الجلاّد» وكان تمثيله في الفيلم الخطوة الأولى في عالم السينما ثم اختاره المخرج أحمد سالم للتمثيل في فيلم «قُبلة في لبنان» مع الممثلة مديحة يسري والممثل أنور وجدي والممثلة فردوس محمد وأدى اشتراكه في الفيلم إلى حبّه لمديحة فقرر العمل في إنتاج الأفلام والغناء فيها وبعد مرور عشر سنوات لمع اسمه وأصبح من أكثر الممثلين شعبية على الشاشة المصرية وأسفر حبه لمديحة يسري عن زواجهما

لكن نجاحه كمطرب وممثل ليس نهاية أحلامه ، فسافر إلى فرنسا وإنكلترا واليونان لتسجيل أغانيه وعاد إلى مصر وقرر إنشاء مؤسسة لتسجيل الأغاني وأسسها بتشجيع من زوجته

في أوائل تموز عام ١٩٦١ شهدت جمهورية مصر العربية حملة للتأميم ، وطالت الحملة مؤسسة محمد فوزي واستوديوهاته ومنزله في الأهرام ، ما أدى إلى مرضه ، وخلال خمس سنوات من المرض زار بريطانيا وفرنسا وأميركا على أمل بالشفاء ، لكن المعالجات والفحوصات الطبية أثبتت أنه مصاب بالسرطان ، وفي العشرين من تشرين الأول عام ١٩٦٦ توفاه الله

الموسيقار محمد القصبجي

محمد علي إبراهيم القصبجي موسيقار مصري شهير ولد في القاهرة في الخامس عشر من نيسان عام ١٨٩٢ اشتهر والده بالغناء وتجويد القرآن الكريم ، وقد لحن عدداً من الأغاني لمطربين بينهم عبدو الحمولي وصالح عبد الحي وزكي مراد ومحمد السنباطي

وكان الأب يتمنى أن يصبح ابنه من مشاهير مجوّدي القرآن الكريم وأن ينشأ تنشئة دينية ، لكن أمّه كانت تريد أن يدخل الجامعة ويتقن اللغتين الإنكليزية والفرنسية لكن محمداً القصبجي التحق عام ١٩٠٣ بمدرسة «عثمان باشا» الابتدائية

واكتشف الوالد أن ابنه يحب الموسيقى ، فشجعه واشترط عليه أن يتابع دراسته وذات يوم اصطحبه إلى أحد المسارح حيث كان يُغني سلامة حجازي وقد استفاد من استماعه إلى سلامة وحفظ أغانية من تواشيح وأدوار

عام ١٩١٣ أنهى القصبجي دراساته الدينية واهتم بالموسيقى وشجعه والده بشراء عود له وعلمه العزف عليه إضافة إلى تعليمه النظريات الموسيقية والنوتة وراح يتمرن على العزف وهو يتابع دراسته في مدرسة المعلمين وفي عام ١٩١٥ تولى تدريس اللغة العربية والحساب والجغرافيا في مدرسة زينب بنت خليل

عام ١٩١٧ استقال من منصبه كمعلم ليبدأ مرحلة جديدة من حياته وأراد بادئ ذي بدء أن يبدأ بالغناء ، لكنه لم يجد قصائد ليغنيها كما لم يجد من ناظمي القصائد أي مشجع له فقرر كتابة أغنياته وتلحينها وغناءها فحظي ببعض النجاح

من أغنياته التي شدا بها «الحُبّ لُوه في الناس أحكام» و«يا قلب ليه سرَّك» ، ثم بدأ بالعزف على العود في المسارح الليلية (الكباريات) منها كباريه «العوالم» ومن عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٣ طَوَّر القصبجي بعض «الطقاطيق» التي كان يغنيها بعض المغنين في المسارح الليلية بالإضافة إلى ذلك راح يعلّم العزف على العود في النادي الشرقي للموسيقى ، وكان من تلامذة النادي محمد عبد الوهاب الذي أصبح في ما بعد من كبار المطربين والموسيقيين

*

محمد القصبجي ، الذي ولد مع سيد درويش في عام واحد (١٨٩٢) ، لم يشتهر إلاّ بعد مرور خمس سنوات على شهرة سيد درويش وكان قبل لقائه أم كلثوم عبقرية موسيقية مكبوتة لأن مستوى الغناء الرائج قبل ظهور عبد الوهاب وأم كلثوم كان أدنى مستوى من الخيال الموسيقي الجامح والتجديدي بالنسبة إليه باستثناء سيد درويش

أول مَرّة استمع فيها القصبجي إلى أم كلثوم عام ١٩٢٤ وهي تغني «طقاطيق» و«منولوجات» منها «في غرامك ياما شفت عجايب« لإبراهيم فوزي وأول تعارف بينهما جرى عندما غنت أغنية من كلماته وتلحينه دون أن تحصل على إذن منه ، فاعتذرت إليه ليبدآ معاً رحلة طويلة في عالم الطرب والموسيقى والغناء

من الأغاني التي شدت بها أم كلثوم من ألحان القصبجي في مستهل رحلتهما الغنائية والموسيقية

- أنا عندي أمل تنسى اللّي حصل
- يا ريتني كنت النسيم
- لَحَدٍّ إمتى تداري حبك
- بحبَّك وانت مش داري
- قلبك غدر بي ورماني

*

شكّلَ القصبجي أول فرقة موسيقية لمرافقة أم كلثوم وعزف موسيقى الأغاني التي تشدو بها ، وكانت تتألف من محمد العقاد (القانون) سامي الشّوا (الكمنجة) محمد رحمة (ترديد بعض كلمات الأغنية أي مُرَتل) والقصبجي (العود)

واعتبر القصبجي أم كلثوم المغنية الأولى وأول أغانيه التي لحنها لها وشدت بها بعد الطقاطيق التي أنشدتها له وأذاعتها إذاعة القاهرة

- «ياللي جفاك المنام» نظم الشاعر أحمد رامي
- «رق الحبيب» نظم أحمد رامي

ومن أشهر القصائد التي غنتها أم كلثوم ولحنها القصبجي وعبد الوهاب ورياض السنباطي وزكريا أحمد وبليغ حمدي ومحمد الموجي «الشّك يحيي اليقين» و«اسكت والدمع تكلم» و«غلبت أصالح بروحي» و«جدّدت حُبّك ليه» و«أنت عمري» و«الأطلال» و«فات الميعاد» و«أنت الحب» و«ألف ليلة وليلة» و«أنساك» و«يا ظالمني» و«جمالك ربنا يزيده» و«الهوى غلاّب» وغير ذلك من الأغاني التي لا تزال تذيعها محطات الإذاعة والتلفزيون في العالم العربي إضافة إلى الإذاعات الأجنبية في أوروبا وأميركا

*

واشتهرت أغنيات لحنها القصبجي لعدد من الأفلام المصرية ، كما لعب دوراً في فيلم «ليلة في الظلام» بطولة ليلى مراد ، كما اشتهرت أغانيه في أفلام «وداد» و«عايدة» و«فاطمة» و«نشيد الأمل»

ومن أغانيه التي اشتهرت وشدت بها أسمهان «ليت للبرّاق عيناً» وقد غناها في فيلم «ليلى بنت الصحراء» عام ١٩٣٧ المطرب إبراهيم حمودة ثم غنتها أسمهان وسُجّلت على أسطوانة وبعد فيلم «عايدة» أصبح القصبجي الملحن الأول لأم كلثوم وعازف العود في فرقتها الموسيقية

من الأوسمة التي زينت صدر القصبجي

- وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى تقديراً لنتاجه الفنّي في

حقل الموسيقى العربية وذلك عام ١٩٦٠

- وسام الدولة لريادته وتجديده الغناء العربي وذلك عام ١٩٦٣
- وسام معهد الموسيقى العربية تقديراً لفنه وذلك عام ١٩٦٥
- عام ١٩٨٨ مُنح (بعد وفاته) وسام تقدير من التلفزيون المصري لمناسبة اليوبيل الفضي للتلفزيون

*

أول زوجة للقصبجي تدعى هاجر، تركية الأصل ابنة أحد قضاة استانبول عقد زواجه عليها عام ١٩٢٢ استمر زواجهما ثلاث سنوات، ثم تزوج مصرية تدعى زينب واستمر زواجهما سنتين، وزوجته الثالثة تدعى ريم وكانت تلميذته وقد تزوجا عام ١٩٣٠ وفي عام ١٩٣٢ تزوج سيدة مصرية تدعى توحيدة حسين وظلت إلى جانبه إلى يوم وفاته في السادس والعشرين من آذار عام ١٩٦٦ على أثر إجراء عملية جراحية له لم يرزق أطفالاً من أي زوجة من زوجاته الأربع

الموسيقار محمد كامل الخُلَعي

من بين كبار الملحنين والموسيقيين المصريين لا يزال محمد كامل الخُلعي يحظى باهتمام الشعب المصري والشعوب العربية وكان يعتبر من أوائل الرّواد في الحقل الموسيقي وموسيقاه تجسد الموسيقى الشرقية

وُلد الخُلعي عام ١٨٨١[١] في الإسكندرية ، وكان والده ضابطاً في الجيش في حامية الإسكندرية تلقى علومه الابتدائية في الإسكندرية ، ثم انتقل إلى القاهرة وبدأ بدراسة الموسيقى في شارع محمد علي

ظهر عليه حبه للموسيقى وهو صبي فبدأ يعزف على بضع آلات موسيقية وتعرّف إلى الشيخ محمد توفيق البكري الأديب والفنان والعالم الديني ثم تعرف إلى الشيخ أحمد أبو خليل القبّاني في مقهى الفيشاوي بالقاهرة

عام ١٨٩٢ سافر الخُلعي إلى سوريا برفقة الشيخ أحمد أبو خليل القباني وبعد أن زار عدداً من المدن السورية ، زار بغداد والآستانة والموصل لدراسة الموسيقى وأصبحت لديه الخبرة في الموسيقى الشرقية والعربية والفارسية والتركية

ودرس أصول الموسيقى الغربية أيضاً ، لكنه كان يرى في الموسيقى الشرقية التعبير الجيد للروح الشرقية ، غير أنّه لم يحاول تطوير وتجديد تلك الموسيقى

عام ١٩٠٢ ، بعد مغادرته سوريا عائداً إلى مصر ، انضم إلى جماعة من المغنين وعمل مغنياً وبعد أن درس الموسيقى التي ألفها عدد من مشاهير الموسيقيين آنذاك منهم ، عبدو الحمولي ، وسلامة حجازي ، وداود حسني ، وسيد درويش ، بدأ بتأليف موسيقاه

*

(١) في «المنجد» ولد عام ١٨٧٥

كان الخلعي ، إضافة إلى شهرته في الموسيقى والشعر والأدب ، مؤلفاً له شأنه ففي عام ١٩٠٣ ألّف كتاب «الموسيقى الشرقية» الذي ألقى ضوءاً على تاريخ الموسيقى ، وكتاب «نيل الأماني في ضروب الأغاني» وكتباً أخرى

وعَلَّم الخلعي كُلاً من أحمد صدقي وإبراهيم حجّاج وإسماعيل شبانة وغيرهم كما وضع ألحاناً لمسرحيات مثلتها منيرة المهدية منها «كارمن» و«تاييس» بعد أن ترجمت إلى اللغة العربية كما وضع ألحاناً للكثير من المسرحيات الأخرى

واشتهر بتلحين الموشحات فلحّن حوالى ١٥٠ موشحاً إضافة إلى ٦٠ أوبريت وكان رائداً في تعليم الموسيقى في المدارس والمعاهد كما كان أول موسيقار يمثل مصر في المؤتمر العالمي للموسيقى عام ١٩٣٢

ومن غريب المصادفات أن آخر أوبريت وضعها الخلعي قبل وفاته عام ١٩٣٨ كان اسمها «الوداع»

□ من الموشحات التي لحّنها

هات يا ساقي الحُميّا إنَّ نجمَ اللّيلِ غرَّبْ
وأشفَ يا باهي المُحيّا مُدنَفَ القلبِ المُعَذّبْ

الموسيقار محمد الموجي

وُلد الموسيقار محمد الموجي في الرابع من آذار عام ١٩٢٣ وقد أغنى الحياة الفنية في مصر بموسيقاه وألحانه على مدى نصف قرن تقريباً

أحب الموجي الموسيقى وهو صبي وكان والده شغوفاً بالموسيقى والعزف على العود كما كان خاله محبّاً للفن ولديه مكتبة تضم كتباً كثيرة في الموسيقى والأدب والشعر إضافة إلى تسجيلات لأغنيات عبد الحي حلمي ومنيرة المهدية وأم كلثوم فكان الموجي يمضي ساعات في مكتبة خاله مستمعاً إلى تلك الأغاني

حبه للموسيقى طغى على كل شيء وغير نهجه في حياته فتخلّى عن متابعة دراسته كمهندس زراعي ليتخصص في الفن وقد شجعه الأقرباء والأصدقاء بعد أن استمعوا إلى صوته على السير في حقل الغناء والموسيقى والطرب وكان من عشاق صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب

تعلم الموجي العزف على العود ، وأصبح مطرباً من مطربي الإذاعة المصرية لكن حبه للتأليف الموسيقي والتلحين طغى على حبه للغناء

وقد لحن الموجي أغنيات لكثيرين من مطربي الإذاعة المصرية والإذاعات العربية واعتبر واحداً من مشاهير العازفين على العود ، وتأثر كثيراً في عزفه على العود بالعازفين على هذه الآلة الموسيقية وهما محمد القصبجي ورياض السنباطي

من المقطوعات الموسيقية التي ألّفها «بنات بحري» كما وضع موسيقى لفيلمين مصريين هما «الراقصة والطّبال» و«العصابة»

عام ١٩٥٤ لحن أول أغنية للمطربة الكبيرة أم كلثوم ووضع ألحاناً

لعدد من المسرحيات منها مسرحية «وداد الغجرية» ، كما ساهم بأغنيات لحنها في عدد من الأفلام السينمائية لمطربين ومطربات منهم عبد الحليم حافظ وشادية وصباح ونور الهدى ووردة وفايزة أحمد ومحرّم فؤاد وماهر العطّار

اشترك في التمثيل والغناء في فيلمين هما «رحلة حب» و«أنا وقلبي» عام ١٩٦٠ أسس مدرسة اسمها «مدرسة الموجي» للغناء والموسيقى تخرج منها ماهر العطار ومحرّم فؤاد ومها صبري

من أشهر أغانيه التي شدت بها أم كلثوم «فات الميعاد» كما اشتهر بتلحين قصيدة «رسالة من تحت الماء» للشاعر نزار قباني التي شدا بها عبد الحليم حافظ

حاز على عدة أوسمة منها وسام الاستحقاق من مصر ودول عربية أخرى إضافة إلى وسام الاستحقاق الذي منحه إياه الرئيس المصري الراحل أنور السادات

نجاة الصغيرة

صوتها يزخر بالحنان والأنوثة الحميمة إنه حنان عاشقة لفارس أحلامها عندما تغني تنسجم مع اللحن ومع كل كلمة من كلمات الأغنية فكأن الأغنية تجسد مشاعرها وأحاسيسها وهنا سرّ نجاحها وتألقها وشهرتها

كل من استمع إلى أغنيتها «ساكن قصادي» من ألحان الموسيقار عبد الوهاب يحس بأنها هي المتيمة بالحب وفي أغنية «لا تكذبي» بأنها هي التي كذبت بالفعل على حبيبها وفضّلت عليه حبيباً آخر وفي قصيدة «أيظنّ» للشاعر نزار قباني كانت العاشقة التي تنازعتها عدة مشاعر وأحاسيس نحو من تحب

تعرفت إلى نجاح الصغيرة من خلال صداقتي لأخيها الملحن عز الدين حسني بعد أن قدمني إليه المذيع السوري منير الأحمد الذي كان يعمل في إذاعة لبنان ضمن برنامج تبادل المذيعين بين لبنان وسوريا ـ ومنير هو ابن الشاعر الكبير «بدوي الجبل» محمد سليمان الأحمد

كان كل ما يتمناه عز الدين أن تغني شقيقته نجاة الصغيرة قصيدة من ألحانه هذا الهاجس ظل مصدر قلق له على مدى سنوات وعندما صدر ديواني الثاني «حبي له أكثر» أهديت عز الدين نسخة منه فاختار قصيدة «أنا ما زلت أهواه» ومطلعها

أنا ما زلت أهواهُ وفي قلبي ذكراهُ
وتهفو دائماً عيناي يا أمي لمرآهُ
فمن أقصاهُ عن دربي ومَن يا رب أغواه
ليهجرني وينساني كأني لستُ أهواه
ليهجرني وأنّي ما عرفت الحُبَّ لولاهُ
أأنساه؟ وينساني الهنا إن كنت أنساهُ

وذات يوم حضر عز الدين إلى منزلي ووجهه يطفح بشراً وقال لي

ـ لقد وجدتها وستحقق أمنيتي

ـ ماذا وجدت

ـ قصيدة «أنا ما زلت أهواه» وقد قرأتها نجاة وأعجبت بها وطلبت مني أن ألحّنها بقي عليك يا صديقي أن تتصل بمدير الإذاعة الأستاذ حسن الحسن لتحديد موعد وحجز الأستوديو لتسجيل الأغنية ، فقد فرغت من تلحينها وحفظت نجاة اللحن

ووافق حسن الحسن الذي تعود صداقتي له إلى الأربعينات وحدد موعداً لتسجيل الأغنية وحضر التسجيل الموسيقار توفيق الباشا رئيس الدائرة الموسيقية في الإذاعة اللبنانية وظريف لبنان نجيب حنكش والزميل جورج إبراهيم الخوري رئيس تحرير «الشبكة» ومدير الإذاعة وكاتب هذه السطور وكنا نستمع إلى الغناء من وراء حاجز زجاجي وكان حنكش يردد مع نهاية كل بيت تغنيه نجاة

ـ تقبريني يا نجاة شو ها الصوت الملائكي شو ها الأبيات الحلوة يا خازن !

وفيما كانت نجاة منسجمة توقفت فجأة عن الغناء واحتار الملحن عز الدين وقال حنكش لتوفيق الباشا

ـ شو صار يا توفيق !

ـ علمي علمك صبرك علي

ودق الباشا على الحاجز الزجاجي وفتح باب الأستوديو فبادرته نجاة

ـ أرجو من الشاعر خازن عبود أن يغير كلمة «ينجلي» ولفظت الكلمة باللهجة المصرية (ينغلي) وقد وردت في البيت

سأصبر يا نجوم الليل حتى ينجلي فجري

وأضافت نجاة

ـ إيه يعني ينغلي ! مش فاهماها مش عاجباني

وأصرّت نجاة على تغيير الكلمة وتمسكت بدوري بها رافضاً تغييرها وتدخل نجيب حنكش وقال لي

ـ يا تقبرني يا خازن غيّر الكلمة وأمرك لله حرام أن يذهب اللحن والكلمات هباء

ـ آسف يا ظريف لبنان لن أغير الكلمة

وتدخل حسن الحسن والباشا فأصرّيت على موقفي الرافض وحسم عز الدين المشكلة عندما قال لنجاة

ـ من شان خاطري يا نجاة غنيها بلا عزف من الفرقة الموسيقية وسأرافقك بنغمات من الكمان

فقالت له

ـ لا بأس

وغنت نجاة القصيدة وتنهد نجيب حنكش وقال «الحمد لله .» وقال حسن الحسن إن نجاة والشاعر قدما الأغنية هدية إلى الإذاعة اللبنانية وعلى مدى أسبوع كامل كانت الإذاعة تذيع الأغنية أربع مرات يومياً ونشرت جميع الصحف والمجلات اللبنانية القصيدة كاملة وأشادت بكلماتها وبغناء نجاة ووصفت مجلة الإذاعة والتلفزيون المصرية الأغنية بأنها «أيظن» الجديدة التي صدحت بها نجاة الصغيرة وسجلت نجاة القصيدة على أنغام الفرقة الماسية لحساب الإذاعة المصرية ونقلتها جميع الإذاعات في الدول العربية وفي إذاعتي لندن وباريس

وردة الجزائرية

أحبت وردة الموسيقى والغناء وهي صغيرة السن وكانت كل ليلة تغادر غرفة نومها سراً وتختبئ في إحدى الزوايا على مدى ساعتين أو ثلاث ساعات للاستماع إلى الفرقة الموسيقية التي تعزف الألحان في النادي الليلي الذي يملكه والدها في المبنى الذي تقيم فيه أسرتها وصباح اليوم التالي تغني ما سمعته من الأغاني التي شدا بها المغنون في النادي

كانت وردة حينذاك تجهل الكتابة بالعربية ، فكانت تطلب من أخيها الأكبر سناً منها أن يكتب لها الأغاني العربية بالأحرف اللاتينية وبين حين وآخر سمح الوالد لكريماته بالظهور على مسرح ناديه الليلي بناء لطلب من أحد أصدقائه

وأطلق والد وردة على ناديه اسم «تام تام» وهو مختصر لثلاث دول مغربية هي تونس والجزائر والمغرب (TAM TAM) وأصبح النادي من أشهر النوادي الليلة في باريس المتخصّصة بالموسيقى والغناء العربي

ولدت وردة الجزائرية في Puteaux بالقرب من باريس في تموز عام ١٩٤٠ من أب جزائري اسمه محمد منتوكي وأم لبنانية وهو أول جزائري يهاجر إلى فرنسا وقد امتلك فندقاً صغيراً ومطعماً حوّلهما إلى ناد ليلي

عندما بدأت الثورة الجزائرية للاستقلال عن فرنسا عام ١٩٥٤ كانت وردة في الرابعة عشرة من عمرها ، فشدت بأغنيات وطنية منها «يا حبيبي يا مُجاهد» و«بلدي يا بلدي» و«يا مْرَوِّح للبلد» وفي عام ١٩٥٨ وقد استعرت الحرب في الجزائر غادرت أسرتها إلى بيروت وغنت وردة في العاصمة اللبنانية أغنية «جميلة» وهي المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد ، وأغنية «أنا من الجزائر أنا عربية» وفي أثناء وجودها في لبنان غنت في أشهر النوادي الليلة في عاليه (طانيوس) وكانت في السابعة عشرة من عمرها

عام ١٩٦٠ وصلت وردة إلى القاهرة ، فلمست لدى الموسيقار رياض السنباطي رغبة لتلحين أغنيات لها ، فلحن لها أغنية «يا حرية أنا بندهلك» وأغنيات تكريماً لفلسطين التي عانت من وحشية الصهاينة ذكرت فيها مجزرة كفر قاسم ودير ياسين ونضال الفلسطينيين وعام ١٩٦١ اشتركت مع نجاة الصغيرة وصباح وشادية وعبد الحليم حافظ ومحمد قنديل وغيرهم في غناء «الجيل الصاعد» و«الوطن الأكبر» من تلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب

وبعد مرور بضعة أشهر على استقلال الجزائر وصلت وردة لأول مرة إلى الجزائر لأنها لم تكن تعرفها من قبل ، وتزوجت ،فطلب منها زوجها التوقف عن الغناء والاهتمام بأسرتها ، فانصاعت لطلبه عشر سنين لكنها لم تكن مسرورة للغناء لأطفالها ولبعض أصدقاء أسرتها فقط

عام ١٩٧٢ طلب منها الرئيس الجزائري هواري بومدين الغناء لمناسبة مرور عشر سنوات على نيل الجزائر استقلالها ، فوافقت ، وكانت موافقتها النهاية لزواجها وفي العام نفسه عادت وردة إلى القاهرة ، وتألق نجمها في الغناء وأصبحت من مشاهير المطربات في العالم العربي عندما غنت «خلّيك هنا» وأغنيات أخرى من تلحين الموسيقار بليغ حمدي

واشتركت وردة في تمثيل فيلمين هما «صوت الحب» و«حكايتي مع الزمن» شدت فيهما بأغنيات من تلحين عبد الوهاب وكمال الطويل ومحمد الموجي وزوجها بليغ حمدي (فيما بعد)

من أشهر أغانيها «إسأل دموع عينيّ» تلحين عبد الوهاب و«لعبة الأيام» تلحين رياض السنباطي و«بتونّس فيك» وغيرها من عشرات الأغاني العاطفية والوطنية

وبزواجها من بليغ حمدي نالت الجنسية المصرية ، لكن زواجها لم يُعمر طويلاً

الموسيقى والغناء
في لبنان

محطة راديو الشرق

لا بد قبل البدء بتقديم الموسيقيين والمغنين من إلقاء لمحة تاريخية موجزة عن تأسيس محطة الإذاعة اللبنانية ففي الأول من شهر نيسان عام ١٩٣٨ كانت التجربة الأولى للإرسال من محطة «راديو الشرق» على موجة ضعيفة طولها ٢٢٨,٥ متراً بقوة نصف كيلو وات النتائج كانت مشجّعة ما دعا سلطات الانتداب الفرنسي إلى تقوية الإرسال إلى ٢,٥٠ كيلو وات واستمرت التجارب حتى مساء ٣ أيلول من العام نفسه حيث انطلق أول صوت عبر الأثير من لبنان وكان المذيع فرنسياً اسمه شامبار فقال «آلو آلو هنا راديو الشرق»

افتتح رئيس الجمهورية الأستاذ إميل إده المحطة باسم لبنان وكان إلى يمينه ميريه المندوب العام للمفوض السامي ممثلاً سلطات الانتداب ، وإلى يساره الأستاذ فارس الخوري وزير الاقتصاد السوري الذي تكلم باسم سوريا

أول فرقة موسيقية لإذاعة راديو الشرق تألفت من كارنيك كازنجيان (عود) محيي الدين سلام (عود) إدمون مجاعص (كمان) محمود الرشيدي (كمان) محمد الطرابلسي (دف) بهيج ميقاتي (قانون) قسطنطين الشويتي (كمان) أحمد علوان (فيولونسيل) وأول فرقة عزفت مقطوعات موسيقية من الإذاعة اللبنانية كانت مؤلفة من أحمد علوان ، بهيج ميقاتي ، ومحمود الرشيدي

واستمر راديو الشرق في إذاعة نشراته الإخبارية وحفلاته الغنائية حتى دخول الحلفاء إلى لبنان وسوريا في أثناء الحرب العالمية الثانية ، فتعطل البث عندما أطلقت إحدى السفن الحربية البريطانية قذيفة من البحر على أجهزة الإرسال في خلدة فعطلت الموجة المتوسطة في المحطة ثم أمر الجنرال دانتز

(حكومة فيشي) بنسف بقية الأجهزة فتوقف الإرسال بعض الوقت ، وعادت المحطة إلى البث على موجة طويلة بصورة مؤقتة حيث انتقل الستوديو إلى غرفة في قصر الصنوبر ببيروت

لكن همة اللبنانيين لا تعرف الكلل ولا الملل فبدأ الاختصاصيون بتركيز آلات ومعدّات جديدة ، وساعد في ذلك المهندسانَ جوزيف رحَيِّم وأنطوان شدياق إضافة إلى ميشال صبرا وسليم سعد ولويس رزق

واستمرت المحطة تعمل خلال الحرب العالمية الثانية ولكن ضمن إطار محدود وكان شامبار رئيس قسم الدعاية والاستعلامات في المفوضية الفرنسية يشرف على المحطة ويذيع الأخبار باللغة الفرنسية وعُيِّن الأستاذ ألبير أديب أول مدير إذاعي للقسم العربي ، والشاعر سعيد عقل مذيعاً باللغة العربية ، كما عُيّن الشاعر غنطوس الرامي في قسم الأخبار .

أوائل المُغَنِّين اللبنانيين

في أول انطلاقة للغناء من راديو الشرق اشتهر كل من الملحنين والمغنين والمغنيات أوديت كعدو ، عدلا جدعون ، زكية حمدان ، نجيب الشلفون ، إيليا بيضا ، خليل مكينة ، وديع الصافي ، إدمون مجاعص ، فيلمون وهبي ، نقولا المني ، داود قرانوح ، يوسف حاتم ، عبد القادر رمضان ، نجاح سلام ، يحيى اللبابيدي ، سوسن ، وإلياس القطريب

ومن الأدباء الذين ساهموا في وضع حجر الأساس للنهضة الإذاعية بلبنان الشعراء بشارة عبدالله الخوري (الأخطل الصغير) ، خليل مطران ، إلياس أبو شبكة ، صلاح الأسير ، صلاح اللبابيدي ، رشدي المعلوف ، وليم صعب ومن الأدباء فؤاد أفرام البستاني ، مارون عبود ، جوزيف باسيلا ، والصحافي إسكندر الرياشي ، وعمر الزعني

في الأول من نيسان عام ١٩٤٦ وفي عهد الرئيس الشيخ بشارة الخوري أصبح راديو الشرق يعرف باسم «الإذاعة اللبنانية» وأول مدير لها كان الأستاذ محمد صبرا وكان من مساعديه فؤاد قاسم والشاعر نجيب إليان ، وعلي عمّار ، وملحم غصن ، والآنسة أليس مكرزل ومن الأدباء الأستاذ سمير شيخاني المسؤول عن البرامج الثقافية

من الذين تعاقبوا في عهد الاستقلال على منصب مديرٍ للإذاعة اللبنانية الأساتذة فايز مكارم ، وأسعد الحسن ، وحسن الحسن ، وكاظم الحاج علي وغيرهم

وتطورت الموسيقى والأغاني في الإذاعة اللبنانية وظهر عدد كبير من

أصحاب المواهب في التلحين والغناء عندما أشرف كل من الموسيقار حليم الرومي والموسيقار توفيق الباشا والموسيقار خالد أبو النصر على البرامج الموسيقية والغنائية ، فقدّموا إلى اللبنانيين والعرب باقة من المطربين والمطربات والملحّنين منهم نهاد حداد التي اختار لها حليم الرومي لقب «فيروز» ونصري شمس الدين ووديع الصافي والأخوان رحبانيَ وفيلمون وهبي وصباح ونور الهدى وسعاد هاشم وعفيف رضوان ونجاح سلام وأسعد حربا وإحسان صادق وسلمى رعد وهيام ونزهة يونس ووداد ونازك وفؤاد زيدان وصابر الصفح وحسن عبد النّبي وسميرة توفيق وسمير ياغي ونونا الهنا وسعاد محمد وعزيز شيحا وسلوى القطريب وزكية حمدان وجوزيف عازار وسامي الصيداوي ونادیا شمعون وأوديت كعدو ولور دكاش التي اشتهرت بأغنية «آمنت بالله»

ومن أشهر البرامج التي بثتها الإذاعة اللبنانية «بيفرجها الله» للزميل الأستاذ جورج إبراهيم الخوري رئيس تحرير الشبكة و«دنيا البيت» للأديبة إدفيك شيبوب و«سهرة مع الأنغام» للأستاذ سعد سامي رمضان و«نُزهة» لشريف الأخوي و«الإذاعة كانت هناك» لحسن عيد و«ما يطلبه المستمعون» لبديعة فتح الله إضافة إلى «ليالي الزّجل» و«الرياضة» لناصيف مجدلاني ، وأشرف الأديب سمير شيخاني على البرامج الأدبية التي تسلمها بعد وفاة المشرف عليها فؤاد قاسم وتولى زيد جبر تقديم البرامج السينمائية

وكان لمهرجانات بعلبك الدور الأساسي في إحياء التراث الشعبي اللبناني وكان للأخوين رحباني والصحافي الكبير الأستاذ سعيد فريحة مؤسس «دار الصياد» و«فرقة الأنوار» والفنان روميو لحّود الفضل في تعريف العالم العربي على هذا الفن اللبناني

موسيقيون ومطربون

من كبار الموسيقيين الذين عرفهم لبنان وديع صبرا ملحّن النشيد الوطني اللبناني ، والموسيقار الدكتور وليد غلميّة رئيس المعهد الوطني للموسيقى والغناء ، والموسيقار توفيق الباشا ، والأخوان رحباني ، والموسيقار سليم الحلو ، والموسيقار حليم الرّومي كما اشتهر كل من عبد الرحمن الباشا ووليد عقل بالعزف على البيانو ، والأخوان فليفل اللذان اشتهرا بتلحين الأناشيد الوطنية من نظم شعراء لبنانيين وعرب وقد ذاعت شهرتهما في لبنان والعالم العربي

وتحول محمد سلمان من الغناء ليصبح أول مخرج سينمائي لبناني ، فأخرج عدة أفلام لبنانية ومصرية منها فيلم «موال» بطولة صباح ووديع الصافي و«بدوية في باريس» بطولة سميرة توفيق

واشتهر كل من الدكتور وليد غلمية وتوفيق الباشا بتأليف سيمفونيات ذاع صيتها على الصعيدين العربي والأجنبي

الأخوان إميل وفريد غُصن

برع الأخوان إميل وفريد غصن في الموسيقى والتلحين وعمل فريد مع فرقة منيرة المهدية بمصر فيما تخصص شقيقه إميل بالتأليف الموسيقي ، إضافة إلى تأليف عدة كتب حول الموسيقى

يعود للأخوين غصن فكرة حقّ الأداء العلني وحماية الملكية الفنية للموسيقيين مؤلفي الأغاني في لبنان وأول كتاب ألّفه إميل ، الذي كان يشغل منصب أستاذ الكمان في المعهد الموسيقي الوطني ، عنوانه «مدرسة الكمان الشرقية» وقد أقرّت وزارة التربية الوطنية اللبنانية الكتاب لتدريسه في المعاهد الرسمية آنذاك واشتهر فريد بالعزف على العود

وترأس إميل عدة فرق موسيقية عالمية وساهم مع شقيقه فريد في تأسيس جمعية المؤلفين والموسيقيين وناشري الموسيقى في لبنان

الأخوان رحباني

الأخوان عاصي ومنصور الرحباني موسيقيان وشاعران ولد عاصي عام ١٩٢٣ ومنصور عام ١٩٢٥ تلقيا دروسهما الابتدائية في بلدة أنطلياس ، وكان أستاذهما فريد أبو فاضل وكان والدهما حنا الرحباني يعتبر من القبضايات فقد هرب من القوات العثمانية في بيروت بعد أن حكم عليه بالإعدام وكان يلتقي في مقهاه في أنطلياس بعض القبضايات المعروفين آنذاك منهم إلياس الحلبي وأحمد الجاك

اشتهر حنا الرحباني بالعزف على البزق وكان عاصي ومنصور يستمعان إلى عزفه بشغف ينم عن حبهما للموسيقى ، كما كان والدهما يحب قراءة الشعر وشاعره المفضل كان عنترة العبسي

كان عاصي يحب المدرسة على عكس منصور الذي اشتهر بالهرب من متابعة دراسته سواء في مدرسة أنطلياس أو مدرسة عبرين للراهبات وعرف عن عاصي أنه كان يرغب في أن يصبح صائغاً ، أما منصور فقال إنه يريد أن يكون تمساحاً

عام ١٩٣٢ باع حنا الرحباني مقهاه إلى الذي أصبح عمّه أي والد زوجته وكان حنا ينوي شراء بعض سيارات الشحن ، لكنه عدل عن الشراء عندما قال له أحد أصدقائه إنه يوجد بالقرب من ضهور الشوير في منطقة الينابيع حيث مسقط رأس أسرته الأصلي مقهى للإيجار ، رحب بالفكرة واستأجر المقهى ، وبعد مدة استأجر محلاً في أنطلياس وحوّله إلى مطعم يستغله في فصل الشتاء ، وفي الصيف يشرف على مطعمه في منطقة الينابيع

كان منصور يكره مادة الحساب ويحب الأدب ، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره اشترك في مجلة «المكشوف» الأدبية لصاحبها ورئيس تحريرها فؤاد حبيش واشترك مع عاصي في مجلة «الرياض» التي كان يحررها أستاذهما فريد أبو فاضل مدير مدرسة أنطلياس الابتدائية الذي شجعهما على دراسة الأدب والفلسفة وقراءة الأدب العالمي وقصص دوستويفسكي وقصائد شكسبير

عام ١٩٣٧ أصدر عاصي مجلة «الحرشاية» التي كان يحررها بيده ، كما أصدر منصور مجلته «الأغاني» وكان يحررها بيده أيضاً

عام ١٩٣٨ أقامت أسرة الرحباني في أنطلياس والتقى عاصي ومنصور الأب بولس الأشقر الأنطوني الذي كان قد أقام في أنطلياس لتأسيس جوقة من المرتلين وطلب الرحبانيان من الأب بولس أن يضمهما إلى الجوقة فوافق على ضم منصور إلى الجوقة ورفض «عاصي» لأن صوته لم يعجبه لكن «عاصي» لم ييأس وظل يسترق السمع عندما كان أفراد الجوقة يرتلون وذات يوم سأل الأب بولس أفراد الفرقة عن نظرية الأنغام الشرقية ذات الأرباع الصوتية فلم يعرفوا ، فخرج عاصي من مخبئه ودخل الصف وشرح للأب بولس النظرية فوافق على ضمه إلى الجوقة

وبدأ عاصي ومنصور تعلُّم أصول الموسيقى على يد الأب بولس ، لكنهما كانا يفتقران إلى آلات موسيقية وعندما كان يغيب والدهما عن المنزل كانا يعزفان على بزقه وكانا يعزفان على البيانو والأرغن في الكنيسة بعد خلوها من المصلّين ووشى بهما أحد الشبان إلى والدهما وقال له إن عاصي ومنصور حوّلا الكنيسة إلى ناد ليلي وكان حنا الرحباني محافظاً ومتديناً فطلب منهما مساعدته في المقهى ، فتدخل الأب بولس وطلب من والدهما السماح لهما بالعودة إلى الكنيسة والاشتراك في العزف والترتيل

عام ١٩٤٢ أصبح عاصي شرطياً في بلدية أنطلياس ، وعام ١٩٤٣ أصبح منصور بوليساً في قوى الأمن وفي أثناء عملهما كشرطيين أسسا مع

عدد من الشبان نادياً ثقافياً أطلقا عليه اسم «نادي أنطلياس»« وأخرجا ومثّلا مع عدد من الشبان مسرحيات من تأليف الروائي اللبناني إميل حبشي الأشقر وغيره وفي صيف عام ١٩٤٣ دمّر فيضان المقهى ، وكان على الرحبانيين إعالة الأسرة المؤلفة من ثلاث فتيات وأخ وعشية عيد الميلاد عام ١٩٤٤ توفي والدهما

*

لحّن الأخوان رحباني الكثير من الأغنيات وألّفا عدة مقطوعات موسيقية في مستهل حياتهما الفنية بثتها إذاعة لبنان وقد اتسمت ألحانهما بالرّقة والحداثة كشعرهما استقبل اللبنانيون والعرب نتاجهما بترحيب بالغ وكان لصوت فيروز ، التي أصبحت زوجة عاصي ، الفضل في انتشار أغانيهما التي كانت لا تتعدى مدة غناء كل أغنية منها أربع دقائق

تبنّتهما محطة إذاعة الشرق الأدنى بدعوة من رئيس الدائرة الموسيقية فيها آنذاك الأستاذ صبري الشريف ثم تحولا إلى الإذاعة اللبنانية

نظما الشعر العامي والفصيح والموشحات فأجادا وأبدعا ، وأعادا توزيع بعض الموشحات الأندلسية القديمة وأغاني الشيخ سيّد درويش وزكريا أحمد وغيرهما ووزعا الأنغام الشرقية ذات الأرباع الصوتية كالسيكاه والبيات

عندما بدأت إذاعة دمشق بث أغاني الأخوين رحباني بصوت فيروز ، عارض السياسي السوري فخري البارودي إذاعة أغانيهما لأنّها تشوّه وتسيء إلى اللغة العربية والموسيقى العربية ، ونقم على مدير الإذاعة آنذاك أحمد العسّة لأنه سمح بإذاعة أغاني فيروز ورد عليه العسّة بقوله إنه مخطئ وإنه اكتشف مطربة كبيرة ودعاه إلى محطة الإذاعة للاستماع إلى إحدى أغانيها من ألحان الأخوين رحباني

واستمع البارودي إلى أغنية «سوقي القطيع إلى المراعي» فأحبها وطرب لدى سماعها واعترف بأن فيروز مطربة كبيرة ، وأصبح من عشاق

ألحان الرحبانيين ، وأصبح ، كما نقل عنه قوله «إنني من المدمنين على سماع صوت فيروز وموسيقى الأخوين رحباني»

عام ١٩٦٠ طُلب إلى الأخوين رحباني الاشتراك في مهرجان الأغنية بدمشق فوافقا وكان من الجالسين في الصف الأول فخري البارودي وغنت فيروز في المهرجان «يا قمر أنا ويّاك» و«ما في حدا» وموشحات أندلسية

*

تأسست مهرجانات بعلبك الدولية عام ١٩٥٦ وكانت السيدة إميلي كتانة أول رئيسة للمهرجانات ومن ثم تولت السيدة سلوى السعيد الرئاسة وبلغ عدد أفراد لجنة المهرجان اثني عشر عضواً وأمهلهم رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك كميل شمعون ستة أشهر لإعداد برنامج لأول مهرجان تشهده مدينة بعلبك واتفقت اللجنة مع الرحبانيين فقدما عام ١٩٦١ مسرحية «البعلبكية» بطولة فيروز والمطرب نصري شمس الدين والمطرب جوزيف عازار وعام ١٩٦٢ قدما أوبريت «جسر القمر» بطولة فيروز ونصري شمس الدين وفيلمون وهبي وجوزيف عازار وعام ١٩٦٣ قدما مسرحية «الليل والقنديل» على مسرح كازينو لبنان

عام ١٩٦٤ طُلب إلى الأخوين الاشتراك في مهرجان «الأنوار» ، لكنهما لم يشتركا وأحيا المهرجان لياليه من بطولة صباح والمطرب الكبير وديع الصافي

وكرت سبحة المسرحيات التي ألفها الرحبانيان ومنها «بياع الخواتم» التي مُثّلت في ظلال الأرز من بطولة فيروز ونصري شمس الدين وجوزيف عازار ومسرحية «هالة والملك» التي مُثلت على مسرح البيكاديلي في بيروت

عام ١٩٦٥ اقترح رجا الشوربجي على صديقيه عاصي ومنصور الموافقة على تحويل إحدى مسرحياتهما فيلماً سينمائياً ، فوافقا وحضر المخرج السينمائي الشهير يوسف شاهين إلى بيروت وتم الاتفاق على تحويل مسرحية

«بياع الخواتم» إلى فيلم من إخراج شاهين ، كما أخرج المخرج هنري بركات المسرحيتين الغنائيتين «سفر برلك» و«بنت الحارس» فيلمين سينمائيين

وقدم الرحبانيان وفيروز حفلات غنائية في البرازيل والأرجنتين وباريس ولندن وغيرها من الدول والعواصم في العالم

وأصدر الأخوان رحباني ديوان شعر «سمراء مها» عام ١٩٥٢ عدد صفحاته ١٤٤ صفحة وتضمن سبعاً وسبعين قصيدة بين عامية وفصحى وبعض قصائد الديوان ترجم إلى لغات أجنبية

*

في تموز عام ١٩٥٥ تزوج عاصي وفيروز وفي العام نفسه توجه الرحبانيان ، وفيروز ، للعمل في إذاعة «صوت العرب» لمدة ستة أشهر فنظما قصيدة «راجعون» ولحناها وغنتها فيروز كما نظما ولحنا عدة أغنيات واسكتشات تتحدث كلها عن فلسطين والعمل الفدائي وذاعت شهرة تلك الأغاني ما دعا الصحافي والمعلق السياسي الكبير في جريدة النهار ميشال أبو جودة إلى الإشادة بنتاج الرحبانيين من أجل فلسطين ووصفهما مع فيروز بأنهم آباء العمل الفدائي

في السابع والعشرين من أيلول عام ١٩٧٣ فيما كان عاصي منهمكاً في عمل مسلسل تلفزيوني شعر بصداع شديد ، فنقله منصور بسرعة إلى عيادة الدكتور ألفريد سحاراوي وبعد أن فحص عدد من الأطباء «عاصي» نقل في الحال إلى مستشفى الدكتور رزق بالأشرفية وبعد فحص دقيق بدا واضحاً أنه أصيب بنزف شديد في الجزء الأيسر من الدماغ وقال الدكتور فاضل أبو جودة إنه لا أمل في الشفاء

وطلب منصور وفيروز من الدكتور عبدالله الخوري إجراء عملية بأي ثمن لكن الدكتور جدعون محاسب نصح باستدعاء البروفسور الفرنسي كلود غورو وحضر الدكتور غورو وبعد أن فحص عاصي قال إن هناك أملاً

بإنقاذ حياة عاصي إذا أجريت العملية الجراحية وأجريت العملية ونجحت وأبلغ الدكتور الفرنسي الموسيقار «منصور» أن «عاصي» ربما يستطيع أن يُلحِّن ولكنه لن يستطيع الكتابة

وبدأ عاصي يسترد وعيه وتجمهر الألوف حول المستشفى مهللين لشفاء عاصي الذي بدأ يسترد قواه تدريجاً ويقف على رجليه لكنه في بعض الأوقات لم يكن باستطاعته لفظ بعض الكلمات في أثناء تنفسه وبدأ الاستعداد لنقل عاصي إلى الولايات المتحدة لإجراء عملية تنظيف لحنجرته بإشراف الدكتور هيرمز غريلو لكن الدكتور بشير سعادة نصح بنقله إلى باريس لفحصه من قب الدكتور جورج فريس وفي باريس أجريت عملية تنظيف الحنجرة

وعندما عاد عاصي إلى بيروت كان وشقيقه منصور يعملان على مسرحية «المحطة» ، وأراد منصور أن تكون «المحطة» تقديراً منه ومن فيروز ومن زياد وألف زياد الموسيقى للمسرحية لكنه لم ينظم الشعر فيها ، فنظم منصور ، ومن القصائد التي غنتها فيروز في المسرحية «سألوني الناس» واشترك عاصي في نظم أول قطعة كتبها بعد مرضه وهي «ليالي الشمال الحزينة»

وحتى لا يشعر عاصي بأي إثارة قد تؤثر في صحته لم يسمح منصور له بحضور العرض الأول لـ«المحطة» ، لكن الدكتور عبد الرحمن اللّبان أقنع منصوراً بالسماح لعاصي بحضور العرض الأول لأن حضوره سينعشه وأصبح عاصي يحضر المسرحية كل ليلة ومن ثم تولى قيادة الفرقة الموسيقية

عام ١٩٧٥ كان الأخوان رحباني يكتبان مسرحية «زمان اليسّا» لمهرجانات بعلبك ، لكن عاصي كان يعرف أنها لن تُقدّم ، وكان صائباً في ما قاله إذ نشبت الحرب الأهلية وظل عاصي يعمل مع منصور إلى أن أسلم روحه إلى بارئها في الواحد والعشرين من حزيران عام ١٩٨٦

وفقد لبنان والعالم العربي بوفاته موسيقاراً رائداً

الموسيقار إلياس الرّحباني

انتهج الموسيقار إلياس الرحباني أسلوباً خاصاً في التلحين لا علاقة له بالأسلوب الذي سار عليه شقيقاه عاصي ومنصور

اشتهر بالعزف على البيانو فأجاد وأبدع

وُلد في بلدة أنطلياس عام ١٩٣٨ أنهى دراسته الثانوية في مدارس الفرير درس الموسيقى في المعهد الوطني للموسيقى (الكونسرفَتْوار) من عام ١٩٥٥ إلى ١٩٥٦ وبعد عشر سنين تلقى دروساً خاصة في الموسيقى بإرشاد موسيقيين فرنسيين منهم Michel Bourgeot الذي تتلمذ على يديه العزف على البيانو، وتعلم الهارموني والتأليف الموسيقي على يد Bertrand Robillard

شغل منصب مستشار للتسجيل الموسيقي في إذاعة لبنان من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧٢، ورئيس دائرة الموسيقى الغربية في الإذاعة اللبنانية، ومنتج ومستشار موسيقي لفيلبس وبارلوفون وبوليدور ديكا وشركات فنية أخرى

واشتهر كمؤلف موسيقي وناظم قصائد وقائد أوركسترا وألّف ولَحّن أغنيات لفيروز

نال عدة جوائز منها

- جائزتان للأغنية الدولية في مهرجان الأغنية في أثينا عام ١٩٦٩

- ثلاث جوائز للموسيقى الكلاسيكية في مباراة للموسيقى جرت في بيروت عام ١٩٦٤

ـ يحمل دبلوم السينما للمهرجان الدولي للإعلان السينمائي الذي عقد في البندقية عام ١٩٧٢

ـ يحمل الجائزة الأولى في ألمانيا عام ١٩٧٩ لتلحين أغنية «موري موري» وجائزة خاصة عام ١٩٨٠ لتلحين أغنية «أو . بيبي»

وعدة جوائز أخرى من اليونان وبلغاريا والبرازيل ولندن

بلغ عدد الأغاني التي لحنها حوالى ٨٠٠ أغنية ٥٠٠ شرقية و٣٠٠ غربية من مسرحياته الغنائية

ـ «أيام صيف» عرضت في مهرجانات بيت الدين عام ١٩٧٢

ـ «وادي شمسين» عام ١٩٨٣

ـ اشترك في إنتاج وتلحين بعض أغاني فيروز في مهرجانات بعلبك من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٥

ـ «سفرة الأحلام» عام ١٩٩٣

واشترك في إنتاج ٢٦ مسلسلاً تلفزيونياً ونشاطه الإذاعي شمل القسم العربي في محطة الإذاعة البريطانية B.B.C حيث أنتج ١٣ حلقة عام ١٩٦٠ إضافة إلى ٢٠ مسلسلاً للإذاعة اللبنانية

وأحيا حفلات موسيقية في البرازيل على مسرحي ريو دي جانيرو وسان باولو عام ١٩٦١ ، وحفلة موسيقية في المسرح البلدي في بوانوس آيرس ـ الأرجنتين ، وفي ألبيرت هول بلندن ومانشستر عام ١٩٦٢ وحفلات موسيقية في ١١ ولاية أميركية ، وحفلة في مونريال (كندا) ، وفي الجزائر عام ١٩٦٦ وتونس عام ١٩٦٦ والأردن عام ١٩٦٧ و١٩٧٥ والعراق عام ١٩٧٥ والكويت عام ١٩٦٨ والمغرب عام ١٩٧٠

وبلغ عدد الإعلانات التي لحنها حوالى ٣٠٠٠ إعلان تجاري للسينما والتلفزيون والإذاعات لعدة دول منها إضافة إلى لبنان سوريا والأردن ومصر والمغرب وتونس والجزائر والكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وقبرص واليونان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا

الموسيقار توفيق الباشا

ولد الموسيقار توفيق الباشا في بيروت عام ١٩٢٤ درس الموسيقى في المعهد الموسيقي في الجامعة الأميركية ببيروت على آلة الفيولونسيل بين الأعوام ١٩٤١ و١٩٤٤ وتابع دراسته في التأليف الموسيقي العالي مع البروفيسور برتراند روبيار حتى عام ١٩٤٩ في العام نفسه تولى إدارة القسم الموسيقي في إذاعة القدس التي كانت تبث من مدينة رام الله حتى عام ١٩٥١

تفرّغ للتأليف الموسيقي وقيادة الأوركسترا وتلحين الأغاني عام ١٩٥١ عندما التحق بفرقة «باليه الشرق الأوسط» كمؤلف وقائد أوركسترا وقد قدمت الفرقة أعمالها على مسارح أوبرا القاهرة وبغداد والقدس ودمشق ونيودلهي وبومباي وكلكوتا عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣

أصبح مسؤولاً عن الإنتاج الموسيقي في محطة إذاعة الشرق الأدنى عام ١٩٥٣ إلى أن توقف بث المحطة عام ١٩٥٦

من مؤسسي الليالي اللبنانية في مهرجانات بعلبك الدولية وتولى قيادة الأوركسترا فيها خلال الأعوام ١٩٥٧ و١٩٥٩ و١٩٦٤ و١٩٧٤

أسس عام ١٩٦٠ مع عدد من زملائه برعاية الصحافي الكبير الأستاذ سعيد فريحة فرقة «الأنوار» العالمية التي قدمت حفلاتها على مسرح كازينو لبنان وأحيت أمسيات في قبرص وفيينا وفرانكفورت وفيزبادن وباريس والقاهرة والإسكندرية والكويت وعمّان وبعلبك وشارك فيها كمسؤول ومؤلف موسيقي وقائد أوركسترا

عام ١٩٦١ تولى رئاسة الدائرة الموسيقية في الإذاعة اللبنانية منذ بدء عهدها الجديد إلى عام ١٩٨٤

نظّم التدريس في مادة الموشحات في المعهد الموسيقى الوطني اللبناني

وجعلها مادة علمية أساسية وتولى رئاسة جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى في لبنان من عام ١٩٦٩ إلى عام ١٩٨٦، وهو حالياً الرئيس الفخري لها كما تولّى رئاسة اللجنة الوطنية للموسيقى (الأونيسكو) من عام ١٩٨٦ إلى عام ٢٠٠٠ وهو عضو دائم في المجمع العربي الموسيقي التابع للجامعة العربية منذ تأسيسه عام ١٩٧٠

*

مؤلفات الموسيقار الكبير الغنائية كثيرة فقد لحّن مئات القصائد لعدد من الشعراء اللبنانيين والعرب من عام ١٩٥١ إلى العام ١٩٨١ وشدا بها كبار المطربين من لبنانيين وعرب

منذ عام ١٩٦٢ تفرّغ الباشا لتلحين وكتابة نوطة الألحان لأكثر من ثلاثة آلاف قصيدة من تراث الأدب العربي، توزعت على برامج إذاعية وتلفزيونية، يعود بعضها إلى العصر الجاهلي والعصور الأموية والعباسية والأندلسية منها «ليالي الأصفهاني في كتاب الأغاني» و«مجالس الطّرب عند العرب» و«ليالي شهرزاد» و«بدائع النَّغم» و«عباقرة الغناء عند العرب» و«أشعب الكندي» و«جُحا» و«صُبح والمنصور» و«الإرث»

من مؤلفاته السيمفونية

ـ ألّف في الفن السيمفوني من مصنّفات الـ«Suites» و«Poéme Symphonie» و«Preludes» وموسيقى الـ«Ballet» و«Rhapsodie»

ـ سيمفونية «الليل» مستوحاة من شعر الشاعر اللبناني الكبير سعيد عقل عام ١٩٥٣

ـ سيمفونية «فوق البنفسجية اللامقامية (جائزة المعهد الموسيقي الوطني) ١٩٦٩

ـ سيمفونية «بيروت ٨٢» (عن الاجتياح الإسرائيلي لمدينة بيروت) ١٩٨٣

ـ سيمفونية «السلام» ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ عزفتها في العام ١٩٨٨ أوركسترا الفيلهارموني لمدينة لياج «في لياج وبروكسيل وفيرفييه»

ـ الثلاثية المقامية «لآلة البيانو» والأوركسترا الوترية

ألّف الموسيقى التصويرية لخمسة أفلام تسجيلية طويلة ، واستحدث في الفن الإنشادي الروحي العربي الـOratorio ، فألف «الإنشادية النبوية» شعر أحمد شوقي/ Oratorio ١٩٩٥ ، وإنشادية «عظماء الدنيا وعظماء الآخرة» ١٩٩٦ ، النص الأدبي للدكتور مصطفى محمود عن تراث الشيخ محيي الدين ابن عربي Oratorio II قدمتها أوركسترا القاهرة السيمفوني مع كورال أوبرا القاهرة

ـ صدرت له في العام ١٩٩٨ مجموعة مختارة من أعماله الموسيقية والغنائية الكاملة على ١٧ CD

ـ في العام ١٩٩٩ ثلاثية الكتب التي صدر عن «منشورات المعهد الوطني العالي للموسيقى» «المختار من الموشحات الأندلسية» (تحقيق وتأليف) ، و«الإيقاع في الموسيقى العربية» (تحقيق ومقارنة) ، و«الكمان والأرباع الصوتية» (٢١ دراسة عالية)

حمل عدة أوسمة تقديراً لسيمفونياته التي اشتهرت على الصعيدين العربي والأجنبي وأغنياته التي لحنها وذاع صيتها وتسابقت الإذاعات على بثها من الأوسمة التي زينت صدره

ـ ميدالية «الاستحقاق اللبناني الفخرية» عام ١٩٥٧

ـ ميدالية «مدينة باريس» عام ١٩٦١

ـ وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى (جمهورية مصر العربية) عام ١٩٧٥

ـ وسام الاستحقاق اللبناني من رتبة فارس عام ١٩٩٧

ـ ثلاثة أوسمة من جمعية Sacem Paris

ـ الوسام المُذَهّب من جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ـ بيروت عام ١٩٨٩

ـ جائزة مؤسسة عبد الهادي الدبس عام ١٩٩٧

إضافة إلى دروع تقديرية من مؤسسات ودول عربية حتى عام ٢٠٠٠

جوزيف عازار

ولد المطرب الكبير جوزيف عازار في جزّين (جنوب لبنان) عام ١٩٤٢ وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة راهبات القلبين الأقدسين في مسقط رأسه ، وتابع دراسته الثانوية في دير سيّدة مشموشة قضاء جزين

كان المرتّل الرئيسي في الجوقة الكنسية من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٥٨ ، وفي العام نفسه بدأ دراسة مبادئ العلوم الموسيقية في المعهد الموسيقي الوطني ببيروت وتتلمذ على يد عازف العود الشهير والمؤلف الموسيقي فريد غصن مبادئ العزف على العود على مدى سنتين

بدأ حياته الفنية مع الأخوين رحباني عام ١٩٦١ في مسرحية «البعلبكية» من ضمن مهرجانات بعلبك الدولية وسافر في العام نفسه معهما في رحلة فنية هي الأولى إلى البرازيل والأرجنتين قدمت خلالها المطربة الكبيرة فيروز أغانيها التي اشتهرت بها وفي عام ١٩٦٢ اضطلع بدور «صالح» في مسرحية «جسر القمر» للأخوين رحباني في مهرجانات بعلبك

واشترك مع فيروز في الاستعراض الفني الكبير الذي نظمه الأخوان رحباني على خشبة مسرح «الألبرت هول» في لندن وعام ١٩٦٣ أسند إليه دور البطولة في مسرحيتين غنائيتين هما «الشلال» من ضمن مهرجانات بعلبك ونجمة المسرحية صباح ، والمسرحية الثانية «الليل والقنديل» للأخوين رحباني حيث مثل دور «هولو»

واشتهر بدور «راجح» في أوبريت «بياع الخواتم» التي مثلت في ظلال الأرز وتحولت إلى فيلم سينمائي من إخراج يوسف شاهين وعام ١٩٦٥

اشترك في استعراض «موّال» على مسرح الفينيسيا من إنتاج روميو لحود وإخراجه وألحان الدكتور وليد غلمية

وكرّت سبحة الاستعراضات الغنائية التي اشترك فيها منها «عتابا» و«ميجانا» بطولة صباح وإخراج روميو لحود ، و«الفرمان» إخراج روميو لحود وألحان زكي ناصيف و«موسم الطرابيش» من ضمن مهرجانات بيت الدين و«شهر العسل» مع صباح و«المؤامرة مستمرة» و«الأسطورة» و«إمارة من هالزمان» من ضمن مهرجانات بعلبك مع فرقة كركلا

عام ١٩٧٦ سافر مع صباح في رحلة فنية إلى كندا ، وقام عام ١٩٧٩ برحلة إلى إفريقية أحيا خلالها حفلات غنائية في كل من السنغال وليبيريا وشاطئ العاج وغامبي وسيراليون ونيجيريا ، وعام ١٩٨٢ قام برحلة فنية كبرى إلى أميركا اللاتينية بدعوة من الجاليات اللبنانية شملت البرازيل والأرجنتين والمكسيك وفنزويلا والشيلي ، وعام ١٩٨٥ أحيا حفلات غنائية في عدة مدن أسترالية

من أغانيه التي اشتهرت «بكتب اسمك يا بلادي» نظم وتلحين المطرب الكبير إيلي شويري و«نيّال الفكرو فاضي» كلمات روميو لحود ولحن عصام رجّي و«عرشك مرمر» نظم موريس عواد ولحن الدكتور وليد غلمية و«أذكر يوماً كنت بيافا» من كلمات وألحان الأخوين رحباني و«جبال العالي» كلمات شفيق المغربي لحن وليد غلمية ، و«على بالي» كلمات وألحان روميو لحّود ، و«نزلت تتنقّل» كلمات وألحان زكي ناصيف و«طيري يا رفوف الدُّرج» للأخوين رحباني

الموسيقار حليم الرومي

بدأ حياته الغنائية في الجمعيات الخيرية والأهلية وفي عام ١٩٤٠ ظهرت مواهبه الفنية فلحن قصيدة في حضرة الملك الأردني عبدالله في قصر رغدان بعمان فنالت استحسانه فمنحه خمسين ديناراً ما ساعده على السفر إلى القاهرة ، حيث التحق بمعهد فؤاد الأول الموسيقي وحصل على ديبلوم في خلال سنتين بدلاً من الدراسة ست سنوات

تحمل الكثير بسبب ضيق ذات اليد الذي رافقه عدة سنوات حتى أنه بلغ حد الجوع أحياناً ، إلى أن حالفه الحظ وعمل في الإذاعة المصرية ومنها انطلقت شهرته كمطرب مجدد وفنان موهوب وغادر مصر عام ١٩٤١ إلى حيفا حيث أقامت أسرته بعد أن هاجرت من مدينة صور التي شهدت مولده عام ١٩١٧ ، فتعاقد مع محطة الشرق الأدنى رئيساً للقسم الموسيقي واستمر في منصبه حتى عام ١٩٤٨ فعاد إلى لبنان والتحق بالإذاعة اللبنانية وعيّن رئيساً للقسم الموسيقي

وكان من نتيجة عمله الدائم لتطوير الموسيقى والغناء في الإذاعة إصابته بمرض السكري ، فاضطر إلى ترك رئاسة القسم الموسيقي ليصبح مديراً لقسم التسجيلات ومكتبة الإذاعة واستمر فيه بضع سنوات ثم نشبت حرب العبث والجنون في لبنان فاضطر إلى البقاء في منزله في كفرشيما إلى أن توفاه الله

من أشهر القصائد التي لحنها والتي ذاع صيتها في لبنان والعالم العربي قصيدة «إذا الشعب يوماً أراد الحياة» للشاعر أبي القاسم الشابي وقصيدة «غَنِّ أحبُّك أن تغني» للشاعر اللبناني فؤاد سليمان

وقد لحّن لي عدة قصائد منها «يحبّني حبّي له أكثر» شدت بها نازك ، و«مراهقة» غنتها نازك و«إلى غائب» غنتها سعاد هاشم وكان ينوي رحمه الله تسجيل قصيدة «مراهقة» بصوته على أسطوانة مستخدماً العزف على العود فقط ولا أزال أحتفظ بالشريط بصوته وقد أرسلت نسخة عنه إلى كريمته ماجدة بعد أن أصبحت مطربة لها مكانتها

روميو لحّود

روميو لحود موسيقار لم أعثر على سيرة حياته سيّد مهرجانات جبيل شكّل مع المطربة سلوى القطريب ثنائياً اشتهرا بما قدماه من مختلف أنواع الطرب

كانت سلوى نجمة مهرجانات جبيل بغنائها الذي يدخل القلوب بلا استئذان

وكان لروميو لحود مساهمة في مهرجانات بعلبك ، وكان يحيي مهرجانات جبيل في كل صيف ولا أدري لماذا توقف عن إحيائها؟ ! هل كانت المادّة وراء ذلك؟ !

أحيا حفلات غنائية نجمتها سلوى خارج لبنان.

الموسيقار زكي ناصيف

وُلد الموسيقار الكبير زكي ناصيف في مشغرة في البقاع الغربي عام ١٩١٥ وهو من الأوائل الذين لحنوا وغنّوا في إذاعة لبنان خلال الأربعينات

اشتهر بتلحين الأغاني الفولكلورية من زجل ومعنّى وعتابا وميجانا وأبي الزّلف وكان زكي ناصيف أحد خمسة من كبار الملحنين الذين رافقوا إذاعة «الشرق» ، وهو الاسم الذي عرفت به في أثناء الانتداب الفرنسي ومن ثم تحول الاسم إلى إذاعة لبنان ومن بين الملحنين الخمسة الموسيقار حليم الرومي والموسيقار توفيق الباشا وفيلمون وهبي

لم ينتمِ زكي ناصيف إلى مدرسة الأخوين رحباني اللذين مزجا الأغاني الفولكلورية اللبنانية بالألحان الغربية ، وظل محافظاً على الأغاني الشعبية اللبنانية التي اشتهر بها

وتسابقت الإذاعة اللبنانية والإذاعات العربية على بث أغانيه والأغاني التي لحّنها وعندما احتفل زكي بعيد ميلاده الخامس والثمانين أجرت معه مختلف الصحف والمجلات اللبنانية مقابلات تحدث خلالها عن نتاجه الموسيقي الرائع وسيرة حياته

بعد أن انتهت الحرب اللبنانية شدا بصوته الرخيم أغنية «راجع يتعمّر لبنان» من نظمه وألحانه ثم شدت بها المطربة ماجدة الرومي كريمة الموسيقار الراحل حليم الرومي

خلال عام ١٩٩٥ ، ظن كثيرون أن ليس في جعبة زكي ناصيف أي شيء جديد ، لكنه فاجأهم بإنجاز «ألبوم» لفيروز عنوانه «فيروز تغني لزكي

ناصيف» تضمن «الألبوم» موشحات أندلسية وقصيدة «يا بني أمي» لجبران خليل جبران

ورغم ما قدمه هذا الموسيقار اللبناني الكبير من غناء وألحان ظل محدود الدّخل ماديّاً ولم توفر له ألحانه حياة رغدة مريحة وهذا الوضع ينطبق على كثيرين من الموسيقيين اللبنانيين

ساهم في مهرجانات بعلبك الدولية بتلحين مسرحية «الفرمان» من إخراج روميو لحّود لحن لعدد من كبار المطربين والمطربات في لبنان منهم وديع الصافي وصباح وماجدة الرومي

من أغانيه وألحانه التي اشتهرت

ـ «طلّوا حبابنا طلوا» وقد غناها بصوته ثم شدا بها المطرب الكبير وديع الصافي ، «دقة ودقّة مشينا» من كلماته وألحانه

إضافة إلى موشحات وأغانٍ فولكلورية كثيرة

توفي في شهر آذار عام ٢٠٠٤

الموسيقار زياد الرّحباني

زياد الرحباني بِكر عاصي وفيروز أحب الموسيقى منذ نعومة أظفاره وُلد في الأول من كانون الثاني عام ١٩٥٦ في بلدة أنطلياس ، وهو العام الذي بدأت فيه مهرجانات بعلبك الدولية وعندما مثلت فيروز «أيام الحصاد» على مدارج بعلبك كان عمر زياد سبعة أشهر

تلقى علومه في «الجمهور» شمال شرق بيروت وتعلم الموسيقى في سن مبكرة وكان محترفاً في الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية التي كان يعزفها على البيانو

أول محاولة له في العمل المسرحي كانت عام ١٩٧١ مع جماعة من أصدقائه وكان يضع الألحان لعمله المسرحي ويكتبه ويخرجه وأول مسرحية مثلها وكتبها وأخرجها «سهرية» وقد لاقت ترحيب الكثيرين عندما عرضت في جل الديب وكرت سبحة العمل المسرحي فألف ست مسرحيات ذات طابع سياسي هي «نزل السرور» عام ١٩٧٣ و«بالنّسبة لبكرا شو؟ !» عام ١٩٧٨ و«فيلم أميركي طويل» عام ١٩٨١ و«شي فاشل» سنة ١٩٨٣ و«بخصوص الكرامة والشعب العنيد» عام ١٩٩٣ و«لولا فسحة الأمل» عام ١٩٩٤ ، وظهر في مسرحية «ميس الريم» وهي من أكثر مسرحيات عاصي وفيروز نجاحاً

أول ظهور لزياد على المسرح كان في مسرحية «نزل السرور» التي مثلت على مسرح سينما أورلي اشتهرت في المسرحية عدة أغان منها «نزل السرور يا فندق المظلوم» و«باعَتْلكْ يا حبيب الروح باعَتْلَك روحي» و«أنا اللي عليك مشتاق مش غيري مشتاق لَيكي» وقد أبدع زياد في تلحينها ، وغيرها من الأغاني التي شدا بها جوزيف صقر

وأحبّت فيروز أغنية «باعتْلَك» التي ذكرت الكثيرين بأغاني المطربة المصرية «منيرة المهدية»

بين عام ١٩٨٢ و١٩٩٠ عندما استشرى الخلاف بين والديه، حل زياد مكان والده في تلحين وتأليف الأغاني لوالدته وخلال عشر سنوات ألّف أربع «ألبومات» لفيروز ضمت أغانيها منها «معرفتي فيك» و«وَحْدن»

وخلال الثمانينات اختار زياد عدداً من أغانيه ضمنها «ألبوم» ناجحاً جداً أطلق عليه اسم «أنا مش كافر» التي أظهر فيه براعته في الموسيقى الشرقية بأغنية «شو هالأيام»

تولى قيادة الفرقة الموسيقية في مهرجانات بيت الدين حيث أحيت فيروز أمسيات غنائية من إخراجه وموسيقاه

من أغاني زياد التي اشتهرت من تأليفه وألحانه

- عايشي وحدا بلاك
- إسمع يا رضا
- أنا اللي عليكِ مشتاق
- عاهدير البوسطَة

وغيرها الكثير من الأغاني التي يرددها الشعب وتبثها الإذاعات اللبنانية والعربية

سعاد محمد

سعاد محمد من كبار المطربات في لبنان والعالم العربي كلثومية الصوت حاربها كبار الملحين لأن كثيرين من عشاق صوتها رشحوها خليفة لأم كلثوم

التقيتها في أحد أروقة الإذاعة اللبنانية وكان معها زوجها المصري (لا أذكر اسمه)، ثم التقينا في مكاتب إذاعة الشرق الأدنى قبل أن تغني لي قصيدتي «قرة العين» بدقائق وقد لحّن القصيدة عفيف رضوان وعفيف ملحن موهوب سبق أن لحّن لي عدة قصائد

وغنت سعاد المقطع الأول من القصيدة فأبدعت كعادتها وأعادته مرتين إلاّ أنها في المقطع الثاني، ورغم تشكيل كل كلمة في القصيدة، غنت كلمة «إنّا» بقولها «أنا» فانكسر الوزن فقلت على الفور

ـ لا يا سعاد

فتوقف العزف والغناء وقال عفيف

ـ أين الخطأ؟ فقلت له

ـ في كلمة «إنّا» أي بكسر الألف وتشديد النون لا «أنا»

فقال عفيف

ـ بدك ما تواخذني يا «أستاذ» الخطأ خطأي وليس خطأ سعاد

وعاد العزف من جديد وغنت سعاد المقطع الثاني . أما مطلع القصيدة فهو

يا قـــرّة العين أســـمى الحُبّ أوفـــاهُ وأنت للقلب يا ســـمـــراء نعـــمـــاهُ
خـــرافـــةٌ أن يشـــيبَ الحُبُّ في غـــدنا فـــمن دمـــاء فـــؤادينا سَـــقـــيناهُ
يمضي الشـــبـــابُ ويبـــقى حُـــبّنا أبداً كـــالخـــمـــر أعـــتـــقـــه للسُكْرِ أشـــهـــاهُ

وقد اضطررت إلى تغيير كلمة السُكْر بـ«يا ليل» حتى لا يبدو عجز البيت وكأنه دعاية لمعاقرة الخمرة ثم سُجّلت الأغنية في الإذاعة اللبنانية

سعاد هاشم

عندما لَحّن الأخوان رحباني أغنية «مررنا في حمى نُعمى» للمطربة سعاد هاشم ظن الكثيرون أن فيروز هي التي تشدو بالأغنية فقد جاء لحن الأخوين رحباني منسجماً مع طبقات صوت سعاد

من أغنياتها التي اشتهرت «من غمزاتك أوف يابا» و«عامفرق بيدرنا» و«يا جارنا رد الصباح» و«قصة حبك حزّورة» من ألحان فيلمون وهبي ومن الاسكتشات «روكز خطب» و«نبع الصفصاف» مع وديع الصافي

وأول أغنية صُوِّرت تلفزيونياً في لبنان هي أغنية «يا عابراً في حيّنا» للشاعر مصطفى محمود وألحان الموسيقار شفيق أبو شقرا وقد اكتشف ذلك الزميل والصديق الراحل رياض شرارة وأعلن ذلك في أحد برامجه التلفزيونية

لسعاد أكثر من ألف أغنية واسكتش في إذاعة لبنان وحدها ٨٠٠ أغنية واسكتشات موزعة بين إذاعات الشرق الأدنى ولندن وباريس وسوريا والأردن

قَلّدها المطران الأرثوذكسي إيليا كرم، مطران جبل لبنان، في أمسية في منزلها في فرن الشباك ـ بيروت، وسام الملك قسطنطين بحضور المطرانَيْن الأرثوذكسيَّين شدراوي مطران الروم الأرثوذكس في المكسيك والمطران نجم وحضر الأمسية من الزملاء جورج إبراهيم الخوري رئيس تحرير «الشبكة» وإلياس الديّري وجان خوري وإيلي صليبي إضافة إلى الموسيقار توفيق الباشا وكاتب هذه السطور وزوجته

خلال الأمسية استمع الحضور إلى ثلاث أغنيات مسجلة بصوت سعاد

من ألحان الموسيقار جورج فرح وتوزيع توفيق الباشا القصائد للنابغة اللبناني جبران خليل جبران ، وهي «أيها الشحرور غَرّد» و«كان لي بالأمس» و«سكن الليل» وقد سبق لسعاد أن غنّت «سكن الليل» من إذاعة الشرق الأدنى قبل أن تغنيها فيروز

تحمل سعاد وساماً أردنياً تقديراً لصوتها

من قصائدي التي شدت بها سعاد «ترى من تكون» من ألحان جوزيف عطاالله ومطلعها

يقولون قربَ الغدير
خُطاها تجدُّ المسيرْ
قَبَيْلَ الغروبْ
ترى من تكون .؟
يُزيّنُ مجدولها الياسمينْ
وشالٌ منمّقْ
وضمّة زنبقْ
ترى من تكون .؟
ففي حيّنا وشوشاتْ
وهمسٌ وظِلُّ التفاتْ
تراها على موعدٍ مع حبيب !؟

وتساءلت كما تساءل كثيرون غيري لماذا اعتزلت سعاد الغناء؟ هل إن زوجها وراء اعتزالها؟ ولماذا اعتزلت وهي في أوج عطائها؟

سألتها عن السبب فقالت

ـ إنني مستعدة للغناء في حفلة بعيداً عن المرابع الليلة والمطاعم إذا طلبت ، على أن يرصد ريع الحفلة لعملٍ خيري بصراحة أقول لك إن الأغنية كانت في الماضي تزخر بالكلمة الحلوة المعبّرة واللحن العذب ، واليوم تعيش الأغنية في عصر لا رابط بينها وبين الكلمة واللحن

وفهمت حينذاك سبب اعتزالها الغناء

نشرت «الشبكة» خبراً عنوانه موسيقار الجيل محمد عبد الوهاب يسأل عن سعاد هاشم وسبب سؤاله عنها إعجابه بصوتها في أكثر من أغنية لها منها «يا عابراً في حيّنا» و«دنياك يا أسمر» و«أسمر وعيونو فاتنّي» وقد زار عبد الوهاب الإذاعة اللبنانية للقاء سعاد، فالتقاها وهنأها على صوتها العذب، وعندما اشتركت في مهرجان «الأنوار» في القاهرة استقبل عبد الوهاب في منزله المطرب الكبير وديع الصافي وسعاد هاشم وطلب من سعاد أن تغني له «دنياك يا أسمر» كما غنت موّالاً لبنانياً جعل المطرب عبد الحليم حافظ يصفق باستمرار انتشاءً وطرباً

الموسيقار سليم الحلو

رافق الموسيقار سليم الحلو الإذاعة اللبنانية من أول عهدها وشغل عدة مراكز فنية فيها وقادَ فِرقاً موسيقية ودرّب الكثيرين من أصحاب المواهب

اشتهر بتلحين الموشحات وتولى دائرة الموسيقى في الإذاعة اللبنانية

ولد الموسيقار الحلو عام ١٨٩٣ وتعلّم العزف على العود وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره على أيدي شكري السّودا وسليم الصابونجي وشكري الملقي صانع العيدان

عام ١٩٠٩ سافر إلى مصر ومكث في ربوعها خمس سنوات ، ثم غادرها إلى مدينة حيفا (فلسطين) قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بشهرين

أخذ الموسيقى التركية بألحانها وموازينها عن ضابط تركي اسمه جمال صفا بك ، وتعلّم النوتة الموسيقية قراءةً وكتابة

انتشرت ألحانه وأذيعت من محطة إذاعة القدس ، ثم استدعته محطة إذاعة الشرق الأدنى وأسندت إليه رئاسة الأوركسترا ومراقبة الأغاني

ألّف عدة كتب منها كتابه الشهير «الموشحات الأندلسية ـ نشأتها وتطورها» وقدم له الدكتور إحسان عباس و«تاريخ الموسيقى الشرقية» و«الموسيقى النظرية» و«دراسة العود وتعليم النوتة» وخلّف قبل وفاته ، رحمه الله ، مخطوطات للنشر منها «تراجم أعلام الموسيقى القدامى» و«نوادر الموسيقيين» و«الأغاني الفولكلورية اللبنانية ـ السورية» و«تراجم الموسيقيين العرب المعاصرين» و«تاريخ الآلات الموسيقية الشرقية والغربية القديمة والحديثة»

من أشهر الموشحات التي لحنها موشح «بالذي ألهمَ تعذيبي» للشاعر عبد المحسن الصوري الملقب بابن غلبون (٣٣٩ ـ ٤١٩هـ/ ٩٥٠ ـ ١٠٢٨م) وهو من أهل مدينة صور اللبنانية

بالّذي ألْهَمَ تعـــــذيبي ثنـاياكَ العـــــذابا
والّذي ألبسَ خـــــدّيك مـن الورد نَقـــــابا
مـــا الّذي قـــالتـــهُ عـــيناكَ لَقلبي فـــأجـــابا؟!

وموشح «يا غزالاً» من نظم الشاعر اللبناني نزار الحرّ

يا غـــزالاً دمَ قلبي سَـــفَكا مـقلتـاهُ كـانتـا لي شـركـا

وقد غنت الموشح المطربة الكبيرة نور الهدى

*

اشتهر ابنه الفنان الكبير كمال الحلو بالعزف على العود ومنذ حوالى ٣٨ سنة وهو أستاذ في المعهد الوطني اللبناني للموسيقى (الكونسرفاتوار) لتدريس العزف على آلة العود وإلى جانب خبرته وإتقانه الرائع في العزف على العود اشتهر كممثل في الكثير من المسرحيات والمسلسلات التلفزيونية وهو ضليع في اللغة والأدب والشعر، وناقد لاذع بالحق في نقده وله ذاكرة عجيبة يكفي أن يطّلع على النص الذي يعهد إليه ليحفظه من أول نظرة وإذا قرأ قصيدة لأول مرة فإنه يستطيع تلاوتها عن ظهر قلب كالمبدعين الأوائل الذين اشتهروا في الحفظ إذا ما سمعوا قصيدة أو خطاباً مرة واحدة

صباح

دخلت صباح عالم الغناء عام ١٩٤٦ تلقت علومها في مدرسة اليسوعية ببيروت ظهرت لأول مرة في تمثيلية «الأميرة هند» من تأليف الشاعر نجيب إليان

أول عهدها بالغناء كان في حفلات عائلية ، ثم قدمها والدها إلى محطة «راديو الشرق» ، الإذاعة اللبنانية حالياً ، فاستقبلتها اللجنة الفنية ـ الأدبية بترحيب بالغ غير أنها لم تتمكن لصغر سنها من أن تضبط صوتها جيداً أمام المذياع وفي التجربة الثالثة نجحت وخرجت من الأستوديو والضحكة تزهر على شفتيها وقسمات وجهها لأن صوتها بدأ يتهدل على موجات الأثير

اسمها جانيت فغالي ، ولُقّبت بشحرورة الوادي تيمُّناً باسم عمها أسعد الفغالي الشاعر الكبير الذي عرف بشحرور الوادي ولمع اسمها في عالم الغناء وسافرت إلى القاهرة وأصبحت تعرف بـ«صباح» لأن كلمة شحرور تعني اللون الأسود

عُرِفت بمرحها وضحكتها النابعة من القلب قيل إنها عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها كانت تردد أنها تود أن لا تكبر حتى تظل معروفة بمرحها وضحكتها ونضارتها وهي من بعض الفنانات اللواتي لا يفكرن بغدهن بل يعشن ليومهن وفنهن

أحيت عشرات الحفلات الغنائية في مصر وسوريا والأردن والأميركيتين وبعض الدول الأوروبية تحب لبنان حبّ العبادة وتذكره دائماً في حلّها وترحالها مؤمنة بالله أشد الإيمان محبّة لأعمال الخير وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين

اشتركت في تمثيل عشرات الأفلام السينمائية في مصر ولبنان من أشهر أفلامها الفيلم اللبناني «موّال» من بطولتها وبطولة مطرب المطربين وديع الصافي وإخراج الفنان محمد سلمان

حياتها الشخصية ملكٌ لها وهي سيدة لها مكانتها في الحقلين الفني والاجتماعي اشتهرت بغناء العتابا والميجنا والأوف في أول انطلاقتها الفنية

عندما غنت لي نجاة الصغيرة قصيدة «أنا ما زلت أهواه» وغنى لي وديع الصافي «هل تذكرين ضيعتي» اتصلت بمدير الإذاعة اللبنانية آنذاك الأستاذ حسن الحسن وقالت له

ـ كم أنا معجبة بقصائد الشاعر خازن عبود هل تعرفه؟ !

ـ بالطبع ماذا تريدين منه؟

ـ حبذا لو يهديني قصيدة من قصائده

فقال لها

ـ لكن الشاعر خازن عبود لا ينظم إلاّ الشعر باللغة الفصحى

فقالت صباح

ـ يا خسارة !

هذا ما رواه لي حسن الحسن الذي غادر دنيانا الفانية ، رحمه الله

عبد الرحمن الباشا
العازف العالمي

عازف البيانو العالمي من مواليد بيروت عام ١٩٥٨ ظهر عليه شغفه بالموسيقى وهو في الخامسة من عمره بدأ دراسته الموسيقية على البيانو على يدي المعلمة زفارت سركيسيان وهو في عامه التاسع وعندما بلغ عامه الحادي عشر عام ١٩٦٩ عزف على البيانو بمرافقة الأوركسترا «Concerto enre» للموسيقار الألماني الشهير يوهان سيباستيان باخ على مسرح الأسامبلي هول في الجامعة الأميركية ببيروت وعام ١٩٧٠ عزف على البيانو بمرافقة الأوركسترا «Concerto N3» للموسيقار الألماني الشهير لودفيغ فان بيتهوفن وعا ١٩٧٢ عزف على البيانو بمرافقة الأوركسترا «Concerto Chopin» للموسيقار البولوني الشهير فريدريك شوبان

وتقديراً لنبوغه عرضت على عبد الرحمن الباشا ثلاث منح للتخصص من قبل الاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا ، فقر رأيه على الكونسرفاتوار العالمي للموسيقى في باريس لثقافته الفرنسية التي اكتسبها من مدارس الفرير Mont La Salle وكان معلمه وموجهه العازف العالمي Pierre Sancan

في عام ١٩٧٥ جاء ترتيبه السادس في مباراة مرغريت لونغ العالمية للبيانو ـ باريس ، وكان تبرير اللجنة التحكيمية آنذاك أنه ما زال أمام عبد الرحمن الوقت لينال ما يستحقه ، إذ كان أصغر المتبارين سناً .! (الحد الأقصى للاشتراك في المباريات العالمية لسن المتبارين هو ٢٥ سنة) وقد نالت اللجنة ما تستحقه من اللوم والتنديد من النقاد على صفحات الجرائد الباريسية على تبريرها التعسفي ، وخصوصاً من الناقد «جاك لونشان» في صحيفة «لوموند» وغيرها

عام ١٩٧٨ ـ ٣ دبلوم Grand Prix من كونسرفاتوار باريس بيانو ـ تأليف «موسيقى الحجرة» وفي العام ١٩٧٨ رشحه كونسرفاتوار باريس للاشتراك في مباراة الملكة إليزابيث العالمية (بلجيكا) فنال الجائزة الكبرى كما حاز على جائزة الملكة فابيولا عن الشعب وقد حصل ذلك لأول مرة ، إذ طالما اختلفت آراء اللجنة التحكيمية مع رأي الشعب وفي العام ١٩٨٣ الجائزة الكبرى لأكاديمية «شارل كرو» عن أسطوانة «الأعمال الأولى» لسيرج بروكوفييف ونال عام ١٩٩٤ الجائزة الكبرى من «الأكاديمية الجديدة للأسطوانات» عن ثاني أسطوانة من الأعمال الكاملة لبيتهوفن (٩ أسطوانات) كما نال جائزة «النجاح» من Fuide Fayard عن أسطوانة سونات رقم ٢ ورقم ٣ «ومشاهد من الغابة» لروبيرت شومان عام ١٩٩٤

ـ نال عام ١٩٩٥ الجائزة الكبرى من «الأكاديمية الجديدة للأسطوانة» وجائزة النجاح من Guide Fayard عن أسطوانة Le Tombeau de Couperin لموريس رافيل

ـ في العام ١٩٩٦ جائزة «ديابازون الذهبي» عن أسطوانة ثلاث سونات لفرانز شوبرت

ـ في العام ١٩٩٧ ابتدأ بتسجيل الأعمال الكاملة لفريدريك شوبان

*

قدم حفلاته في جميع المدن الكبرى في أوروبا ونيويورك وسافانا وسانتا مونيكا في الولايات المتحدة الأميركية وطوكيو وسيول والقاهرة وبغداد والمغرب

لم تغب حفلاته السنوية عن مدينة بيروت منذ العام ١٩٧٦

عزف مع كبرى الأوركسترات السمفونية في أوروبا وأميركا واليابان ومنها «Royal London Symphoni Orch» ، و«Berlin Philharmonic Orch» ، و«Orchestre Philharmonique de Liege» و«N H K Symphonic Orch»

وفي هولندا «Orchestre de chambre (Concertgebou)» و«Orchestre de Chambre Zurich»

كما أن حفلاته المنفردة Recital توزعت على أهم المطارح التي تقدم فيها الموسيقى الكلاسيكية مسرح الشانزليزيه ، أوبرا فرانكفورت ، هوكولا سال - ميونيخ ، قصر الفنون - بروكسل ، موتساريتوم - سالسبرغ ، صالة بلايل وصالة غافو في باريس

وكان من المقرر أن يشترك في مهرجانات بعلبك الدولية مع أوركسترا شتوتغارت السمفونية في هذا العام ، لكنه اعتذر لأنه كان مرتبطاً بعمل في فرنسا عندما طلب منه ذلك

اشترك مع كبار عازفي البيانو في العالم بتقديم حفلات في بيت بيتهوفن بمدينة «بون» خصّص ريعها لترميم المكان الأثري للفنان العبقري

يذكر اسم عبد الرحمن الباشا عند نقاد الموسيقى مقترناً بصفة الفرنكو - ليبنيه أو العازف من أصل لبناني أو عربي

ويختتم حفلاته المنفردة Recital في أكثرها بمؤلفاته ذات الروح الشرقية - العربية ، نغماً وإيقاعاً

تبرّع عام ١٩٨٥ بريع الحفلات التي أحياها للأعمال الخيرية ، فقدم ريع حفلة العزف على البيانو في أبو ظبي إلى جمعية الصليب الأحمر اللبناني وفي عام ١٩٩٧ تبرع بريع حفلة أحياها في ثانوية رفيق الحريري بصيدا لمساعدة منكوبي مجزرة «قانا» التي ارتكبها العدو الصهيوني

في عام ١٩٩٧ سجّل أسطوانة لمؤسسة كاريتاس خُصص ريعها للمساعدات الإنسانية في لبنان

وكان هذا الشاب العبقري من بين العشرة الأول في الكتاب الذي صدر عن منى نمور إسكندر ومروان إسكندر بعنوان «Profiles from Leb-anon»

وفي عام ١٩٩٧ أحيا حفلة لمؤسسة «موسيقى الرجاء» «Musique Es-perance» كانت حصيلتها ٣٠٠ ألف فرنك بلجيكي خصصت لمساعدة منكوبي الحرب اللبنانية

من الأوسمة التي تزين صدر عبد الرحمن الباشا

درع المقاصد الخيرية الإسلامية ، وسام الاستحقاق اللبناني برتبة فارس ، وسام الاستحقاق اللبناني برتبة كومندور ، وسام الآداب والفنون ، وهو حسب تعبير وزيرة الثقافة الفرنسية السيدة كاترين تروتمان في رسالتها إلى عبد الرحمن في ٦/ ٣/ ٩٨ ، أن هذا الوسام يعتبر من الأوسمة المهمة في فرنسا

ويصدق في هذا الموسيقار اللبناني الشاب المثل المعروف «إن هذا الشبل من ذاك الأسد» ، فأبوه الموسيقار الكبير توفيق الباشا

فايزة أحمد

عرفت المطربة اللبنانية الكبيرة فايزة أحمد في أثناء دراستي في مدرسة الفنون الأميركية في صيدا وكنت على معرفة بشقيقها، وأعرف ما كانت تعاني آنذاك من كرب أسبابه كثيرة لا أرغب في كشف النقاب عنها

شقت طريقها إلى النجومية بنفسها بعد أن تنبأ لها الموسيقار رياض البندك بمستقبل باهر في عالم الغناء وقدّمها إلى إذاعة دمشق وشجّعها على احتراف الغناء

سألتها ذات يوم وهي في المراحل الأولى من إطلالتها الغنائية

ـ رددت أمامي كثيراً كلمة «العواذل» فمن هم؟

فقالت

ـ بعض المطربين والمطربات

ـ مثل مَن؟

ـ أرجوك أن تعفيني من ذكر الأسماء .! إنهم يعرفون أنفسهم

*

رنّ جرس الهاتف في منزلي حوالى الساعة الحادية عشرة مساء فوجئت برنينه لكن المفاجأة سرعان ما تلاشت عندما سمعت صوت فايزة تقول لي

ـ مساء الخير يا أستاذ! هل تمانع في زيارتي لك مع زوجي الملحن محمد سلطان لأعرّفك إليه؟

ـ على الرحب والسعة

ـ سنزورك حتى موعد السّحور . فنحن كما تعلم في شهر رمضان المبارك

ـ أهلاً وسهلاً بك يا ست الحبايب ويزوجك

حوالى منتصف الليل حضرا عرفتهما إلى زوجتي وشريكة عمري وطال الحديث وتشعَّب حول الفن وقالت لي

ـ أتدري ما هو سبب الزيارة عدا شوقي للقائك والهانم؟ !

ـ ليتني أعرف

ـ السبب هو ضرورة تحريك كلمات قصيدة سأغنيها وقد لحنها لي زوجي

وقدمت لي ورقة كتبت عليها القصيدة وعنوانها «يوم الأربعاء» وشكّلت القصيدة لها وطالت السهرة إلى الثانية صباحاً

وذات يوم فوجئت بزيارة محمد سلطان لي في مكاتب وكالة الأسوشيتدبرس حيث مقر عملي فرحبتُ به وقال لي

ـ آسف لإزعاجك إن سمحت فزوجتي داخل السيارة أمام مدخل البناية إن حالتها الصحية لا تسمح لها بمقابلتك في مقر عملك

التقيت فايزة داخل السيارة فقالت لي

ـ إيه دا القصيدة الحلوة التي غنتها لك نجاة «أنا ما زلت أهواه» ولو نحن أصدقاء منذ الأربعينات ما بتهديني قصيدة !

وتذكرت مطلع قصيدة كنت قد بدأت بنظمها وتلوته على مسمعها

ماذا أقول لوالدي القاسي والحُبُّ ألهبَ فيّ إحساسي
ماذا أقول وغرفتي سجني والأهل والجيران حُرّاسي

فتنهدت فايزة وقالت

ـ يا سلام المطلع دا هو شعور كل فتاة مكبوتة

ووعدتها بإنهاء القصيدة وبإهدائها لها لكن حرب العبث والجنون في لبنان حالت دون لقائي فايزة إذ كنت آنذاك أعمل في مكتب الوكالة في العاصمة القبرصية نيقوسيا وفي أثناء وجودي في الجزيرة قرأت نبأ وفاة ست الحبايب وحزنت كثيراً لوفاتها رحمها الله

فيروز

وصف صوت فيروز بأكثر من مائة وصف ، وأي وصف جديد منّي لصوتها لن يكون جديداً ، فاسمها يختصر كل وصف

ولدت نهاد حداد في جبل الأرز في الواحد والعشرين من أيلول عام ١٩٣٥ ، لكن البعض يقول إنها ولدت قبل هذا التاريخ ببضع سنوات انتقلت أسرتها إلى بيروت فاشتغل والدها وديع في مطبعة جريدة اللوجور وفي منزل الأسرة في البسطة كانت نهاد تغني ، وهي في المطبخ ، الأغاني التي كانت تسمعها من راديو الجيران وكانت تحب غناء الأغاني التي شدت بها كل من أسمهان وليلى مراد

التحقت نهاد بجوقة الأناشيد في المدرسة التي كانت تتلقى فيها دروسها الابتدائية وفي أوائل الأربعينات كان محمد فليفل ملحن وناظم الأغاني يعد العدّة لبرنامج إذاعي وكان بحاجة إلى شبان وشابات للانضمام إلى الجوقة التي تنشد الأناشيد التي كان يلحنها وتوجه إلى مدرسة حوض الولاية الرسمية للبنات لأنها كانت مشهورة بجوقتها ، فالتقى مديرة المدرسة السيدة سلمى قربان ، واستمع إلى الأناشيد التي ينشدها أعضاء الجوقة فاختار بعضهم ومنهم نهاد

لكن والد نهاد رفض الفكرة بأن تغني ابنته ولم يسمح لها بذلك وأقنع محمد فليفل والدها بأن ابنته ستغني فقط الأناشيد الوطنية ، فوافق والدها لكنه اشترط أن يرافقها شقيقها جوزيف

وكان رئيس المعهد الوطني للموسيقى آنذاك الموسيقار وديع صبرا ملحن النشيد الوطني اللبناني ، فرفض أن يتقاضى أي مبلغ من نهاد حداد ومن أي

منشد آخر يرسله محمد فليفل لقاء دراسة الموسيقى والغناء وبمساعدة من فليفل انضمت نهاد إلى جوقة المرتلين في الإذاعة اللبنانية لقاء ١٠٠ ليرة لبنانية شهرياً

ظلت نهاد حوالى شهرين تعمل في جوقة الإذاعة إلى أن اختارتها الإذاعة للغناء في حفلة فغنت أغنيتين موّال «يا ديرتي» و«يا زهرة في خيالي» من غناء أسمهان وتلحين الموسيقار فريد الأطرش

وعندما سمع الموسيقار حليم الرومي صوتها بدأ يلحن لها الأغاني واقترح عليها اسمين فنيين لتعرف بهما هما شهرزاد أو فيروز ، فاختارت نهاد فيروز وعرفت واشتهرت به

وقدم الرومي فيروز إلى الأخوين عاصي ومنصور الرحباني وعرف عاصي قيمة صوتها لكن منصوراً لم يجاره في وصفه لصوتها لكنه عاد واعترف بأنه لم يكن بعيد النظر كعاصي وفي عام ١٩٥١ بدأت فيروز تغني من ألحان حليم الرومي ومدحت عاصم ونيقول المنّي وسليم الحلو ومحمد محسن وتوفيق الباشا وخالد أبو النصر وغيرهم من الملحنين

وبدأ عاصي يعد لفيروز الأغاني وعكف الأخوان رحباني على تلحين أغنيات لها ذات ألحان غربية مثل «البنت الشّلبية» و«سمرا مها» إلى أن لحنا لها أغنية «نحنا والقمر جيران» ، كما اشتهرت بأغنيتي «عتاب» و«راجعة»

وغزا كيوبيد قلبي عاصي وفيروز فازدهر حبهما وتزوجا في تموز عام ١٩٥٥

واشتهرت فيروز بأغانيها في لبنان والعالم العربي

عام ١٩٥٦ أنجبت فيروز طفلها البكر زياد الرحباني ، وبعد عام شدت حنجرتها الماسية على أدراج بعلبك أغنية «لبنان يا أخضر حلو» وغنت فيروز في معارض دمشق الدولية وعلى مسرح كازينو لبنان ومسرح البيكادلي ببيروت كما شدت بأغنيات من تلحين فيلمون وهبي

واشتركت مع الأخوين رحباني في حفلات أقيمت في أميركا ولندن وباريس والكويت والبرازيل والأرجنتين وكانت نجمة مهرجانات بعلبك ودير القمر كما ظهرت في عدة أفلام سينمائية (راجع الأخوين رحباني)

عام ١٩٦٢ أحيت حفلة على مسرح ألبيرت هول بلندن، وحفلة ثانية في مانشستر، وأشاد نقاد بريطانيون بصوتها بقولهم «إن صوت فيروز واحد من العشرين صوتاً الأُول في العالم في القرن العشرين»

وقالت مغنية الأوبرا الهنغارية آنا كورسيك «إن صوت فيروز أجمل صوت سمعته في حياتي، وهو نسيج وحده في الشرق والغرب»

ووصفت إحدى صحف ساوباولو بالبرازيل صوت فيروز بعد الحفلة التي أحيتها فيها بقولها «إن صوت فيروز تتمثل فيه أربعة آلاف سنة من الحضارة»

وذكرت صحيفة برازيلية أخرى «إن صوت فيروز هو ظاهرة طبيعية، فمنذ خمس وعشرين سنة وبعد المغنية ماريانا أندرسون لم تسمع ريو دي جانيرو صوتاً جميلاً كصوت هذه الفنانة اللبنانية»

*

خلال السبعينات تدهورت العلاقات بين عاصي وفيروز وانتهى العمل الفني والغنائي والمسرحي بينهما لكنها استمرت في الشّدو بأغاني الرحبانيين وبألحان ابنها زياد كما شدت بأغنيات من تلحين الموسيقار زكي ناصيف والملحن محمد محسن

خلال الحرب اللبنانية قررت فيروز البقاء في لبنان رغم أن وضعها المالي كان يوفر لها الإقامة في أي دولة تختار الإقامة فيها، ورغم أن منزلها في الرابية أصيب بصاروخ ولم تغن فيروز خلال الحرب الأهلية التي نشبت في لبنان وعندما انتهت الحرب، أحيت حفلة غنائية في بيروت عام ١٩٩٤ وعادت إلى مهرجانات بعلبك الدولية عام ١٩٩٨

نالت عدة أوسمة تقديراً لصوتها وغنائها ، منها :

- وسام الأرز من رتبة فارس عام ١٩٦٢
- وسام الاستحقاق اللبناني
- وسام الاستحقاق السوري عام ١٩٦٧
- وسام الاستحقاق اللبناني من رتبة ضابط عام ١٩٧٠
- وسام النهضة الأردني من الدرجة الأولى
- الوسام الفرنسي من رتبة كومندور عام ١٩٨٨
- وسام القدس الفلسطيني عام ١٩٩٧
- وسام الثقافة التونسي الرفيع عام ١٩٩٨

*

من أشهر أغانيها

- «زهرة المدائن» نظم وتلحين الأخوين رحباني
- «إسوارة العروس» للشاعر جوزيف حرب ألحان فيلمون وهبي
- «غنيت مكّة» للشاعر سعيد عقل ألحان الأخوين رحباني
- «سكن الليل» للعبقري اللبناني جبران خليل جبران ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب
- «سنرجع يوماً إلى حَيّنا» للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد ألحان الأخوين رحباني
- «بحبك يا لبنان» نظم وتلحين الأخوين رحباني
- «يا بني أمي» للشاعر جبران خليل جبران ألحان زكي ناصيف

لور دكّاش

عُرِفت المطربة اللبنانية لور دكّاش بإحدى نجوم الغناء والموسيقى في العالم العربي وكانت تتولى قيادة فرقتها الموسيقية وهي بين القلائل من النساء العربيات اللواتي امتهن التلحين والتأليف الموسيقي من أشهر أغنياتها «آمنت بالله» و«الورد» وقد عرفت بعد هاتين الأغنيتين بالمطربة الكلاسيكية الحَديثَة وهي أول من سجّلت أغنياتها

عام ١٩٢٦ عندما كانت في الثامنة من عمرها (وُلدت عام ١٩١٨) سمعها والدها، وهو من محبي الموسيقى والغناء، تغني إحدى الأغاني المسجلة لأم كلثوم، فتعاقد مع عدد من المغنين ليعلموها أصول الغناء والعزف على العود والتلحين وبعد ستة أشهر سجلت أغنيتين من ألحانها وتأليفها هما «طلوع الفجر» و«حاني حنين» ومن ثم اشتهرت بالعزف على العود ونالت استحسان وإعجاب أم كلثوم، التي عرفت آنذاك بنجمة الشرق

وأشاد عبد الوهاب بلور دكاش وبأغانيها وموسيقاها بقوله «أنت امرأة تشكل خطراً علينا نحن الملحنين من الرجال»

وكتبت لور ولحّنت أكثر من ١٢٠ أغنية وقد شجعتها إذاعة القاهرة فخصصت لها حفلتين غنائيتين في برامجها تبثهما كل شهر

خلال الستينات من القرن المنصرم كانت لور دكاش ضحية حركة ضد المطربات ذوات الأصوات الرخيمة مثل المطربة نادرة، فقد كان الهدف من تلك الحركة مساندة جيل جديد من المطربين والمطربات وقد أثرت تلك الحركة في نشاط لور دكاش بعض الشيء فلم تعد تظهر إلاّ في بعض

الأمسيات لتشدو بصوتها العذب وتُظهر للملإ أنها الخبيرة المتمكنة من فنها

وفي الستينات أيضاً أنتجت «ألبوماً» ضم أشهر أغنياتها ويمكن القول إن أغنيتيها «آمنت بالله» و«الورد» تحتلان حتى الآن مكاناً لا يمكن معه منافستهما بالنسبة إلى الغناء الكلاسيكي

ومن شغفها بالموشحات لحنت موشح «كتير عناني» وهو موشح قديم ومن ألحانها أغنية «لو كان قلبك متهنّي» من كلمات محمد الفطومي ، و«الورد» من كلمات عبد الباسط عبد الرحمن ، وقصيدة «غرِّدوا» من كلمات أحمد فتحي

تزوجت لور دكاش لكنها لم توفّق بحياتها الزوجية فكرست حياتها للفن وتألقت بأغانيها ، وبثت الإذاعة اللبنانية ومختلف محطات الإذاعة في العالم العربي أغنياتها

ماجدة الرومي

نشأت ماجدة الرومي كريمة الموسيقار اللبناني الراحل حليم الرومي في كنف والدها الذي عشق الموسيقى والغناء منذ نعومة أظفاره وأم يزخر قلبها بالحنان

كان والدها يمانع أشد الممانعة في امتهان ابنته ماجدة الغناء وفي لقاء لي معه في مكتبه في الإذاعة اللبنانية حيث كان آنذاك مسؤولاً عن المكتبة التي تضم الأشرطة والكاسيتات التي سجلت عليها الأغاني والاسكتشات سألته

ـ لماذا تمانع يا أخي في امتهان كريمتك الغناء؟

فنفخ وقال

ـ خلّيها عا الله

ـ لكن لم تقل لي لماذا؟ !

وغيّر الموضوع لكنني فهمت من نفخته وعينيه السبب ، لأنه كان خبيراً في خفايا وخبايا عالم الغناء والطرب

لكن حب ماجدة وعشقها للغناء تغلّبا على ممانعة والدها وشقت طريقها وحالفها النجاح ولا يزال حليفها لأنها مخلصة لفنّها فأصبحت نجمة من نجوم الغناء في لبنان والعالم العربي

حققت ماجدة نجاحاً كبيراً عندما شدت بصوتها الأوبرالي قصيدة «عم بحلمك يا لبنان» للشاعر اللبناني الكبير سعيد عقل وألحان الموسيقار إلياس الرّحباني شقيق عاصي ومنصور

وكرت سبحة الأغاني التي صدحت بها ماجدة فتسابق الملحنون على

تلحين قصائدها ، فلحّن لها كبار الملحنين في لبنان ومصر أعذب الألحان التي لاقت نجاحاً كبيراً

غنّت للشاعر السوري نزار قباني أكثر من قصيدة منها قصيدة «بيروت يا ست الدنيا» كما غنّت قصيدة «كلمات» للشاعر اللبناني أنسي الحاج

أحيت ماجدة الكثير من الحفلات الغنائية في الأردن وتونس ومصر ولندن وباريس ، وكان النجاح حليفها في تلك الحفلات

تحمل عدة أوسمة تقديراً لفنّها وصوتها الأوبرالي

من أنجح أغانيها قصيدة «غنّ أحبك أن تغني» للشاعر فؤاد سليمان من تلحين وغناء والدها حليم الرومي ، وقد أعادت غناءها بتوزيع جديد لاقى استحساناً كبيراً

نازك

يخال كل من يستمع إلى صوت هيبت الحسيني ، التي اشتهرت باسمها الفني «نازك» وهي تغني ، بأنه يسمع صوت المطربة الكبيرة أسمهان

ونازك خجولة ومتدينة و«مسرسبة» قيل إن سبب «سرسبتها» ابتلاعها دبوساً بطريق الخطأ! انطلقت من الإذاعة اللبنانية وأصبحت في الصف الأول من المطربات منذ طفولتها كانت تحب الغناء وترغب في أن تصبح مطربة ، لكن رغبتها اصطدمت برفض عائلتها المحافظة ، وفي النهاية كان لها ما أرادت ولكن في ظل مراقبة شديدة من أهلها

سجلت الكثير من الأغاني في الإذاعة اللبنانية ، وغنت على المسارح في لبنان وسوريا والأردن ومصر والعراق وكان رفيقها الدائم ومدير أعمالها شقيقها نور الدين الحسيني عازف العود

غنت عدداً من قصائدي من ألحان عفيف رضوان ، وشفيق أبو شقرا ، وحليم الرومي من قصائدي التي غنتها «دربها النجم والقمر» ألحان شفيق أبو شقرا ، و«مراهقة» من ألحان حليم الرومي واشتركت مع المطرب الفلسطيني محمد غازي في غناء اسكتش «حكاية فرّان» من تلحين عفيف رضوان

نجاح سلام

نجاح سلام مطربة أصيلة تغني الشعر العربي الفصيح والعامي بإجادة وإبداع وهي كريمة الفنان الكبير محيي الدين سلام الذي اشتهر بعزفه على العود تملك نجاح صوتاً حنوناً صافياً، وقد سهر والدها على صقل مواهبها الفنية، فقدمها إلى الإذاعة اللبنانية ثم إلى المسرح والسينما فحالفها النجاح الكبير واحتلت مركزاً مرموقاً ومحترماً بين أهل الفن

شدت بعشرات القصائد بالفصحى وبمئات الأغاني الشعبية وهي بين المطربات القلائل اللواتي يؤدين بدقة أغاني سيدة الغناء العربي أم كلثوم

تسابق الكثير من الملحنين على تلحين أغانيها، فذاعت شهرتها في لبنان والعالم العربي وبين المغتربين وفي مصر شدت بأغنيات من ألحان كبار الموسيقيين في وادي النيل

بدأت نجاح الغناء عام ١٩٤٨ وأولى أغانيها كانت عامية مثل «برهوم حاكيني» و«عيونو زُرق»

في أثناء زيارة الموسيقي وعازف العود المصري الشهير محمد هاشم لبنان برفقة المطربة المصرية فتحية أحمد، زارا الموسيقي وعازف العود محيي الدين سلام، وعندما استمعا إلى صوت نجاح تبناها محمد هاشم وتنبأ لها بمستقبل باهر في حقل الغناء

ورغم سهر والدها على صقل مواهبها الفنية إلاّ أن أسرتها لم ترض بأن تصبح نجاح مطربة، لكنها استمرت في الغناء بصوتها الرخيم وأصبحت من بين أشهر المطربات في لبنان والعالم العربي

شدت بالكثير من الأغاني الوطنية التي تشيد بلبنان وسوريا ومصر

وغيرها من الدول العربية وأصبحت أغانيها التي تشيد كلماتها بالثورة المصرية التي أطاحت بالنظام الملكي ، والتي جسدت نضال مصر ضد الغزو الثلاثي ، على كل شفة ولسان

تحمل عدة أوسمة منها

- Medal of Honor - the Lebanese. Commander rank - from President Elias El - Harrawy in 1993.
- Medal of Fidelity and Police from the Syrian Arab Republic.
- Shield of Armed Forces from Arab Republic of Egypt.
- Shied of old warriors and victims of war in Egypt.

  Certificate of merit from A.R.E. Oscar and golden key New Te U.S.A.
- Award of honoring the giants of the East in 1997 from the Mini Culture and high Education in Lebanon.

نصري شمس الدين

إذا ذكرت أعمال الأخوين رحباني المسرحية ذكر المطرب نصري مصطفى شمس الدين ، فقد لعب دوراً رئيسياً إلى جانب فيروز في الكثير من مسرحياتهما ، واشتهر فيها بدور «المختار»

ولد نصري في قرية جون في الشوف عام ١٩٢٧ لكن شهرة المطرب الكبير وديع الصافي غطت على شهرته

وكان وديع الصافي قد تخلى عن العمل مع الأخوين رحباني عام ١٩٦١ وتفرغ لعمله الفني - الموسيقي - المسرحي واختار الرحبانيان نصري شمس الدين فذاعت شهرته ولم يعد وديع الصافي يطغى على شهرته ، وأحب الشعب أغانيه ومعظمها من تلحين الأخوين رحباني

اشترك مع فيروز في بطولة المسرحيات من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥ عندما نشبت حرب العبث والجنون في لبنان

آخر عمل مسرحي له مع فيروز كان عام ١٩٧٩ في مسرحية «بترا» وفي عام ١٩٨٣ توفي نصري تاركاً العشرات من الأغاني الشعبية التي لا تزال الإذاعات العربية بما فيها الإذاعة اللبنانية ترددها حتى الآن

ظهر مع فيروز في ثلاث مسرحيات للأخوين رحباني تحولت إلى أفلام سينمائية منها «بنت الحارس» و«سفر برلك» و«بياع الخواتم»

كان نصري يحلم بأن يصبح نجماً سينمائياً ، فسافر إلى مصر ، وحطّ رحاله بادئ ذي بدء في مدينة الإسكندرية واستمر فيها ستة أشهر ، فعمل مع الممثل إسماعيل ياسين ومحمد عبد المطّلب ، ثم انتقل إلى القاهرة للعمل في السينما لكنه لم يُوَفّق ، فعاد إلى لبنان والتحق بجوقة الغناء في محطة الشرق

الأدنى والتقى المخرج صبري الشريف ثم التقى الأخوين رحباني اللذين أسندا إليه أدواراً في اسكتشات غنائية من أعمالهما

وشدا نصري بأول أغنية من أعمال الرحباني في مهرجانات بعلبك الدولية هي أغنية «بحلّفك يا طير بالفرقا» ثم كرت سبحة الأغاني التي نظمها ولحنها الأخوان رحباني وشدا بها المطرب نصري شمس الدين

من أشهر أغاني نصري شمس الدين

- عم تغزل تحت التينة

نقولا المَنّي

نقولا المنّي رائد الأغنية الشعبية اللبنانية ولد في بيروت عام ١٩٠٠ وتوفاه الله في ٢٧ شباط ١٩٧٠ ساهم وعمر الزعّني ويحيى اللبابيدي في نشر الأغنية الشعبية كان أقرب مقام إلى نفسه من المقامات الموسيقية مقام البيات أكثر المقامات الموسيقية التراثية شيوعاً

من أغانيه التي انتشرت «يا ويل حالي يا ويلي جانم أمان/ تسلم شباب الموضة بآخر زمان» و«الله يقصف عمر الحب/ طيّر عقلي من راسي»

كان المنّي من أول الداخلين إلى الإذاعة اللبنانية عند تأسيسها عام ١٩٣٨ فأعطي بطاقة (رقم واحد)

ومن أغانيه التي صدحت بها صباح «ولّو يا أسمر ولّو» و«يا عربجي خفف سيرك»

ولحّن أغنية من نظم نجيب كرم عنوانها «سوريا انخطبت للدّستور» مطلعها

سوريا انخطبت للدستور بيلبقلا شك المنشورْ
هيّوا الطّبل والزّمورْ البنت الحلوي ما بتبورْ!

نور الهدى

آثرت المطربة الكبيرة نور الهدى ، خلال الستينات مَن القرن المنصرم ، العزلة والابتعاد عن حقلي الغناء والتمثيل بعد أن ذاعت شهرتها وتألقت بأغانيها وبالأفلام السينمائية التي اشتركت بدور البطولة فيها إلى جانب المشاهير من نجوم التمثيل والغناء من بينهم عبد الوهاب وفريد الأطرش ويوسف وهبي ورشدي أباظة ومحمود المليجي وغيرهم

ولدت نور الهدى ـ اسمها الأصلي ألكسندرا نقولا بدران ـ في بيروت عام ١٩٢٤ وهبها الله صوتاً رخيماً وحنجرة صافية غنية فيها أوتار تقفل القفلة الموسيقية بطلاوة ونعومة وقوة لا نشاز فيها وهذه الأوتار المنسجمة جعلتها ترسل الصوت الشرقي عذباً مُطرباً وقد ظلت محافظة على سمعتها الفنية والأدبية معتمدة على مواهبها وصفاء حنجرتها وإيمانها بالفن

كانت تكره أن يفرض عليها لحن أو نغم فهي التي كانت تختار الأنغام والألحان التي تحس بقوتها وتشعر بما فيها من نشوة ولذة والشيء نفسه ينطبق على القصائد بالفصحى والعامية التي غنّتها

استمع إلى صوتها عميد الممثلين المصريين يوسف وهبي وهي تغني في مدينة حلب ، فأعجب بصوتها فطلب منها الاشتراك في فيلم «جوهرة» من إنتاجه وإخراجه وتأليفه ، فوافقت وتعاقدت معه واختار لها اسم نور الهدى فاشتهرت به

وكرّت سبحة الأفلام التي مثلت دور البطولة فيها وبلغ عددها أكثر من ثلاثين فيلماً وقد لفت انتباه عشاق أفلامها إصرارها على رفض ارتداء ملابس غير محتشمة أو أداء قُبل من الممثلين الذين شاركوها في بطولة الأفلام التي مثلتها فحظيت باحترام وتقدير من العرب المحافظين

بدأت الغناء وهي في العاشرة من عمرها ووصفت حينذاك بـ «الفتاة ذات الصوت الذهبي» وعندما ذاعت شهرتها تسابق الملحنون على تلحين أغنيات لها فشدت بأغنيات من ألحان عدد من كبار الملحنين من أبرزهم عبد الوهاب

في أثناء حرب العبث والجنون التي اجتاحت لبنان دمرت القذائف منزلها في فرن الشباك ومن الأسباب الرئيسية التي دعتها إلى اعتزال الغناء تدني مستوى الأغاني والألحان

وقد شدت بأغنية «يا جارة الوادي» لعبد الوهاب دون أن ترافقها فرقة موسيقية أو أي عازف فأجادت وأبدعت أكثر من أي مطربة شدت بهذه الأغنية

بلغ عدد الأغاني التي صدحت بها حنجرتها الذهبية أكثر من مائة أغنية

داهمها المرض بكبدها ورئتيها ، فأُدخلت مستشفى السان جورج في السابع والعشرين من حزيران عام ١٩٩٨ ، ولكن المرض لم يمهلها فتوفيت ودفنت في بيروت في العاشر من تموز من العام نفسه عن أربعة وسبعين عاماً

وديع الصافي

وديع الصافي ثروة وطنية لبنانية صوته هدير شلال وزغردة عنادل وحنين ناي مطرب المطربين ولد وديع فرنسيس الذي اشتهر بوديع الصافي لصفاء صوته في بلدة نيحا (الشوف) عام ١٩٢١ كثيرون وصفوا صوته بأنه «صوت لبنان» اشتهر بأغانيه الشعبية الفولكلورية

عام ١٩٣٨ أقام في بيروت وتابع دراسته الفنية ـ الغنائية في المعهد الوطني اللبناني للموسيقى (الكونسرفاتوار) وفي العام نفسه رعت الإذاعة اللبنانية مسابقة لاختيار أجمل صوت ، ففاز الصافي من أغانيه التي كانت بمثابة انطلاقة له في حقل الغناء أغنية «عاللّوما»

إضافة إلى صوته الرخيم بدأ يلحن أغانيه الشعبية والقصائد بالفصحى وذاعت شهرته في لبنان والعالم العربي وفي أوساط المغتربين اللبنانيين والعرب في الأميركيتين وأستراليا وأوروبا

غنّى لبنان بأجمل القصائد وحلّق ولحّن وغنّى قصيدة «لبنان يا قطعة سما» للشاعر يونس الابن ، وغيرها من الأغاني التي لا تزال الجماهير في لبنان والعالم العربي تُردّدها

شدا بأكثر من ثلاثة آلاف أغنية معظمها من تلحينه وشدا بأغنيات من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب والموسيقار رياض البندك والموسيقار زكي ناصيف أحيا حفلات غنائية في الأميركيتين وأوروبا وأستراليا والعالم العربي

كانت إذاعة «راديو الشرق» ، إذاعة لبنان حالياً ، قد استقبلته بتشجيع وتقدير لصوته ، وأول أغنية غنّاها في راديو الشرق في ١٥ آذار ١٩٣٩ ومطلعها

رتّلي لحن هواك لـشفائي وشـفاك

عـازف عـود من الطراز الأول شـارك في مـهـرجـانات بعلبك مع الأخوين رحباني ، واشترك مع المطربة صباح في مهرجان «الأنوار»

من أغانيه التي اشتهرت

- يا عيني عالصبر من ألحان رياض البندك
- طلّوا حبابنا طلّوا من ألحان زكي ناصيف
- يابني من ألحانه
- بالساحة تلاقينا من ألحان عفيف رضوان
- هل تذكرين ضيعتي من تلحينه

من اسكتشاته التي اشتهرت «سهرية» وهي حوار غنائي مع مطربة المطربات فيروز ومن ألحان الأخوين رحباني

يحمل عدة أوسمة لبنانية وعربية وأجنبية

لحّن من قـصـائدي «هل تذكـرين ضـيـعـتي» و«اليـوم لا غـدا» و«الشائعات»

الموسيقار
وليد جورج غلمية

قائد أوركسترا ومؤلف موسيقي من مواليد جديدة مرجعيون في الرابع عشر من نيسان عام ١٩٣٨ متأهل من السيدة إلهام النّدا ساهم في تأليف الموسيقى وقيادة الأوركسترا في مهرجانات لبنانية ودولية

من المهرجانات اللبنانية التي تولى فيها تأليف الموسيقى وقيادة الأوركسترا مهرجانات بعلبك أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ و١٩٦٧ ومهرجانات إهدن خلال عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤ ، ومهرجانات الأرز الدولية عام ١٩٦٥ ، ومهرجانات نهر الوفاء الدولية عام ١٩٦٥ ، ومهرجانات جبيل الدولية خلال عامي ١٩٧٠ و١٩٧١

وكان له نشاط بارز وتاريخي في مسارح دولية وعربية منها

- مسرح الأولمبياد بباريس عام ١٩٦٨ - تأليف وقيادة أوركسترا
- مسرح الفنون الجميلة - بروكسل عام ١٩٦٨ - تأليف وقيادة أوركسترا
- المسرح الوطني «شارلروا» - بلجيكا عام ١٩٦٨ - تأليف وقيادة أوركسترا
- قصر المحاضرات - جنيف عام ١٩٧١ - تأليف وقيادة أوركسترا
- المسرح الوطني - لوزان عام ١٩٧١ - تأليف وقيادة أوركسترا
- مهرجانات جرش الدولية - الأردن عام ١٩٧١ - تأليف وقيادة أوركسترا
- المسرح الوطني - سيدني وملبورن عام ١٩٨٥ - تأليف وقيادة أوركسترا

- الافتتاح الرسمي للمسرح الوطني - أبو ظبي - عام ١٩٨٥ تأليف وقيادة أوركسترا
- قيادة الأوركسترا السيمفونية والكورس لولاية ويتشيتا الأميركية
- قيادة الأوركسترا السيمفونية الوطنية العراقية عام ١٩٧٨
- قيادة الأوركسترا السيمفونية الوطنية اليونانية عام ١٩٨٣

● من مؤلفاته الموسيقية للمسارح

- «مجدلون» - إخراج روجيه عسّاف ، و«اعرب ما يلي« إخراج يعقوب شدراوي و«السّتارة» إخراج ميشال نبعة و«ميخائيل نعيمة» إخراج يعقوب شدراوي و«شربل» إخراج ريمون جبارة و«الطرطور» إخراج يعقوب شدراوي و«بلا لعب يا ولاد» إخراج يعقوب شدراوي و«يا اسكندرية بحرك عجايب» إخراج يعقوب شدراوي وفرقة كركلا للرقص

● من مؤلفاته الموسيقية للسينما

- «سن الحياة» فيلم وثائقي إخراج حكمت سابا و«الجنوب» إخراج سمير نصري و«مملكة الفقراء» إخراج فيليب عقيقي و«جواز سفر إلى أوبليغيون» إخراج ديفيد نيفن «مترو غولدون ماير» وفيلم «موّال» إخراج محمد سلمان و«كفرقاسم» فيلم وثائقي إخراج برهان علوية و«بيروت يا بيروت» فيلم وثائقي إخراج مارون بغدادي و«القادسية» فيلم وثائقي إخراج صلاح أبو سيف

● منشورات وإصدارات مختلفة ، تجاوزت العشرين ، منها

- Philips International Company.
- Polydor International Company.
- EMI International Company.
- Polydisc - Philips company.
- Voice of the Orient (Lebanese company).
- Morico (Lebanese compnay).
- Dunia phone (Lebanese company).
- Odessey "The green train" - 2 hours and 20 minutes - 1st canto -

epic in the history of the Lebanese ad Arabic usic, published by Philips Internatonal company.
- Program music:
- "Marjeyoun" published by Philips International company and Polydisc company.
- "Beirut" published by Philips International compnay and Polydisc company.
- "Maraya El-Hanin" (the life story of the well known writer Mikhael Neihmé) - published by Philips International company and Polydisc company.
- «أنا الألف» (Ana Al Alifu) pedagogical concerning the Arabic Alphabet.
- Birthstone - published by Polydisc.
- Ethereal - published by Polydisc.
Symphonies:
- 1st Symphony: G. Major (Al Qadissiya) published by Philips International company and polydisc company.
- 2nd Symphony: B. Flat Major (Al Mutanabbi) published by Philips International company and Polydisc company.
- 3rd Symphony: G. Major (Al Yarmouk) published by Philips International company and Polydisc company.
- 4th Symphony: E. Flat Major (Al Chahid - the martyr) published by Philips International company and Polydisc company.
- 5th Symphony: G. Major (Al Mawakeb - the processions) published by Philips International company and Polydisc company.
- Composer of the Iraqi National Anthem.
- Rearrangement of the Lebanese National Anthem, recorded with the Vienna Symphony Orchestra.

● من مؤلفاته ، أبحاث ومعالجات

- في الموسيقى اللبنانية
- في الموسيقى السورية
- في الموسيقى الليبية (وزارة الثقافة الليبية من ١٩٦٥ - ١٩٦٨)
- في الموسيقى العراقية (وزارة الثقافة العراقية من ١٩٧٥ - ١٩٨٥)

والدكتور وليد غلمية إضافة إلى نشاطه في التأليف الموسيقي وقيادة الأوركسترا فهو عضو في الجمعية الدولية للموزيكولوجيا ـ سويسرا، وعضو في الأكاديمية العربية للموسيقى، وعضو في المجلس اللبناني الوطني العالمي الكونسرفاتوار الموسيقي، ورئيس اللجنة الوطنية اللبنانية للموسيقى (الأونيسكو) وشغل منصب خبير ومستشار عام لوزارة الثقافة العراقية ومحطتي الإذاعة والتلفزيون من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٨٦، وبروفيسور زائر لجامعة ويتشيتا بولاية كانساس من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٨٧ إضافة إلى منصب مدير للمعهد الوطني الموسيقي اللبناني (الكونسرفاتوار) منذ عام ١٩٩١ إلى الآن وهو المنسّق العام ومؤلف لمادة الموسيقى والمنسق العام لمادتي المسرح والفن التشكيلي لخطّة النهوض التربوي في لبنان منذ عام ١٩٩٦، ومؤسس الأوركسترا الوطنية اللبنانية، ومؤسس الأوركسترا السيمفونية الوطنية اللبنانية، ومؤسس الأوركسترا الوطنية اللبنانية للموسيقى الشرقية ـ العربية

● يحمل عدة أوسمة منها

- Peter and Paul (Medal). (the most exclusive medal).
- Chevalier de l'ordre National du Cèdre.

باختصار

□ **الأمير رئيف أبي اللمع** من الموسيقيين الأوائل الذين قادوا الأوركسترا في لبنان بدأ حياته الموسيقية عام ١٩٤٤ بالعزف على البيانو الذي مارسه عندما كان طالباً في معهد الفرير في حي الجميزة ببيروت

ثم أصبح عازفاً في الحفلات التي كان ينظمها ألكسي بطرس على مسارح دور السينما في العاصمة اللبنانية وقد جعل ألكسي بطرس الأكاديمية التي كان يرأسها مدرسة للموسيقى رغم أنه كان مهندساً وعندما تمّ تأسيس الكونسرفاتوار الوطني توقفت أكاديمية بطرس

من الذين اشتهروا في الكونسرفاتوار في أوائل عهده ساميا ساندري ، وهنري غريب ، وديانا تقي الدين كريمة الروائي اللبناني الكبير سعيد تقي الدين ، ويولا ناصيف ، وعفيف بولس

تخلّى الأمير رئيف عن قيادته الأوركسترا عام ١٩٥٧ ومن بين الذين تولوا إدارة الكونسرفاتوار الموسيقار توفيق سُكّر وتولى الموسيقار الدكتور وليد غلمية منصب مدير للكونسرفاتوار فبعث فيه الحياة وطوّره وفي عهده ازداد عدد الطلاب مع ازدياد فروع هذا المعهد الوطني الكبير للموسيقى

*

□ **توفيق سُكّر** : أحب الموسيقى والغناء منذ أن كان في السادسة من عمره وكان يستمع إلى أغاني عبد الوهاب ، وأم كلثوم ، وعدد من المطربين الأجانب درس الموسيقى في الكونسرفاتوار الوطني اللبناني رغم حبه للموسيقى الغربية إلاّ أن الموسيقى اللبنانية كانت هاجسه وقد ألّف الموسيقار سُكّر مقطوعات كلاسيكية استوحاها من الفولكلور اللبناني . وهو الذي ساهم في بعث ربع الصوت . أصدر

ثلاث أسطوانات ضمّنها الجزء الأكبر من نتاجه الموسيقي . وفي عام ١٩٦٠ أنتج «سمفونية الأرز» التي سجلها في مدينة كييف الروسية عام ١٩٩٦ . تولى إدارة الكونسرفاتوار . وحالياً يدرّس الموسيقى في معهد اللويزة

*

□ **الأب يوسف الخوري** الراهب الماروني اللبناني نابغة في عالم الموسيقى الدينية تسلم إدارة المعهد الوطني اللبناني للموسيقى لسنوات عديدة

وضع مقطوعات ومؤلفات موسيقية وسيمفونيات وترانيم تجاوزت الألفين

حاز على عدد من الأوسمة الوطنية والدولية وقد كرمته حاضرة الفاتيكان في الثامن عشر من كانون الثاني عام ٢٠٠١ ومنحته الدكتوراه الفخرية في الموسيقى الدينية

تلقى تهنئة قداسة البابا بالإضافة إلى التهاني من العديد من رجال الدين من بينهم غبطة البطريرك اللبناني الكردينال مار نصر الله بطرس صفير

*

□ **عفيف رضوان** عرف عفيف رضوان بحبه للغناء رغم أنه ولد في أسرة محافظة ببيروت ، وتحمل الكثير من المتاعب لتحقيق رغبته الفنية وتحول من الغناء إلى التلحين فأبدع وكانت تجربته الأولى تلحين قصيدة للشاعر اللبناني خليل مطران ، ومن ثم لحن موشّحاً للشاعر المصري علي محمود طه المهندس

وانطلقت شهرته في عالم التلحين ، وأصبح موسيقاراً له شأنه لكن القدر كان له بالمرصاد فلم يمهله ولم يترك له مجالاً للمزيد من العطاء

لحن عفيف عدة قصائد لي منها موشح «شَفّهُ الحزن فأضحى قَلقا»

و«من أجل أولادي» و«رمضان شهر الهدى» إضافة إلى تلحين اسكتش «حكاية فرّان» غناء محمد غازي ونازك ومجموعة من المغنين

*

□ **سامي الصيداوي** اشتهر المطرب سامي الصيداوي بأغانيه الشعبية التي برع في تلحينها من بينها «يا ويل إلمايخاف ربو» و«يا حارقا قلبي» و«بتندم» التي غناها والتي غنتها المطربة وداد و«وينكْ يا ليلى»

التقيت سامي أكثر من مرة في أثناء إقامتي بصيدا سألته ذات يوم - وقد نشرت حديثي معه في مجلة «الأحد»

- متى يهبط عليك الوحي بالتلحين؟

فضحك وقال

- عن أي وحي تتحدث إنني أُلحِّن أغنياتي التي أكتب كلماتها وأنا سائر في طريقي إلى منزلي أو وأنا أشرب دموع العناقيد أو ربما وأنا أتحدث معك أشرد للحظات ويرتسم في مخيلتي اللحن لكلمات كنت قد رددتها فأصبحت أغنية

التي سلبت عقله وفجرت شاعريته وألحانه أعرفها وعندما سألته عنها شرد للحظات وتمتم كلمات أغنيته «وينكْ يا ليلى»

*

□ **إيلي شويري** ملحن ومطرب كبير له شهرته غنّى من ألحان الأخوين رحباني واشترك معهما في مهرجانات بعلبك

من أشهر أغنياته «بكتب إسمك يا بلادي» التي نظمها ولحنها وهو يغادر لبنان إلى إحدى الدول لإحياء حفلات غنائية

كلمات الأغنية تجسد أصدق المشاعر والأحاسيس نحو لبنان وكأنه يرددها بلسان كل مغترب اضطّرته ظروفه للهجرة عن الربوع اللبنانية ناهيك عن لحنها الزاخر بالحنان والرّقة والعذوبة

غنت من ألحانه الكثيرات من المطربات إضافة إلى المطربين من بينهم صباح التي غنت له وأجادت أغنية «تعلى وتتعمر يا دار» وأغنية «أيام اللولو» غنتها صباح كما غنتها أيضاً سميرة توفيق

*

□ **عصام رجّي** أحب المطرب اللبناني عصام رجّي الغناء وهو فتى وفي عام ١٩٥٩ استمع إليه اللبنانيون في برنامج «الفن هوايتي» الذي كان يقدمه رشاد البيبي ، ومن ثم في برنامج «نادي الهواة» الذي كان يقدمه نبيل غصن

تعرف إلى الأخوين رحباني ، واشترك معهما في الغناء في الكورال مردّداً أغنيات فيروز وأعجب الفنان روميو لحود بغنائه ومنحه الفرصة لكي يصبح نجماً فأسند إليه بادىء ذي بدء أدواراً ثانوية ، وعندما تأكد من موهبته المسرحية أسند إليه أدوار البطولة فأصبح نجماً

*

□ **جوزيف فاخوري** ملحن موهوب من مواليد طرابلس عام ١٩٢٠ نشأ في جو فنّي وثقافي وفّرته له مكتبة والده والأورغ القديم بعد أن نال الشهادة الثانوية رغب في متابعة دراسته الجامعية لكن ظروفاً حالت دون ذلك فدرس الموسيقى بنفسه وأسس فرقة موسيقية أحيت حفلات في طرابلس وجوارها

عُرف بتأليف الأغاني العربية والأجنبية وتلحينها وعمل محرراً في مجلة «أهل النفط» التي كان يشرف عليها الصحافي والوزير الراحل عبدالله مشنوق عام ١٩٥٠ انضم إلى الإذاعة اللبنانية فأغنى برنامج الأطفال بأغانيه وأناشيده ، ثم لحن أغنيات عاطفية نشر مقالات في «النهار» و«الأنوار» و«الصياد» و«الشبكة» و«بيروت المساء» وألّف عشرات الكتب عن الموسيقى وتاريخها وطرق تعليمها ، وعن العلوم والطرائف واشتهر في التلفزيون فأدخل إليه «مسرح الدمى»

لحن لي أكثر من قصيدة منها «عدنا وعاد الهوى» شدت بها المطربة سعاد هاشم

*

□ **ملحم بركات** من كبار المطربين والملحنين في لبنان غنّى من ألحان الأخوين رحباني قبل انطلاقته ليصبح موسيقاراً له شأنه أحيا الكثير من الحفلات الغنائية في المناسبات الوطنية ودشّن نادياً حمل اسمه كان يحيي فيه حفلاته الغنائية ، فأجاد وأبدع

لم يعرف الإسفاف في ألحانه ويعرف كيف يختار أغنياته ويؤلف ألحانه كجوهري محترف

عرفته المسارح اللبنانية في مسرحيات غنائية كان بطلها

من أغانيه التي اشتهرت «حمامة بيضا»

*

□ **شفيق أبو شقرا** اشتهر شفيق أبو شقرا بالتلحين والعزف على العود وهو من الملحنين الذين قدموا أعذب الألحان الشعبية ، كما عُرف بتلحين القصائد باللغة العربية الفصحى

يقرأ القصيدة بتأنٍ ويفهم معاني كلماتها فتأتيه الألحان منسجمة ومتناغمة معها لحّن من قصائدي قصيدة «دربها النجم والقمر» وشدت بها المطربة الأسمهانية الصّوت نازك

*

□ **زكية حمدان** غناء المطربة زكية حمدان يختلف كلياً عن غناء الكثيرات من المطربات اشتهرت بغناء القصائد لعدد من الشعراء وكان الموسيقار خالد أبو النصر ملحِّنها المفضل الذي رأس الفرقة الموسيقية في الإذاعة اللبنانية عدة سنوات ومن بين الشعراء الذين غنت زكية قصائدهم نزار قباني ، وغنطوس الرامي ، وكاتب هذه السطور وقد غنت من قصائدي «هل تذكرين» و«حلوتي» التي غنتها على رجع أنغامٍ منبعثة من بيانو عزفها الملحن خالد أبو النصر

الموسيقى والغناء
في فلسطين

الموسيقى والغناء في فلسطين

اشتهرت فلسطين بالأغاني الشعبية التي كانت ولا تزال تجسّد مشاعر الفلسطينيين وحبّهم للموسيقى والغناء وكانت الآلات التي يستخدمها الموسيقيون تتألف من الدّف والدربكّة والطبل والمِجْوِز والرّبابة والعود والقانون والناي والمزمار.

من أشهر تلك الأغاني «يا ظريف الطول» و«على دلعونة» و«عاليادي اليادي» و«يا عزيز عيني» و«عَ الرّوزنا» و«مَرمر زماني وسقاني سكّر» و«يا ميت مسا» و«طالعا من بيت أبوها» إلخ

وكانت تلك الأغاني تلعب دوراً له أهميته في توجيه الشعب نحو الأفضل وفي تمهيد الطريق أمام حياته ونمط تفكيره

ورغم النكبة التي حلت بفلسطين، وتشرد الكثيرين من سكانها في مختلف الأقطار العربية، لم يزل الفلسطينيون، الذين فضلوا الموت في مسقط رأسهم على التشرّد، متشبثين بأغلى وأقدس تراب ووطن محافظين على تراثهم الموسيقي والغنائي

والشعب الفلسطيني، كأي شعب عربي آخر، محب للموسيقى والغناء فالفلسطيني، كالعربي، إذا سمع لحناً أو أغنية أعجبته نطق لاشعورياً آه وغيرها من كلمات الطرب لأنه انتشى وعبر عن انتشائه بالآه أو بهزّ رأسه وبتحريك رجليه على رجع الإيقاعات

فالموسيقى هي لغة المشاعر والعواطف والقلوب والمُهج

*

في الأعراس والمناسبات الدينية يكثر الغناء ، وتصدح الموسيقى وتزهر الرقصات التي يؤديها شبان وصبايا ونساء ورجال وعندما يزفّ العروسان تطلق النساء زغاريدها ويشارك المسلمون المسيحيين في أعيادهم واحتفالاتهم وغنائهم في أعياد الميلاد والفصح والعنصرة ، كما يشارك المسيحيون المسلمين في المناسبات الدينية أفراحهم وغناءهم في أعياد الفطر والأضحى والمولد النبويّ الشريف

*

وربما تكون فلسطين متفردة بنوع من الاحتفالات في الأعراس يعرف بـ«السَّحجَة» والسَّحجة هي أن يقف صَفٌّ طويل من الرّجال متشابكي الأيدي يتمايلون تارة إلى اليمين وطوراً إلى الشمال ويغنون أغنيات شعبية يرافقها التصفيق بالأكُفّ وهناك سحجة أخرى تعرف بـ «السّامر» وفيها يتقابل صفّان من الرجال فيغني الصّف الأول مقطعاً ويكرره الصّف المقابل

تقول السيدة يسرى زوجة الموسيقار سلفادور عرنيطة في كتابها «الفنون الشعبية في فلسطين» «ففي أثناء حضوري عدة أفراح في رام الله لاحظت أن النساء تتبع هذا النمط في أقاويل السّحجة ولكن وَهُنَّ جالسات»

الموسيقار روحي الخمّاش

وُلد الموسيقار روحي الخمّاش في مدينة نابلس عام ١٩٢٣ وفيها ترعرع بعد أن أنهى دروسه الابتدائية التحق بمدرسة النجاح وتخرج منها

كان شغوفاً ومحباً للموسيقى والغناء منذ نُعومة أظفاره وكان يؤدي الترانيم وأناشيد الصباح وهو على مقاعد الدراسة أمام أساتذته وزملائه في المدرسة من تلك الأناشيد «وطني أنت لي والخصمُ راغم» و«موطني» من شعر إبراهيم طوقان

عام ١٩٣٢ أقيم المعرض العربي في القدس، وكانت فرقة الفنان والعازف الشهير على الكمان سامي الشّوا الملقّب بأمير الكمان من بين الفرق المدعوة للمعرض واستمع الشّوا إلى غناء روحي الخمّاش في دور «أحب أشوفك» فأعجب بغنائه وشجعه على مواصلة التدريب وعام ١٩٣٣ عزف الخمّاش على العود في حفلات أقيمت في عدد من المدن الفلسطينية والعربية

واستمع موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب إلى غناء وعزف روحي الخمّاش، وتعبيراً عن إعجابه قدّم إليه هدية رمزية تشجيعاً له وعندما أحيت سيدة الطرب أُم كلثوم حفلة غنائية في يافا استقبلت الفنان روحي الخمّاش وكان صغير السن وأجلسته في حضنها تعبيراً عن اهتمامها به وطلبت منه أن يغنّي فغنّى مونولوج «سكتّ والدمع تكلّم» للموسيقار القصبجي فأعجبت بغنائه وتمنت له مستقبلاً فنّياً زاهراً في عالم الموسيقى والغناء

عام ١٩٣٦ وهو العام الذي افتتحت فيه دار الإذاعة الفلسطينية في القدس أحيا حفلات غنائية فيها على مدى عام سافر إلى القاهرة عام

١٩٣٧ والتحق بمعهد فؤاد الأول للموسيقى العربية لصقل مواهبه واستمر عاماً في دراسة الموسيقى في ذلك المعهد

عام ١٩٣٩ عُيّن الخمّاش رئيساً للفرقة الموسيقية في الإذاعة الفلسطينية ، واستمر في منصبه إلى عام ١٩٤٨ ، وغادر فلسطين على إثر النكبة في العام نفسه إلى العراق ونال الجنسية العراقية

توفي الخمّاش في الأول من أيلول عام ١٩٩٨ بعد إصابته بمرض يصعب الشفاء منه

من مؤلفاته التي تزيد على مائة كتاب

- الموشحات والقصائد
- الابتهالات الدينية
- الأناشيد الوطنية
- المقطوعات الموسيقية

رياض البندك

أحب الموسيقار رياض البندك الموسيقى ولحن عشرات الأغاني العاطفية والوطنية لكنّه لم يغن شغف بالموسيقى والتلحين وهو في مطلع شبابه بدأ حياته صحفياً ثم تحول إلى الموسيقى تولى رئاسة الفرقة الموسيقية في الإذاعة اللبنانية ، وشغل المنصب نفسه في الإذاعة السورية

اشتهر بتلحين القصائد بالفصحى والعامية ولحن الكثير من الموشحات القديمة ولشعراء معاصرين تأثر كثيراً بكبار الموسيقيين في مصر من بينهم محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي حلّق وأبدع في تلحين الأناشيد الوطنية التي تشيد بالثورة المصرية والثورة الجزائرية وبفلسطين وسورية

بعد أن أقام بضع سنوات في لبنان انتقل إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفاه الله

من أشهر الأغاني التي لحنها

- «يا عيني عالصّبر» التي شدا بها وديع الصافي
- «لفلسطين دمانا» شدا بها كورس إذاعة فلسطين
- «المحرر» شدت بها نجاح سلام في الاحتفال الذي أقامته نقابة محرري الصحافة اللبنانية في الأسبوع الأول من تشرين الأول عام ١٩٦٣ في كازينو لبنان لتمويل صندوق النقابة

سيمون شاهين

سيمون حكمت شاهين من مواليد بلدة ترشيحا (الجليل) أحب الموسيقى والغناء منذ أن كان فتى ، فجده كان من أشهر المرتلين في الكنيسة ، ووالد حكمت اشتهر بالعزف على العود والتلحين ، وأسس فرقتين موسيقيتين

عندما كان في السابعة من عمره بدأ بدراسة الموسيقى الكلاسيكية الغربية في حيفا في الثانية عشرة من عمره ساعد والده في قيادة الفرقة الموسيقية يقول سيمون «كانت عائلتي تستمع كل ليلة إلى الموسيقى والغناء التي تبثها محطات الإذاعة من أشهر الليالي ليلة الخميس من كل شهر لأن «إذاعة صوت العرب» كانت تذيع الحفلات التي تحييها أُم كلثوم وتغني أغانيها من ألحان عبد الوهاب ورياض السنباطي وغيرهما من كبار الملحنين»

نال سيمون شهادة الـ (B.A.) في الأدب والموسيقى من أكاديمية الموسيقى في القدس ، وبعد تخرجه علّم في الأكاديمية نفسها لكنه يقول «إن ثقافتي الحقيقية كانت العمل مع والدي»

منذ وصوله إلى الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ تابع دراسة الموسيقى وجعل من نيويورك قاعدته للمحافظة على الموسيقى العربية والاطلاع على الموسيقى الغربية ويعتبر سيمون حالياً واحداً من أكثر العاملين النشيطين على تعزيز الروابط الموسيقية بين العالم العربي والغرب كما يعتبر من أشهر معلمي العزف على العود والقيثارة ومن كبار المحاضرين في أصول الموسيقى

أحيا عدة حفلات موسيقية عزف خلالها أعذب الألحان الغربية والشرقية من بين الحفلات التي أحياها حفلة في مركز لينكولن

من أشهر أعماله الموسيقية التي سجلها

- تقاسيم على العود سجلها عام ١٩٨٣
- موسيقى محمد عبد الوهاب سجلها عام ١٩٩٠ تخليداً لذكراه
- التّراث سجله عام ١٩٩٢

نال عدة أوسمة غربية تقديراً لمواهبه وإنجازاته الموسيقية

محمد غازي

لمع نجم المطرب محمد غازي في الإذاعة اللبنانية كان رخيم الصوت يغني بإتقان الأغاني العاطفية والموشحات رددت الإذاعات العربية أغانيه خاض غمار التلحين لكن الغناء كان هاجسه وأول اهتماماته

غنى الكثير من الأغاني من ألحان عفيف رضوان وغيره من الملحنين اللبنانيين وشارك في اسكتشات غنائية مع المطربة اللبنانية نازك وشدا ببعض الأبيات من تأليف وألحان الأخوين رحباني

كان له نشاط بارز في الإذاعة الأردنية لكن القدر لم يمهله ليستمر في العطاء الفني فتوفاه الله لكن ذكراه في البال

من أغانيه التي اشتهرت

- موشح «أهل الهوى» تلحين عفيف رضوان ومطلعه

شَفّهُ الحزنُ فأضحى قَلِقا يسهرُ اللّيلَ حزيناً أرِقا
يسألُ الأنجمَ عن محبوبه ولأيّام خلت ما افترَقا
قلبه البكر جديد في الهوى لسواه أبداً ما خفقا
وعلى الثّغرِ بقايا قُبَلٍ فاترات لا تسدُّ الرَّمَقا

- قصيدة «عيناك والثغر» من ألحانه ومطلعها

عيناكِ والثّغرُ يا حلوتي خمرُ
لولاهما ما كان وردٌ ولا عِطرُ

الموسيقى والغناء
في سورية

صباح فخري

يعتبر المطرب السوري صباح فخري من كبار المطربين في العالم العربي ولد في حلب عام ١٩٣٣ أحب الغناء وهو في العاشرة من عمره وبدأ ينشد فلفت إعجاب الكثيرين من محبي الغناء من أساتذته في المعهد الموسيقي الوطني السوري (الكونسرفاتوار) الملحّنان الشيخ علي الدرويش والشيخ عمر البطش

عام ١٩٥٠ وُجّهت الدعوة إلى صباح فخري للغناء بمرافقة أوركسترا الإذاعة السورية ، فلبّى الدعوة وغنّى وأبدع بصوته الرخيم وحبّه للشعر والأدب العربي مكّنهُ من التّعمق في دراسة الموسيقى العربية والأغاني الفولكلورية القديمة والموشحات والقدود الحلبية

وإذا ذكرت القدود الحلبية والموشحات ذكر صباح فخري كأشهر مطرب يؤدي هذا النوع من الغناء

شدا بالمئات من الأغاني التراثية بما فيها الموشحات والقدود الحلبية والقصائد ، وسجل الكثير منها على أسطوانات وأشرطة وكاسيتات فأقبلت الجماهير العربية على شرائها

له حضور جيد على المسرح وهو يشدو بأغانيه أحيا حفلات غنائية في الأميركيتين الجنوبية والشمالية وأوروبا الغربية وروسيا وأستراليا إضافة إلى الدول العربية

حاز على الكثير من الأوسمة والميداليات وحفلات التكريم تقديراً واعترافاً بما أنجزه في حقل الغناء والطرب

من أشهر أغنياته «يا مال الشام» و«طالعا من بيت أبوها»

فهد بلان

مطرب سوري اشتهر بصوته الجهوري وهو يؤدي أغنيَاته ، فلمع نجمه ثم ما لبث أن بدأ يأفل تدريجياً سافر إلى القاهرة واشترك في تمثيل بضعة أفلام وتزوج الممثلة المصرية المعروفة مريم فخر الدين ثم طلقها وتزوج غيرها ، وأصبح الزواج بالنسبة إليه مسلسلاً ما إن تنتهي حلقة منه حتى تبدأ حلقة جديدة

فهل كان إدمانه ـ إذا صح التعبير ـ على الزواج السبب في إهماله الغناء؟ لا يمكن وصف صوته بالرخيم الذي يطرب السامع بقدر ما كان صوتاً يعيد إلى الأذهان أصوات الذين برعوا في الغناء القروي ذي اللهجات القديمة

من أشهر أغانيه «جسّ الطبيب» و«لركب حدك يا الموتور» و«اشرح لها»

نجيب السَّراج

مطرب سوري معروف غنّى القصائد والمواويل وأغنيات باللغة العامية وظلت شهرته في الغناء محصورة بسورية ، ومعروفة في لبنان

في بعض أغانيه ما يطرب السامعين

الموسيقى والغناء
في العراق

كاظم السّاهر

كاظم السّامرّائي الذي اشتهر باسمه الفنّي كاظم السّاهر من مواليد مدينة الموصل العراقية عام ١٩٦١ وهو الطفل الثامن المتحدّر من أُسرة عراقية محافظة لم يتمتع بطفولته برع في ابتكار دُمىً من الطين ثم بدأ ينظم الشعر وظهر حبه للموسيقى وكان يملك دراجة هوائية فباعها واشترى بثمنها عوداً ومنذ ذلك الحين راح يعزف على أوتار عوده بلا انقطاع

وعندما تأكد من حبه للغناء بدأ بتجويد آيات من القرآن الكريم ، وغناء أغنيات شائعة لكل من عبد الوهاب وناظم الغزالي وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش وفيروز

عام ١٩٨٠ ، وكان في الثامنة عشرة من عمره ، بدأ بتعليم الموسيقى في جمعية الاتّحاد النسائي العراقية وفي نادي الإخاء وعندما بلغ عامه التاسع والعشرين تزوّج ومن ثم بدأ دراسته في المعهد الموسيقي ببغداد وقبل تخرجه نظم قصيدتين وغنّاهما وهما «لدغات الحيّة» و«عبرت الشّط» وفي عام ١٩٨٨ تخرج من المعهد الموسيقي العراقي وتابع غناءه وحبه للموسيقى وذاعت شهرته في العالم العربي ، إلاّ أن هذه الشهرة تضاءلت قليلاً عندما اندلعت حرب الخليج عام ١٩٩٠ لكن «كاظم» لم ييأس ، فغادر العراق إلى لبنان ليحقق طموحاته وأحب اللبنانيون غناءه في الحفلات التي أحياها

وفي تشرين الأول عام ١٩٩٦ شاهد الشاعر السوري نزار قباني المطرب كاظم السّاهر وهو يغني «موّال الغُربة» فأعجب بغنائه وألحانه ، فاتصل به وأسفر الاتصال عن تعاون بينهما ، فغنّى قصيدة من قصائد نزار

الموسيقار منير بشير

اشتهر الموسيقار منير بشير بالعزف على العود ولد في مدينة الموصل العراقية متحدّراً من أسرة عراقية اشتهرت بالموسيقى درس الموسيقى في المعهد الموسيقي العربي في العراق وكان من تلامذة الشريف محيي الدين واشتهر خلال عدة عقود من السنين ، في العالم العربي ، كأشهر عازف على العود

من أقواله المشهورة «الموسيقى أنواع موسيقى تصدر عن القلب ، وموسيقى مصدرها الرأس ، وموسيقى تصدر عن الفكر ، وهي ذات جسد وروح» إن فن بشير يقوم على أساس العقل والفكر

وقد أحيا منير عدة حفلات موسيقية برع فيها بالعزف على العود واشتهر بالتقاسيم على أوتار عوده لقد قال كثيرون «إن من يستمع إلى عزف منير بشير يشعر بأنه يستمع إلى أنغام عذبة إنه بالفعل ملك العود»

العود الذي يعزف عليه صُنع عام ١٩٥٧ بناء لتوصيات وتعليمات منه وقد صنعه له فاضل عواد في بغداد إنه يشبه كثيراً كل عود يعزف عليه أي عازف أي أنه مؤلف من خمسة أوتار لكن منيراً أضاف إلى عوده وتراً سادساً العزف عليه ينبعث منه نغم عميق وخفيض وهو ما يعرف بـ «Bass» وكان الوتر السادس من ابتكاره في الخمسينات من القرن العشرين ، كما أنه أحدث ابتكاراً في وجه العود فوجه العود التقليدي فيه زخرفة ونحت ، والتصميم الذي ابتكره للوجه القديم للعود فيه فتحتان بيضاويتا الشكل تحت الفتحة الرئيسية ، وهذا ساهم كثيراً في تحسين الأنغام في أثناء العزف

سجل الكثير من تقاسيم على العود على أسطوانات كما سجل عدة مؤلفات موسيقية بالعزف على عوده

يحمل منير بشير عشرين ميدالية وأوسمة تقديراً لنبوغه الموسيقي ، منها

- وسام الفنون والآداب الفرنسي برتبة كوماندر .
- وسام الاستحقاق المدني من الدرجة الأولى قلده إياه الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا
- وسام الاستحقاق الإيطالي برتبة كوماندر
- وسام الفنون والآداب البولوني
- وسام الاستقلال الأردني قلده إياه ملك المملكة الأردنية الهاشمية
- وسام الثقافة الكوبي من الدرجة الأولى
- الوسام التذكاري البولوني للموسيقار شوبان
- وسام فيلا ـ لوبوس التذكاري من البرازيل
- الوسام التذكاري الروسي للموسيقار تشايكوفسكي

وهو عضو شرف في الجمعية العليا للموسيقى بمصر ، وعضو شرف للمجلس الموسيقي الدولي للأونيسكو

ناظم الغزالي

من أشهر المطربين العراقيين المطرب ناظم الغزالي ، الذي ذاعت شهرته في أنحاء العالم العربي كان يتمتع بصوته الرخيم المعبِّر أحيا حفلات غنائية في مصايف لبنان وفي عدد من الدول العربية إضافة إلى العراق

غنّى وأطرب في أبيات للشاعر سعيد الدّارمي بعد أن قال له صديقه التاجر الكوفي إنه قدم إلى المدينة المنوّرة ومعه خُمُرٌ (الخُمُر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها) فباعها كلها وبقيت الخمر السّود فلم تَنفُق وكان الدّارمي آنذاك قد تزهَّدَ فتعبَّد وتقشّف وترك الغناء فقال له لا تهتم يا صديقي فإنني سأنفقها حتى تبيعها جميعاً

وجلس الدارمي بباب مسجد من مساجد المدينة وغنّى

قُلْ للمليحة بالخمار الأسود ماذا فعلتِ براهب مُتَعَبِّدِ
قد كان شَمَّرَ للصلاة ثِيابَهُ حتى وقفتِ له بباب المسجدِ
ردّي عليه صلاتَهُ وصيامَهُ لا تقتليه بحقّ دينِ مُحَمَّدِ

وطربت الجماهير لغناء ناظم الغزالي واستعادته غناء الأبيات مرات عدّة

كما غنّى وأطرب ببيتين من الشعر للخليفة العباسي المستنجد بالله كان قد نظمهما بعد أن عيّرته إحدى جواريه بِشَيْبِهِ

عَيَّرتني بالشَّيْبِ وهو وقارُ ليتها عيّرت بما هو عارُ
إن تَكُن شابتِ الذَّوائبُ منّي فالليالي تُزينها الأقمارُ

الموسيقى والغناء
في السعودية والكويت

طلال المدّاح

أحب المطرب السعودي طلال المدّاح الموسيقى منذ نعومة أظفاره ولد في مكة المكرّمة عام ١٩٤٠ عندما بلغ الثامنة من عمره انتقل مع خالته وزوجها إلى الطائف حتى بلغ الرابعة عشرة ثم عاد إلى مكة ، وكان في هذه المدة يدرس في مسجد الحراج مساء وفي الصباح يدرس في المدرسة السعودية الابتدائية إلى أن نال الشهادة الابتدائية ثم انتقل إلى الطائف من جديد لمتابعة دراسته ، فبرع في أثناء مشاركته المدرسية بتجويد القرآن الكريم

واكتشف ذوو طلال حبه للغناء عندما سمعوه يغني «أغنيات لفريد الأطرش ومحمد عبد الوهاب» وكان طلال قد ورث حب الغناء عن والده الذي عرف عنه ولعه بالفن ولمع نجم طلال عندما غنّى في أول مناسبة في حفلة حضرها جمهور غفير من السعوديين

عمل موظفاً في البريد براتب ١٥٠ ريالاً سعودياً ، ثم استقال من وظيفته وكرّس نشاطه للغناء والموسيقى وبعد نجاحه في الغناء الشعبي انتقل إلى غناء القصائد ، فغنى قصائد من نظم الأمير السعودي الشاعر عبد الله الفيصل ، وقصائد لكل من خالد الفيصل وإبراهيم خفاجي ولطفي الزيني وصلاح جلال كما شدا بأغنيات لحنها له محمد عبد الوهاب والموجي وبليغ حمدي وطارق عبد الحكيم وغازي علي وسراج عمر ومحمد شفيق

من أشهر أغانيه «اعطيني المحبّة» و«مقادير» و«مَرّيت» و«الله يعلم»

ونجح طلال في دراسة الكومبيوتر فساعده ذلك على تحسين الموسيقى واشترك أيضاً في مهرجان الجنادرية السنوي ، وفي جميع المهرجانات داخل السعودية وفي الخليج العربي ومصر وسورية ولبنان والجزائر وتونس وليبيا

تزوج طلال ثلاث مرات الزوجة الأولى أنجبت له عبد الله ورأفت

ومحمد وأحمد ورجاء وملك وإخلاص ، والزوجة الثانية أنجبت له رشا وسارة ثم انفصل عنها والزوجة الثالثة أنجبت له نورا ودينا وخالد ونغم

أول أغنية سجلها للإذاعة السعودية عام ١٩٦٧ مطلعها «وردك يا زارع الورد» أطلق أشهر أغانيه «مقادير» في القاهرة عام ١٩٨١ له بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ أغنية

نال الكثير من شهادات التقدير والتكريم

توفي طلال في الحادي عشر من شهر آب عام ٢٠٠٠ وهو يغني على مسرح المتاهة ببلدة أبها السعودية عن عمر يناهز الثانية والستين ، ودفن جثمانه بمقابر المعلاّة

محمد عبدو

ولد المطرب السعودي محمد عبدو في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٩ أحب الغناء منذ طفولته عندما كان يشترك في برنامج الأطفال الذي تذيعه محطة الإذاعة السعودية وتحتفظ الإذاعة السعودية بتسجيلات له في أثناء اشتراكه ببرنامج الأطفال وهو في السادسة من عمره

عام ١٩٦٣ تخرج محمد عبدو من مدرسة فن الحِرَف اليدوية التابعة لدائرة صناعة المراكب البحرية وفي العام نفسه بدأ الغناء، فشدا بتراتيل دينية تخليداً لذكرى والده الذي توفي غرقاً وكان محمد آنذاك في الثانية من عمره وقد تأثر كثيراً بوفاة والده غرقاً بالبحر فشبّ محمد على كرهه للبحر ورفض عرضاً يابانياً لدراسة صناعة المراكب وفضل تكريس نشاطه في حقل الغناء

تعرف محمد عبدو على أحد كبار الموسيقيين السعوديين الذي قدمه إلى الإذاعة اللبنانية، فراح يصدح بأغنياته على الأثير من أستوديوهاتها وفي أثناء وجوده في لبنان تعاون مع شركة فيلبس لتسجيل الأسطوانات، كما تعرف وهو في لبنان إلى أحد روّاد الموسيقى السعوديين طاهر الزمهشري الذي شجعه على متابعة الغناء وتسجيل أغانيه على كاسيتات وأشرطة

من أشهر أغانيه أُغنية «هلا» التي شدا بها عام ١٩٦٥ فذاعت شهرتها في الخليج العربي ومن أغانيه أيضاً «لا تردّين الرسالة» و«في أمان الله» ومعظم أغانيه من ألحانه وكلماته وظهر في مسلسلات تلفزيونية عنوانها «أغاني في بحر الأمان» من إخراج نور الدمرداش

لكن الأغنية التي شهرته وذاع صيتها في العالم العربي هي أُغنية

«ليلا ليلا» ويعود الفضل لمحمد عبدو في تعريف العالم العربي إلى الأغاني الشعبية السعودية

في أواخر الثمانينات لم يسمع المواطنون السعوديون والعرب أغاني جديدة لمحمد عبدو، وكثيرون اعتقدوا بأنه توقف عن الغناء إلى الأبد لكنه في أيلول عام ١٩٩٧ عاد إلى الغناء وأحيا عدة حفلات غنائية تولت بثها القناتان التلفزيونيتان «ART» و«MBC»

*

نبيل شعيل

مطرب كويتي من المشهورين يعرف بـ «بلبل الخليج» أحيا الكثير من الحفلات في الكويت منها «هلا فبراير ٢٠٠١» ومن أغنياته التي اشتهرت «ما أروعك» و«أحبك حبيبي» و«مسك الختام» و«يا قلبي سيّر عليها» كما أحيا حفلات عدة في الخليج العربي

يختار كلمات أغنياته كما يختار الصائغ الدّرر ثم يبحث عن أفضل الملحّنين وموزّعي الأغاني

حاول كثيرون تقليده ففشلوا ويقول «لقد أساء كثيرون غناءهم أغنياتي» لم يفكر مطلقاً بالاعتزال وهو في القمة ونقل عنه قوله «ما دمت في القمة لن أعتزل لماذا أعتزل ما دمت قادراً على العطاء»

له حضور على المسرح وهو يصدح بأغانيه ويشد إليه الجماهير التي تنتشي طرباً

المراجع

١ ـ الأعلام الزركلي ـ دمشق

٢ ـ الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها ـ الموسيقار سليم الحلو ـ قدم له الدكتور إحسان عباس ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت

٣ ـ أشهر المغنين عند العرب ـ سمير شيخاني ـ المكتبة الشرقية ـ بيروت

٤ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربِّه

٥ ـ جريدة النهار ـ المُلحق ، مقال للأستاذ عماد الحر ـ تاريخ ١٠ تشرين الأول ١٩٩٨

٦ ـ مجلة «الشراع» لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ حسن صبرا ـ لقاؤه مع أُم كلثوم

٧ ـ الإذاعة اللبنانية ـ فايق الخوري ـ منشورات مطبعة صادر ـ بيروت

٨ ـ مشاهير الشرق ، الجزء الثاني ص ٣٤١

٩ ـ تاريخ الأدب الأندلسي ـ د إحسان عباس

١٠ ـ نفح الطيب ـ المقّري

١١ ـ مختارات من الشعر الأندلسي ـ الدكتور أ ر نيكل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

١٢ ـ فوات الوفيات ـ محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت

١٣ ـ شذرات الذّهب ـ ابن العماد الحنبلي ـ منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع ـ بيروت

١٤ ـ أعيان القرن الثالث عشر ـ خليل مردم بك ـ لجنة التراث العربي

١٥ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الأصفهاني الكاتب ـ قسم شعراء المغرب ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس

١٦ ـ ديوان خليل مردم بك ـ تحقيق عدنان مردم بك ـ دار صادر ـ بيروت
١٧ ـ الموسيقار روحي الخماش ـ حبيب ظاهر عباس ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ آفاق عربية ـ بغداد
١٨ ـ السفير الثقافي ـ جريدة السفير ـ إلياس سحّاب ـ ٩ آذار ٢٠٠١

الفهرس

٥	الغناء
٦	تمهيد
١٠	الموشحات الأندلسية
١٧	□ أشهر الموسيقيين والمغنين
١٩	إبراهيم بن المهدي
٢٣	إبراهيم الموصلي
٢٩	ابن جامع
٣٤	ابن سريج
٣٩	ابن عائشة
٤٣	ابن محرز
٤٥	ابن مسجح
٤٩	أبو حشيشة
٥٣	أحمد بن صدقة
٥٦	إسحق الموصلي
٦٠	بذل
٦٣	بصبص
٦٦	جميلة
٧٠	حبابة
٧٢	حكم الوادي
٧٥	حُنين بن بلوع
٨٠	الدارمي
٨٣	دحمان الأشقر
٨٥	دنانير
٨٨	زرياب
٩١	سائب خاثر
٩٣	سلامة القس
٩٨	سياط
١٠١	طويس
١٠٥	عبدالله بن العبّاس الربيعي
١١٢	عبيدة الطنبورية
١١٥	عريب
١١٩	عزة الميلاء
١٢٢	علوية
١٢٤	علية بنت المهدي
١٢٧	عمر الوادي
١٣٠	الغريض
١٣٥	فريدة
١٣٩	فليح بن أبي العوراء
١٤٣	مالك بن أبي السمح
١٤٧	متيم الهشامية
١٥٠	محبوبة
١٥٣	مُخارق
١٥٦	معبد
١٦٢	الواثق بالله
١٦٥	يحيى المكّي
١٦٨	يونس الكاتب
١٧١	□ ناظمو الموشحات في الأندلس
١٧٣	ناظمو الموشحات
١٧٤	ابن باجهْ
١٧٥	ابن بقيّ
١٧٧	ابن حمديس
١٧٩	ابن خفاجة
١٨٠	ابن زمرك
١٨٢	ابن زهر

١٨٤ ابن زيدون
١٨٦ ابن سهل
١٨٨ ابن شهيد
١٨٩ ابن عبد ربه
١٩١ ابن العربي
١٩٣ ابن القزاز
١٩٤ ابن قزمان
١٩٥ ابن ماء السماء
١٩٧ ابن مجير
١٩٨ أبو بكر الأبيض
١٩٩ أبو حيان الغرناطي
٢٠٠ أبو الصَّلت الدّاني
٢٠١ الرُّصافي الرَّفاء
٢٠٣ الطرطوشي
٢٠٤ الطليق المرواني
٢٠٦ عبد العزيز بن أرقم
٢٠٧ لسان الدين بن الخطيب
□ من شعراء الموشحات بصقلية
٢٠٩ في أثناء الفتح العربي
٢١١ عيسى بن عبد المنعم
٢١٢ محمد بن عيسى
٢١٣ محمد بن قاسم اللّخمي
٢١٥ □ الموشحات في المشرق العربي
٢١٧ الوشاحون المشارقة
٢١٨ ابن سناء الملك
٢٢٠ ابن المغربي
٢٢١ ابن الوكيل
٢٢٣ جمال الدين الشاعر
٢٢٤ خليل مردم بك
٢٢٥ الشطي
٢٢٦ شمس الدين التلمساني
٢٢٧ الشهاب العزازي
٢٢٨ صفي الدين الحلّي
٢٢٩ باختصار
٢٣٥ □ الموسيقى والغناء في مصر
٢٣٧ أسمهان
٢٤٠ أم كلثوم
٢٤٥ الموسيقار رياض السنباطي
٢٤٧ الموسيقار زكريا أحمد
٢٤٩ الموسيقار سلامة حجازي
٢٥١ سيد درويش
٢٥٣ الموسيقار سيد مكاوي
٢٥٦ عبد الحليم حافظ
٢٥٨ فايدة كامل
٢٥٩ الموسيقار فريد الأطرش
٢٦٢ ليلى مراد
٢٦٥ الموسيقار محمد عبد الوهاب
٢٦٩ محمد فوزي
٢٧١ الموسيقار محمد القصبجي
٢٧٥ الموسيقار محمد كامل الخلعي
٢٧٧ الموسيقار محمد الموجي
٢٧٩ نجاة الصغيرة
٢٨٢ وردة الجزائرية
٢٨٥ □ الموسيقى والغناء في لبنان
٢٨٧ محطة راديو الشرق
٢٨٩ أوائل المغنين اللبنانيين
٢٩١ موسيقيون ومطربون
٢٩٢ الأخوان إميل وفريد غصن

٢٩٣ الأخوان رحباني
٢٩٩ الموسيقار إلياس الرحباني
٣٠١ الموسيقار توفيق الباشا
٣٠٤ جوزيف عازار
٣٠٦ الموسيقار حليم الرومي
٣٠٧ روميو لحود
٣٠٨ الموسيقار زكي ناصيف
٣١٠ الموسيقار زياد الرحباني
٣١٢ سعاد محمد
٣١٣ سعاد هاشم
٣١٦ الموسيقار سليم الحلو
٣١٨ صباح
٣٢٠ عبد الرحمن الباشا
٣٢٤ فايزة أحمد
٣٢٦ فيروز
٣٣٠ لور دكاش
٣٣٢ ماجدة الرومي
٣٣٤ نازك
٣٣٥ نجاح سلام
٣٣٧ نصري شمس الدين
٣٣٩ نقولا المنّي
٣٤٠ نور الهدى
٣٤٢ وديع الصافي

٣٤٤ الموسيقار وليد غلمية
٣٤٨ باختصار
٣٥٣ **□ الموسيقى والغناء في فلسطين**
٣٥٥ الموسيقى والغناء في فلسطين
٣٥٧ الموسيقار روحي الخمّاش
٣٥٩ رياض البندك
٣٦٠ سيمون شاهين
٣٦١ محمد غازي
٣٦٣ **□ الموسيقى والغناء في سورية**
٣٦٥ صباح فخري
٣٦٦ فهد بلان
٣٦٦ نجيب السراج
٣٦٧ **□ الموسيقى والغناء في العراق**
٣٦٩ كاظم الساهر
٣٧٠ الموسيقار منير بشير
٣٧٢ ناظم الغزالي
□ الموسيقى والغناء في السعودية والكويت
٣٧٣
٣٧٥ طلال المداح
٣٧٧ محمد عبدو
٣٧٨ نبيل شعيل
٣٧٩ المراجع
٣٨١ الفهرس

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب: ١١٣/٦٤٨٠
فاكس: ٠٠٩٦١١/٣٦١٠٤٥
بيروت - لبنان

طبع في لبنان Printed In Lebanon

الناشر